

محمود سبلي

حياة يوسف

دار الحديث
بيروت - لبنان

محمود شابی

حیاتِ یوسف

دارالجمیل
بیروت

الاهداء

اللهم منك وإليك

محمود شلبي

جميع الحقوق محفوظة للناسر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه أحسن قصة ...

بصريح القرآن : « نحن نقص عليك أحسن القصص ... »

أو بلغة عصرنا ... أجل قصة ... وأحلى حكاية ... وأرق رواية ...

لماذا كانت قصة يوسف ، أحسن القصص ، وأحلى الروايات ؟!

الآن فيها من الوقائع ، ما ليس في غيرها ؟!

كلا ... فن القصص ما يزخر بالاحداث أضعاف تلك القصة !

أمن أجل أنها قصة نبي كريم ؟

كلا ... فن الأنبياء من هو أعلى مقاماً من يوسف ... عليه السلام !

الأنها ... من القصص الذي تولى الله تعالى قصّه ... على الناس ... في كتابه

الكريم ؟

كلا ... فكم من القصص ... قصّ سبحانه على الناس سواها !

فلماذا إذاً كانت قصة يوسف أحسن القصص بصريح القرآن ؟

لأنها قصة أخطر عاطفة بشرية ... العاطفة الخالدة ... التي نسميها « الحب » !!

قال سبحانه « امرأة العزيز ، تراودُ فتاها عن نفسه ، قد شغفها حباً ... »

قد تغلغل حب يوسف ... في شغاف قلبها ... فما تملك أن تدافعه ... وما تملك أن

تقاومه !!!

الحب ؟!!

تلك العاطفة الكبرى ... من عواطف البشر ...

تلك العاطفة التي أخذت على الانسان عقله ، وتفكيره ، وأحلامه ، وحياته ...

ما هو الحب ؟!

الجواب ... في قصة يوسف ...

ما هو الجمال ؟!

الجواب ... هو يوسف ...

ما هو سلطان الحب على النساء ؟

الجواب : هو ما كان من امرأة العزيز ... ونسوة في المدينة ...

كيف يكون موقف الانسان المؤمن من غواية الحب ... وضلالات الهوى ؟

الجواب : انظروا ماذا كان من يوسف حين أبى ، واستعصى ، وآثر السجن ...

على حياة الهوى !!

جمال الصورة ... هل هو نعمة ، أو نقمة ؟

الجواب : انظروا ... ماذا أصاب يوسف ... بسبب جمال صورته ...

فقد أوتي يوسف « شطر الحسن » .

فالحسن حسنان ...

حسن الظاهر ... جمال الصورة ...

وحسن الباطن ... جمال الروح ...

ولقد أوتي يوسف الحسن الظاهر ... كاملاً ...

فضلاً عن حسن الباطن ... أوتي نور الأنبياء ...

فافتتن النسوة بحسن الظاهر ... حسن الجسد ...

ولم يلحظن ... حسن الباطن ... المكنون في جوهرة الكريم ...

فلما تبين لهم : « قُلْنَ : حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ » ...

أدركن أن الرجل ... مكنون فيه ... جمال باطن .. غير هذا الذي ... يركزن

عليه أبصارهن ...

وغاب عنهن أن بحر جماله الباطن ... يذوب فيه جماله الظاهر ...
لقد كانت قصة يوسف أحسن القصص . . بما فيها من تلاطم عواطف الحب ،
والجمال ، والسكر والفر ، حول تلك العاطفة الخالدة !!!
وجماهير الناس ... يهيمها الحب وما يتعلق به ... أكثر من أى شئ آخر ...
وقد تكون أقاصيص الجهاد فى سبيل الحق ... أعلى مقاماً عند الله ...
إلا أنها لا تستهوى الجمهير ... بمثل ما تستهويهم أقاصيص الحب والغرام ...
بأن عاطفة الحب ... طفة جنس ... والجنس هو الغريزة الأولى ... فى أحاسيس
البشر .

وكانت أحسن القصص ، بما فيها من عواطف بشرية أخرى ... كبرى ...
غرائز الغل ، والحقد ، المبنوثة فى ثنايا جيلات البشر ...
غل الإخوة ... غير الأشقاء ... على أخ لهم من أبيهم ...
غل يدفعهم ... إلى التفكير فى قتل أخيه ...
وبما فيها من عاطفة الأبوة ... فى ذروتها ... حين أحب يعقوب ... يوسف ...
حبا ملك عليه فؤاده ...

« يَـؤُسُفُ ، وأُخُوهُ ، أَحَبُّ إِلَى أَيْنَا مِنَّا ... »
وكيف دفع هذا الحب ... أبناء الرجل أن يكيدوا لأبيهم كيداً عظيماً !!!
وبما فيها من عاطفة الصبر الجميل « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ... »
وكيف صبر الأب صبراً جميلاً ... لا شكوى فيه . .
« إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » ، !!!
وبما فيها من أعاجيب ... مكنونات ... المقادير !
أولئك الأخوة ... كان تدبيرهم الخبيث « اقْتُلُوا يُوسُفَ ... يَخْزِلْ لَكُمْ وَجْهُهُ
أَيْكُمْ ... »

وكان تدبير القدر « وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَّبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وعلى آل يعقوب، كما أتمها على أبوك من قبل إبراهيم وإسحاق!!
أرادوا قتله... وأراد الله... أن يكون نبيا... وملكا... وعظيما... وخالدا...
وجاؤوه... وأعلنوها «... تالله لقد آتاك الله علينا...»
وإنما كانت قصة يوسف أحسن القصص... بما فيها من اظهار مكنونات عجائب
معادن الأنبياء...

أولئك الكواكب اللآلئة... التي تتشعشع بجواهر حبات النور... كلما مستها
الحوادث... زادت اشعاعا وشعاعا!!

وبما فيها من تجلى عبقرية يوسف... في ادارة اقتصاديات مصر...
فكانت خيرا عيما لأهل مصر... وللمنطقة كلها...
وبما فيها من الخاتمة السعيدة... التي يتفضل الله بها... على كل من اتقى وصبر...
«... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ »
وبما فيها من ظلمات الشهوات... شهوة الجنس... وكيف تدفع امرأة العزيز... أن
تعرض نفسها عرضا... على يوسف...

ونور التعالى على المعصية... «... مَعَاذَ اللَّهِ، إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوًى.. »
وظلمات شهوة الحسد... وكيف دفع اخوة يوسف إلى أحقر تدبير
إذ يجتمع عشرة رجال... لقتل طفل صغير!!
وبما فيها من نور التوكل... لمن تلحظه عين العناية
« وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِ هَذَا، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » !!
وبما فيها من غرائز بشرية... جياشة... متدافعة...
الأبناء يرمون أباهم بتخريف الكبر...
« تالله إنك لنى ضلّالك القديم » !!!
يقولون هذا... وهم يعلمون أن أباهم... نبى ونور عظيم !!!

ولكنهم ينفضون هذا المسمى يوسف .. الذى يذكره أبوم دائما !!!

وبما فيها من أعاجيب ... معادن الأنبياء ...

هؤلاء هم أخوته ... أذلاء ... بين يديه ...

فكان ما قال : « لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ... »

وقال : « ادخلوا مضرَ إن شاء الله آمين » !!

عفو ... صفح جميل ... لاشئ فى قلبه !!!

وإن فى هذه القصة من الاشاعات ... ما إن تفجر ... ملأ ما بين السماء والأرض

شعاعا ونورا ...

فيها بحار ... أنوار ... يوسف ...

وما أدراك ما يوسف !!!

ثم ما أدراك ما يوسف !!!

وأعل ذلك هو السر ... فى أنها هى القصة الوحيدة ... التى قصها الله تعالى ... فى سورة

وحيدة ... من أولها إلى آخرها ... فى القرآن الكريم ...

اختصه بسورة وحده ... سورة يوسف ...

واختص القصة ... بجميع السورة ... من أولها إلى آخرها ...

وسلك فى سردها ... التسلسل التاريخي ... فكانت أعجوبة ... وآية ... وإعجازا ...

فى التفصيل ... والإجمال ...

« لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ » .

« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ... »

ومن أجل أن الله تعالى تولى تسجيلها كاملة ... فى سورة كاملة ... من كتابه

الكريم ...

ومن أجل أنها هى الوحيدة التى اختصت بذلك الشرف العظيم ...

ومن أجل أن حياة الأنبياء ... لا يجوز لنا أن نزيد أو ننقص ... أو نتخيل أو

نزيد ... فيها ...

ومن أجل الحفاظ ... على اشعاعات أنوارها ... كما رتبها ربنا تبارك وتعالى ...
في كتابه المكنون ...
من أجل ذلك كله ... سلكنا في « حياة يوسف » مسلكا جديدا ...
أن نقدم إلى الناس ، حياة يوسف ، كما قدمها كتاب الله تعالى ...
فتمضى مع الآيات ... تبينا ... وتفسيرا ...
ثم تتبع الآية ... بما فيها من اشعاعات ...
ثم ندع القارىء ... بعد ذلك ... يحوس خلال أنوارها ...
لتبقى للقصة اشعاعاتها ...
فلا نحجب قلب القارىء ... بظلمات التأليف ...
وإن للتأليف اظلمة ...
حين يطفى ... على أنوار التنزيل !!
ولعل هذا المنهج ... في معالجة « حياة يوسف » وتقديمها إلى الناس ...
يكون ... إن شاء الله ... أجل أسلوب ... لأجل قصة .

محمود شبلي

القاهرة في ١٣٨٨ هـ
١٩٦٨ م

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إن الكريم

» ابن الكريم

« ابن الكريم

« ابن الكريم

« يوسف ، نبي الله

» ابن يعقوب ، نبي الله

» ابن إسحاق ، نبي الله

« ابن إبراهيم ، خليل الله »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ .

« أَلَمْ » ألف ... لام ... را ...

من مثل هذه الحروف الميسورة المبذولة لكل الناس ... أنزل ذلك القرآن العظيم ..
فهل يستطيع أحد أن يأتي بقرآن مثله ؟

« تِلْكَ » الإشارة بالبعيد لمظمته ، وبعد مرتبته .

« آيَاتِ الْكِتَابِ » آيات القرآن ، الذي هو الكتاب الحق ..

« الْمُبِينِ » الظاهر أمرها وإيجازها . أو : الظاهر أنها من عند الله تعالى .

- ٢ -

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » إنا ... نحن الله ... أنزلناه ... على رسولنا ... من عندنا .

« قُرْآنًا عَرَبِيًّا » قرآنًا بلغتكم .

« لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » لكي تفهموه وتحيطوا بمعانيه ، ولا يلبس عليكم .

أو : لتستعملوا فيه عقولكم ، فعملوا أن اقتصاصه كذلك ، ممن لم يتعلم القصص ،

معجز ، لا يمكن إلا بالإيجاز .

قال بعضهم : نزل أشرف الكتب ، بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة

أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وفي أشرف شهور السنة ، وهو

رمضان ، فكل له الشرف من كل الوجوه .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ .

« نحن » نحن الله ...

« نقص عليك » نحكي لك ...

« أحسن القصص » أبدع القصص طريقة ، وأعجبه أسلوبا ، وأصدقه أخبارا ، وأجمعه

حكما وعبرا .

« بما أوحينا إليك » بإيحائنا إليك .

« هذا القرآن » هذا الكتاب العظيم .

« وإن كنت من قبله لمن الغافلين » وإن كنت يا أيها الرسول من قبل إيحائنا إليك

هذا القرآن لمن الغافلين عنه ، لم يخطر ببالك .

والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم .

اشعاعات

نحن ١١٩

الله يتكلم ... فيها جمال وجلال ...

ولكن ... لماذا كان قصص القرآن هو أحسن القصص ؟

الجواب ... بما أوحينا إليك هذا القرآن !

لسبب واحد ... هو أن الله هو الذى يتولى إيحائه إلى محمد صلى الله عليه وسلم !

ولكن ... لماذا كان هذا سببا جعل قصص القرآن أحسن القصص ؟

لأن الله حين يوحى ... وحين يقص ... إنما يقص الحق .

وشتان بين الحق المطلق ... وبين خيال المؤلفين .. وأوهام الملفقين ...

وحين يتكلم الله ... جل ثناؤه ... إنما هو الله يتكلم ..
والفرق بين كلام الله ... وكلام الناس ... كالفرق بين الله والناس ..
إن الله قد أحاط بكل شيء علما ... فهو يتكلم بعلم محيط ... أما البشر فضعاف ..
محدود علمهم ... فإذا تكلموا ... أو تخيلوا ... جاء خيالهم عبثا ... وأفسكارهم نقصا ...
وشتان بين السكالم المطلق ... والنقص المطلق ... وبين العلم المطلق ... والجهل
المطلق ...

ثم لماذا كانت قصة يوسف بالآلة ... أحسن القصص ؟
لأنها رائعة البيان ... متكاملة ... تبيان ؟
كلا ... وإنما لأنها جامعة لجميع الـ اطاف البشرية الخالدة ... تزدحم فيها ازدحاما ...
تلك العواطف الخالدة خلود الحياة ... التي تمس أوتار القلوب ... وتستهوى جميع
الناس ... بصرف النظر عن عقائدهم
وفيها الأبوة والبنوة ... ومشاكلها ...
وفيها حب الآباء لبعض الأبناء دون الآخرين وما يثير ذلك في نفوسهم ...
وفيها الضرر ومشاكله ... وأفاعيله ...
وفيها أحقاد الأخوة لأب على إخوتهم لأبهم ...
وفيها ابتلاء الآباء في أعز الأبناء ..
وفيها أحزان القلوب ... وما تورثه من انهيارات في الأبدان ..
وفيها عاطفة الحب الجنسي ... تلك العاطفة التي أخذت على الناس تفكيرهم في
كل زمان ...

وفيها ارتفاع الإنسان من الذلة إلى أبعاد آفاق العزة ... وكيف يستقبل نعمة الله
عليه آنذاك ...

وفيها ... وفيها ... وفيها ... مما سوف ندخل إلى تفصيله .
وبالجملة هي العواطف البشرية كلها مركزة تركيزا عظيما ..

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ .

«إذ قال يوسف لأبيه» وأبوه هو يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم ، عليهم السلام .
« يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » يا أبى .
إني رأيت في المنام ... أحد عشر كوكبا من كه اكب السماء ... والشمس ... والقمر ...
رأيتهم جميعا ... لي أنا ... ساجدين !

فماذا كان من يعقوب ... ذلك النبي الحكيم ... الذى يرى بنور النبوة ...
ماذا أبصر من يوسف ... من ذلك الطفل الجميل .. الرائع ؟
لقد رأى فيه على الفور ... أنه هو الذى سوف يرث النبوة .. وأن الله قد جعل
فيه نور النبوة ... وأعد له لذلك إعدادا جميلا .
ولذلك قال له على الفور ..

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ .
« قال » قال يعقوب عليه السلام .

« يا بنى » صغره لصغر سنه ، وللشفقة عليه ، ولعدوية المصغر .
أى : يا صغيرى .

« لا تقصص رؤياك » إياك أن تخبر إخوتك بما رأيت في المنام .
« على إخوتك » على أحد من إخوتك .
« فيكيدوا لك كيدا » فيفعلوا لأجلك .

أو : لإهلاكك تحيلاً عظيماً ، متلفاً لك .
« إن الشيطان للإنسان عدو مبين » ظاهر العداوة ، فلا يألو جهداً في إغواء إخوتك
وحملهم على ما لا خير فيه .

اشعاعات

لقد رأى يعقوب عليه السلام ببصيرة النبوة ... ونور الرسالة ... أن معنى الرؤيا ..
أن يوسف سوف يعلو علواً عظيماً ... وأن إخوته الأحد عشر سوف يسجدون له ...
وأنه هو نفسه - يعقوب - وزوجة يعقوب ... سوف يسجدون له كذلك .

هذا من جهة الملك والسلطان والتمكن في الأرض ..
وأما من جهة الجوهر ... فقد تأكد لدى يعقوب أن الميراث قد انتقل إلى يوسف .
وأنه لا أحد من إخوته سيكون نبياً ... وإنما اختص الله يوسف بفضله من دونهم .
فما معنى هذا ؟

معناه أنه شخصية جمعت بين جمال الظاهر ... فهو جميل الصورة ... أعطى
شطر الحسن ..

وجمال الباطن ... وماذا بعد جمال النبوة ؟ !

ثم ماذا ؟

ثم ها هو يرى رؤيا تؤكد أنه سوف يكون عظيماً في الأرض .. متمكناً فيها .. يسجد
له الناس ويخضعون . حتى إخوته ... وأبويه ... سوف يسجدون !

سوف يعلو يوسف علواً عظيماً ...

سوف يعلو هذا الطفل ... الذي هو أصغرهم ... من دونهم جميعاً ...

إنه الامتياز ... وبلاء الامتياز ...

طفل ... أجل إخوته ... يتلألأ في وجهه بهاء النبوة ... وروعة الامتياز ...

قد اختصه الله بشيء من عنده ... وصنعه على عينه ...

بينما اخوته لاشيء... ..

ومن هنا ... كانت العقدة ...

إن الإنسان الممتاز لم يرتكب جريمة ...

وإنما يبدو امتيازه أكبر جريمة في أعين الذين هم دونه !

وذلك بلاء الامتياز دائما ...

فكيف يوسف ... وقد رفعه الله على اخوته رفعا عظيما ؟!

جعله أحسنهم صورة ... وأنورهم قلبا ... وأعلام شخصية ...

كيف به ... وهو يتلأل بين اخوته ... بينما هم صفرا لا يملكون شيئا ؟!

رأى يعقوب ذلك ... وما هو وراء ذلك ... بعين بصيرته ...

فأدرك ما كان وما سيكون في اجماله ...

فنهى يوسف أن يقصص رؤياه على اخوته فيكيدوا له كيذا عظيما بسببها ، ويحتالوا

لا هلاكه والقضاء عليه بكل الطرق الممكنة !

ثم ماذا ؟ قالوا : هذا يدل على جواز ترك إظهار النعمة لمن يخشى منه حسد ومكره .

وقالوا : فيه حكم بالعادة ، أن الإخوة والقرابة يحسدون .

وقالوا : هذا يدل على أنه يجب في بعض الأوقات إخفاء فضيلة ، نحرزا من الحسود .

- ٦ -

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِثُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كُلًّا أَتَمَّتْهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

«وكذلك يجتبيك ربك» مثل ذلك الاصطغاء . يصطفيك ربك . بايوسف للنبوّة والسيادة

والعلم في الأرض بالحق .

« ويعلمك من تأويل الأحاديث » ويعلمك ربك تعليما من عنده... من تعبير المنامات .
والأحاديث جمع حديث . سميت به الرؤيا لأنها إما حديث ملك أو نفس أو شيطان .
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ، ورؤيا من الملك ، ورؤيا من الشيطان » . [البخارى]
« ويتم نعمته عليك » وبيملكك إلى أقصى غايات النعمة الظاهرة والباطنة ...

أما ظاهرا فيمكنك في الأرض تمكيننا ، وتعلو فيها علوا عظيما ...
وأما في الباطن ... فتكون نبيا ... وترث النبوة التي آتاها الله من قبل إبراهيم ، فورها
عنه إسحاق ، وورثها أنا عن إسحاق ، وها أنت يا يوسف ترث تلك النبوة عني ...
ولذلك قال ...

« وعلى آل يعقوب » ويتم نعمته على أبناء يعقوب... بأن اختارك لترث ذلك الميراث
من بينهم جميعا ..

« كما آتمها على أبويك » كما آتم نعمته على جدك ...

« من قبل » من قبل وجودك يا يوسف ...

« إبراهيم » كما آتم نعمته تعالى الظاهرة والباطنة على إبراهيم ، فاصطفاه ، واجتباها ،
وآتاها ، وهداه ...

« وإسحاق » وكما آتم نعمته الظاهرة والباطنة على جدك إسحاق ...

« إن ربك عليم » بمن هو مستحق الاجتباء والاصطفاء ... هو أعلم حيث يجعل
رسالته ...

وقد هيأك لها يا يوسف ... وصنعتك على عينه من أجل هذا ..
« حكيم » في صنعه ... يؤتي كل ذي فضل فضله .

اشعاعات

فيها اشعاعات عليا ...

يعقوب تتدافع منه الأنوار ...

أنه نبي يتكلم ... انه أحد حاقات السلسلة الأربع المقدسة ...
قال صلى الله عليه وسلم : « إن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ،
يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله »
نور ... من نور ... من نور ... من نور ...

وأى كرم بعد هذا ؟

سلسلة مقدسة ... كل منهم ورث النبوة عن الآخر ...
وتسلسلت فيهم تصديقا لقوله تعالى « وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » ...
ورأى يعقوب تلك النبوة تتحقق في يوسف ...
فأحبه حبا شديدا ... حب نبي لنبي ...

وحين يتلاقى نوران ... يصبح انقصاصهما عسيرا ...

ومن هنا كان البلاء من جنس الصفاء ...

يعقوب شديد الحب والتعلق بابنه ... الذى ورث منه النبوة وأنوارها ...

إذن يكون البلاء ... هو الفصل بين يوسف وأبيه أربعين عاما !!!

تأمل ... كيف يربى الله أنبياءه ... وأحب خلقه إليه !؟

ومن خلال رؤيا يوسف ... الطفل ... آتس يعقوب منها نارا ...

لقد رأى يوسف الكواكب والشمس والقمر ... له يسجدون ...

رأى الملأ الأعلى يسجد له ... فما معنى هذا ؟

معناه أن هذا الطفل سيكون موضع ظهور صفات الله تعالى ... وصفاته كلها عليها ...

سيكون مجلى أسماء الله تعالى ... « وعلم آدم الأسماء كلها » ... سيكون هذا الطفل

كاملا ... مكمل لغيره ... سيكون نبيا ...

وستستخر له إمكانات الأرض ... بدليل سجود الكواكب والشمس والقمر له ...

ثم ماذا ؟ ثم علم يعقوب أن هذا الطفل سيؤتيه الله القدرة على تعبير الرؤى ...

على تأويل الأحاديث ... على معرفة ماسوف تؤول إليه تلك المنامات في عالم الواقع ...

علم ذلك حين رأى طفلاً يقص عليه مثل تلك الرؤيا المحسكة غاية الأحكام ، فلم أن ذلك ليس إلا لنبي !

هنالك أدرك يعقوب ... أنها النبوة ... أن ابنه نبي ... جاء به الله ليوث عنه الرسالة ، كما ورثها هو عن إسحاق وإبراهيم ...

ثم انظر إلى قول يعقوب لطفله « إن ربك عليم حكيم » ... لا تستغرب يا صغيري أن يختارك ربك من دون إخوتك ... لأنه تعالى يعلم أن فيك امتيازاً خاصاً يؤهلك لذلك ، وهو تعالى دائماً حكيم يضع كل شيء في وضعه المناسب ...

ثم التعبير بـ « ربك » فيه ما فيه من الاحساس بنعمة الله عليه وعلى يوسف ... وأي نعمة وراء النبوة ؟

- ٧ -

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَانِ

« لقد كان في يوسف وإخوته » لقد كان في قصتهم وحديثهم .

« آيات » دلائل على قدرته تعالى وحكمته في كل شيء .

« للسانين » لمن سأل عن نبئهم

أو : آيات على نبوته صلوات الله عليه ، لمن سأل عن نبئهم ، فأخبرهم بالصحة ، من غير تلقى عن بشر ، أو أخذ عن كتاب .

قالوا : أي آيات معظمت ، لمن يسأل عن قصتهم ويعرفها .

« تدلهم أولاً : على أن الاصطفاء المحض أمر مخصوص بمشيئة الله تعالى ، لا يتعلق بسعي

ساع ، ولا إرادة مريد ، فيعلمون مراتب الاستعدادات في الأزل .

« وثانياً : على أن من أراد الله به خيراً ، لم يمكن لأحد دفعه ، ومن عصمه الله لم يمكن

لأحد رميه بسوء ، ولا قصده بشر ، فيقوى بقينهم وتوكلهم .

« وثالثا : على أن كيد الشيطان وإغواءه أمر لا يأمن منه أحد ، حتى الأنبياء ، فيكونون منه على حذر . وأقوى من ذلك كله أنها تطلعهم من طريق الفهم ، الذى هو الانتقال الذهنى ، على أحوالهم فى البداية والنهاية ، وما بينهما ، وكيفية سلوكهم إلى الله ، فتثير شوقهم وارادتهم ، وتشحذ بصيرتهم ، وتقوى عزيمتهم »

إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ آبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

« إذ قالوا ليوسف » إذ قال إخوته العشرة لأبيه ...

« وأخوه » وهو بنيامين شقيقه ، وأمهما راحيل بنت لابان ، خال يعقوب .

« أحب إلى أبينامنا » أى هما أحب إلى والدنا منا جميعا . يحبهما أكثر من أى منا .

« ونحن عصابة » والحال أنا جماعة أقوياء ، أحق بالحببة من صغيرين ، لا كفاية فيهما .

ونحن رجال أقوياء أشداء ، وجماعة كثيرة العدد ، نبليغ عشرة من الرجال ، أقدر على

خدمته ، والجد فى منفعة ، فكيف يؤثر عليهم طنائين لا يقدران على شئ ؟

« إن آبانا لفي ضلال مبين » إن والدنا لفي بعد عن الصواب عظيم ، واضح ، لا يخفى

ضلاله على أحد !

اشعاعات

كان ليعقوب عشرة من الرجال الأشداء ...

ومن زوجه راحيل ، وبعد أكثر من أربعين عاما ، من العقم ، وُلد لراشيل يوسف ،

ومن ورائه بنيامين .

فاشتد الأمر على أولاده ... كيف يحب يعقوب يوسف هذا الذى جاء مؤخرا

أكثر منهم .. ثم كيف يحب هذا الأخير بنيامين ذلك الحب ؟

وكانت فتنة لهم ...

مصدرها هو امتياز يوسف من صغره ... فقد خلقه الله فيه ميراث النبوة كله من
إبراهيم وإسحاق ويعقوب ... ورث عنهم صفوة نورها ، وجمال لألائها ...
وجاء فية فوق ذلت جمال أمه راشيل فقد كانت أجل نساء زمانها ، وجمال جدته
سارة زوج إبراهيم فقد كانت أحسن نساء زمانها ..
طفل اجتمع له الحسن من طرفيه ، حسن الباطن ، بما أودع فيه من أنوار النبوة ...
وحسن الظاهر بما أودع فيه من جمال الخلقة ...
فكيف لا يحبه أى إنسان يراه ...

ثم كيف بأبيه ... الذى يرى فيه علامات النبوة تتلألأ كالقمر المنير ؟
أما أخيه الأصغر ... بنيامين ... فتلك طبيعة الآباء والأمهات ... أنهم يحبون أصغر
أولادهم أكثر مما يحبون سائر أولادهم ...
قد يكون لأنهم آخر انتاجهم ... أو لأنهم أضعف الاولاد قدرة على نفع أنفسهم ..
أو هى غريزة طبيعية فى الناس ..
فكان الأمر فتنة للعصبة .. للرجال العشرة الأشقاء ..
وبلاء لأبيهم شديد

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحُلُ لَكُمْ وَجَهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا
مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ .

« اقتلوا يوسف » قال قائل منهم وهم يآتمرون سرا فيما بينهم ... للخلاص من يوسف :
اقتلوا يوسف ...

« أو اطرحوه أرضا » أو أقوه فى أرض مجهولة ، لا يعرفها أبوه ، ولا يمكن ليوسف
أن يعرف طريق الخلاص منها ..

« يخل لكم وجه أبيكم » تخلص لكم حجة أبيكم ، ويقبل عليكم بكليته ، ويتفرغ عن الاشتغال بيوسف ، فيشتغل بكم .

« وتسكنوا من بعده » وتسكنوا من بعد الفراغ من قتله وأطرحه .

« قوما صالحين » تمتنع من بينكم هذه الفتنة التي حدثت في الأسرة منذ وجد فيها هذا الطفل .

أى : تصلح دنياكم ، وتنظم أموركم بعده ، بخلو وجه أبيكم لكم .

اشعاعات

قالوا : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطعة الرحم ، وعموق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير ، الذى لا ذنب له ، وبالكبير القانى ، ذى الحق والحرمة والفضل ، والده ، ليفرقوا بينه وبين ابنه على صغر سنه ، وحاجته إلى لطف والده ، وسكونه إليه .

وقال ابن كثير : اعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف . وظاهر السياق يدل على خلاف ذلك .

« ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك ، وفي هذا نظر . ومحتاج مدعى ذلك إلى دليل . ولم يذكروا سوى قوله تعالى : (قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) وهذا فيه احتمال ، لأن بطون بنى إسرائيل يقال لهم الأسباط ، كما يقال للعرب قبائل ، وللعجم شعوب . يذكروا تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بنى إسرائيل ، فذكروا أجمالاً لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف . ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم »

ما هذا ؟ ... هذا أمر جدير بالالتفات والتفكير ...

هل كان هؤلاء العشرة أنبياء أم كانوا ليسوا بأنبياء ؟

القطع ... أنهم ما كانوا وقتها أنبياء ، ولا كانوا بعدها أنبياء ...

البرهان الأول ... أنهم لو كانوا انبياء ... لتلاّأت فيهم أنوار النبوة ومخايلها من صغرهم كما تلاّأت في يوسف ... ولاستغنى أبوهم بما يرى فيهم من علاماتها عن حب يوسف ...

وإما كان يعقوب يراهم من النبوة صفرا ... يراهم بشرا ... مظلمين ... ليس فيهم من نور النبوة شيء ...

وكان الرجل ... ينتظر ذلك الطفل الذي يرث عنه النبوة بصفاتها ومقاماتها ... حتى كان يوسف ... فكان هو الوارث ... وتلاّأت فيه كل أنوار الميراث ... فكان فيه امتياز جده إبراهيم ، خليل الرحمن ، بكل ما في شخصية إبراهيم من بهاء وجمال وصفاء ...

وكان فيه امتياز إسحاق ... بكل ما في إسحاق من صفات العلم والمعرفة ... ثم كان فيه امتياز يعقوب نفسه ... فرأى فيه يعقوب تلك الصورة التي كان ينتظرها من أول يوم ...

فلم يعقوب ... أنه هو ...

هو هذا ... ليس غيره ... حامل الرسالة ... وكنز الاشعاع ...

أما هؤلاء العشرة ... فكانوا مجرد رجال ككل الرجال ...

قد يكون فيهم صفات ممتازة عن غيرهم من أبناء عصرهم ... ولكنه امتياز الأجسام والعقول ...

وشتان بين امتياز وامتيار ... شتان بين امتياز النبوة في علاها ... وامتيار الأبدان مهما كان ...

البرهان الثاني ... أن اندفاعهم إلى مثل ذلك المؤتمر ... حيث يفكرون في اغتيال طفل صغير ... وهم رجال أشداء ... فيه ما فيه من الفرائز الدنيا ، التي تؤكد أنهم كانوا مظلمين .. وهذا ما كان يحبب يوسف إلى أبيه ، ويزيده حبا كلما رأى منهم تلك التصرفات المأبطة ...

البرهان الثالث ... أن وصفهم أيهم بقولهم : إن أهابنا في ضلال مبين ... وتأكيدهم لضلال الرجل ... وهو في أعلى علالي الهدى ... يدل على أنهم قليلو الإدراك لمقام أيهم ، ومقام النبوة ، وأنهم أبعد ما يكونون عن فقه النبوة .

البرهان الرابع ... أنهم يريدون تخلية وجه أيهم لهم ... وهم في استغناء عنه بحكم كونهم رجال أشداء ... لمجرد الغيرة ... وتلك مشاعر تكون ممن ليسوا بأنبياء ... ما كانوا أنبياء ... قبل يوسف ولا بعده ...

كانوا بشرا ... لا يرى فيهم يعقوب شيئا من لألاء النبوة ونورها ... فلما جاءه يوسف ... بعد انتظار طويل ... اشتد حبه له ... حب نبي لنبي ... حب من وجد شيئا قطع عمره كله يبحث عنه ... حتى إذا أشرف على الموت ... وجد ذلك الشيء فجأة !

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَفْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَأْتِيهِ يَاقُوتٌ
بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ .

« قال قائل منهم » صريحا ، ورضى به الباقون .
« لا تقتلوا يوسف » لا تقدموا على قتل يوسف .
« وألقوه في غيابة الجب » واقذفوه في أعماق البئر .
والجب : البئر التي لا حجارة فيها .

اقذفوه في أعماق بئر من تلك الآبار الجافة المنتشرة في الصحراء ، والتي ليس فيها حجارة يستطيع أن يصعد عليها ويخرج منه .

« يلتقطه بعض السيارة » يلتقطه بعض الأقوام الذين يسرون في الأرض ، فيتمسكه فلا يمكنه الرجوع إلى أبيه ، فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب جريمة القتل .

« إن كنتم فاعلين » إن كنتم مصرين على أن تفرقوا بينه وبين أبيه .
وقد روى أن القائل هو أخوهم الأكبر ، بكر يعقوب (رؤوبين)

اشماعات

كذلك ... يتلى الله ... يعقوب ... ويتلى يوسف ...
وتلك ضريبة ... مفروضة ... على كل ممتاز ...
فكيف بالأنبياء ... وهم أرقى ما استطاع من الامتياز ؟
لابد أن يكون بلاؤهم شديدا ... شديدا ... شديدا ...
وفي هذه ... يتلى يعقوب بلاء ذا عديد من الشعب ...
فالمؤمنون أبناءه ... والمؤمن به ابنه ... وحييه ...
والمصيبة مزدوجة ... والعقدة عقدتين .
وعانى يعقوب التجربة في أشق صورها ...
وكان قدرا مقدورا !!

-- ١١ --

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ .

« قالوا » قال بعضهم ، أو قالوا جميعا .

« يا أبانا » يا والدنا .

« مالك لا تأمنا على يوسف » مالك تخافنا على يوسف ؟ !

لماذا تخشى عليه منا دائما ؟

« وإنا له لناصحون » ونحن نريد له الخير ، ونحبه ، ونشفق عليه ؟ !

أرادوا بذلك استنزاله عن عادته في حفظه منهم .

وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه

اشعاعات

لقد كان يعقوب - عليه السلام - يحس أن هؤلاء قوم لا يؤمنون على يوسف ...
وأنهم لا يتورعون أن يوقعوا به شرا ...
ويشير إلى ذلك قولهم « مالك لا تأمنا على يوسف » مالنا نراك هكذا دائما ...
تخشى على يوسف منا ؟
هناك إذا صراع خفي ... الأب يخفي عن أبنائه إحساسه الخفي نحوهم .. وهم يضيقون
بهذا الشعور من أيهم ...

- ١٢ -

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .
« أرسله معنا غدا » دعه يخرج معنا غدا حين نخرج للرعى في الصحراء .
« يرتع » يأكل ويشرب ، ويسعى وينشط ، حيث يكون المياه والزرع .
« يلعب » ويلعب كيف شاء ، كما يلعب سائر الصبيان .
فيكسبه ذلك نشاطا وحيوية وبهجة وسرورا ...
« وإنا له لحافظون » من أى مكروه ، فلا تخف عليه .

- ١٣ -

قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ .

« قال : إني ليحزني » إنه ليحزني أشد الحزن .
« أن تذهبوا به » أن تأخذوه معكم وتذهبوا به بعيدا عني ، لأنني لا أصبر على فراقه
« وأخاف أن يأكله الذئب » وأخاف أن تغفلوا عنه ، فيعدو عليه ذئب من ذئاب
الصحراء فيأكله .

« وأنتم عنه غافلون » إن زعتم أنكم له حافظون ، فحفظكم إنما يكون ما دمت ناظرين إليه ، لكن لا يخلو الإنسان عن الغفلة ، فأخاف غفلتكم عنه .
قالوا : « كان أشغل الأمرين لقاءه خوف الذنب عليه ، لأنه مظنة هلاكه .
« وأما حزنه لمفارقتة ربما يرتع ويلعب ويعود إليه سالما عما قليل ، فأمر سهل .
« فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه »

— ١٤ —

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَّاسِرُونَ .

« قالوا » قال بعضهم ردا على أبيهم .
« لئن أكله الذنب ونحن عصبة » ونحن جماعة أشداً أقوياء ، يمكننا أن ننزعه من الذنب ، وأن نمنع الذنب عنه .
« إنا إذا لخاسرون » إنا إذا عاجزون ... لا نساوى شيئاً ، إذا لم نستطع أن ندفع الذنب عن طفل ونحن على هذه الحال من الكثرة والقوة !

— ١٥ —

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

« فلما ذهبوا به » أى بعد مراجعة أبيهم فى شأنه .
« واجتمعوا » وافق رأيهم جميعاً .
« أن يجعلوه فى غيبة الجب » أن يلقوه فى أعماق البئر .
فيه تعظيم لما أزمعوا ، إذ أخذوه ليسكرموه ، ويدخلوا السرور على أبيه ، ومكروا ما مكروا .

« وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا » وأعلمناه بوحيينا إليه ... بأنك ستخلص مما أنت فيه ، وتحدثهم بما فعلوا بك ...

وذلك تبشيراً له .

« وهم لا يشعرون » لتحدثهم بذلك وهم لا يشعرون أنك يوسف ، لعلو شأنك ..
كما سيأتى فى قوله تعالى (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) .

أو : أوحينا إليه ذلك وهم لا يشعرون بما أوحيناها إليه ، إيناساً له وإزالة للوحشة .
روى أنهم نزعوا قميصه الملوّن الذى عليه ، وأخذوه ، وطرحوه فى البئر ، وكانت
فارغة لا ماء بها ، وجلسوا بعد ، يأكلون ويلهون إلى المساء !!

إشعاعات

لقد بدأت النبوة ...

« وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا »

كيف كان ذلك الوحي ؟

هل كان عن طريق جبريل عليه السلام ... أم كان مباشرة من الله إليه ...

أم كان عن طريق ملك من الملائكة ؟ !

علم ذلك عند الله ... وإنما المهم أن الإيحاء قد حدث ...

أن النبوة قد بدأت ...

الإيحاء إلى طفل ... كما أوحى تعالى إلى عيسى عليه السلام وهو فى المهد صبياً !!

عجب كله فعل الله تعالى !

طفل ... فى مازق ... لا يدرك شيئاً ... يقذفه عشرة رجال ... أشداء ... إلى بئر

مهلكة ... عميقة ... لا ماء فيها ... ولا أمل فى الخروج منها ..

فى هذه الظلمات المترابكة .. التى أحاطت بالطفل البرىء .. الضعيف ... العاجز ..

الذى لا يستطيع أن يفعل شيئاً لنفسه ...

فى هذا كله ... كان الإشعاع ... كان الوحي من السماء ...

كان الله ... هناك ... مع يوسف .

« وأوحينا » !!؟

نحن كنا معه ... لم يكن وحده ... إنه لي ... وأنا له ...

وأوحينا !؟

إلى يوسف !؟

إلى حبيبنا .. الذى أعددناه لنا ... يوسف !!

لتنبيئهم ... سوف نخبرهم يا يوسف مستقبلا .

بأمرهم هذا ... بهذا الأمر الذى فعلوا بك ...

كيف كان شعور ذلك الطفل ، وهو يعانى تجربة الوحي إليه فى تلك السن ؟

ذلك أمر لا يعلمه إلا الله ... فلك مقامات تكون بين الله وأنبيائه ... هم الذين

يدركونها ..

وإنما الذى يصل إليه ادراكنا ... أن يوسف .. قد فقه ... واطمان ... حين أوحى

الله إليه .

ثم ماذا ؟

ثم عجائب « وهم لا يشعرون » ...

لم يشعر اخوته أنه أوحى إليه فى تلك الساعة الزهية ... ساعة القوه فى أعماق البئر ...

وإنما ظنوا لجهلهم أنه هالك لا محالة ... وأنه وحده يمانى آلام الفناء ...

ولم يشعر اخوته ... حين دخلوا عليه ... وهو فى مقام الملك والعزة ... أنه هو

يوسف ... استبعادا أن يكون هذا الملك ليوسف !!

هم جاهلون ... فى الأول ... وفى الآخر ...

ولقد قالها لهم يوسف « إذ أنتم جاهلون » ...

إنه الظلام ... الظلام حين يغشى القلوب ... فتعمى ... ولا تبصر ما وراء المادة !!

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ .

« وجاءوا أباهم » وحضروا جميعا عند أبيهم يعقوب .

« عشاء » مساء ، بعد دخول الظلمة ، ليلا .

« يبكون » يفتعلون البكاء .

بيان لسكروهم بأبيهم ، بطريق الاعتذار الموهوم موته ، القاطع عنه متمناه ، لتقطع محبته عنه ، ولو بعد حين ، فيرجع إليهم بالحب الكلى . وقدموا عشاء لكونه وقت الظلمة المانعة من احتشامه في الاعتذار الكذب ، ومن تفرسه من وجوههم الكذب . وأوهوا يبكائهم وتفجعهم عليه ، إفراط محبتهم له المانعة من الجرأة عليه .

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ
الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ .

« قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق » أى في العدو والرمى بالنصل .

إنا ذهبنا نلعب ونسابق .

« وتركنا يوسف عند متاعنا » عند ثيابنا ومهماتنا ليحرسها .

« فأكله الذئب » فجاء الذئب وأكله كما حذرت .

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ونحن نعلم أنك لاتصدقنا في هذه الحالة ، ولو كنا

عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا ، وغير واثق بقولنا ؟

اشعاعات

قالوا : استفيد من الآية أحكام :

أن بكاء المرء لا يدل على صدقه ، لاحتمال أن يكون تصنعاً ،

مشروعية المسابقة ، وفيه من الطب رياضة النفس والدواب ، وتمرين الأعضاء على التصرف .

وروى عن عائشة قالت . سأبت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، فسبقتني في المرة الأولى ، فلما بدنت سببني ، وقال : هذه بتلك . [ابن ماجه]

وفي الحديث : لیس من اللهو ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله ، وتأديبه فرسه ، ورميه بقوسه . [أبو داود]

وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ
أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ .

« وجاءوا على قيصه بدم كذب » بيان لما تأمروا عليه من المكيدة ، وهو أنهم أخذوا قيصه الملون ، وغمسوه في دم معز كانوا ذبحوه .

« قال : بل سوات لكم أنفسكم أمرا » بل الحقيقة أن نفوسكم سوغت لكم أمرا سيئا ، من تعيب يوسف ، وتفريقه عنى ، والاعتذار بالكاذب .

قالوا : وقواه على اتهامهم ، أنهم ادعوا الوجه الخاص الذى خاف يعقوب ، عليه السلام ، هلاكه بسببه أولا ، وهو أكل الذئب ، فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم : (وأخاف أن يأكله الذئب) .

و (التوسيل) تزيين النفس للمرء ما يحرص عليه ، وتصوير القبيح بصورة الحسن . « فصبر » فشأنى صبر .

سوف أصبر على هذا البلاء .

والصبر قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت .

« جميل » هو ما لا شكوى فيه إلى الخالق ولا جزع ، رضا بقضاء الله ، ووقوفاً مع مقتضى

أى : سوف أصبر على تلك المصيبة التى لفقتموها صبرا لا أشكو فيه إلى أحد .
« والله المستعان على ماتصفون » والله المطلوب منه العون على احتمال ماتصفون من هلاك يوسف .

وقيل : المعنى : على اظهار حال ماتصفون ، وبيان كونه كذبا ، وإظهار سلامة يوسف ، فإنه علم فى الكذب .

وفى قوله : (والله المستعان) اعتراف بأن تلبسه بالصبر لا يكون إلا بمعونة تعالى .
قالوا : لأن الدواعى النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع ، وهى قوية .
« والدواعى الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا .
« فكأنهما فى محارب وتجادل ، فما لم تحصل إعانتة تعالى لم تحصل الغلبة » .

اشعاعات

وقعت المصيبة ... وبدأت التجربة التى كتبت على يوسف وأبيه ...
وجاء الكذابون إلى أبيهم يتصنعون له بكاء ... ويلفقون له أعدارا ...
وأجمعوا على أنهم صادقين ... فماذا كان من يعقوب ؟
كذبهم جميعا ... بل سولت لكم أنفسكم أمرا ...
ورماهم جميعا بأنهم اتفقوا على هذه المؤامرة ... حقدا على يوسف ...
ثم تلالأت فيه أنوار النبوة ... فجزته عن التفجع وإظهار الحزن ...
فأعلن ... فصبر جميل ... إني سوف أصبر صبرا جميلا ...
سوف لا أشكر إلى أحد ... سوف آوى إلى الله فى مصيبتى ...
ثم ماذا ؟ ... ثم تلالأت أنوار النبوة مرة أخرى ... فقال ... والله المستعان ...
ومنه تعالى أطلب العون على تحمل تلك المصيبة ...
على ماتصفون ؟
أطلب العون على تحمل ماتصفون من كيفية هلاك يوسف ...

العون على تحمل تصور منظره والذئب يقطعه ويأكله ويمضغه بأسنانه ، وينهشه
بأنيا به !!!

وقد كنتُ لا أحتمل أن يمسه النسيم !!
مصيبة كبرى ... الطفل المحبوب عند أبيه ... لأنه مستودع النبوة ... ومجلى
النور ...

يفعل به الذئب الأفاعيل، ويمزقه تمزيقا ... فتتبدد في لحظة كل آمال يعقوب في ابنه ...
وكل ما كان يرجوه منه ...

مصيبة لها وقع الصاعقة على النفس ... إلا أن يعقوب ... تجلد ... واستقبلها
في صمت ...

وجعل الألم يلويه ... ويمتصره ... ويمزق فؤاده ...
فلا يزيد على أن يقول : فصبر جميل ... والله المستعان ...
وصبر يعقوب في مصيبتيه صبرا جميلا ... فلم يشك ما حل به إلى أحد ...
وإنما جعل ييث إلى الله ...
وكما اشتد به عصف الحزن ... اشتد التجاؤء إلى الله ... وطلب العون منه تعالى على
تحمل مصيبتيه ...

والله المستعان ؟

اللهم أغنى على تحمل ما ابتليتني به عونا من عندك ...

وتلك مقامات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ... حين تقع بهم المصائب ...
صبر جميل ... والله المستعان ... لا يشكون إلى أحد ... ويستعينون بالله ... انه مقام
التوحيد ... الأعلى ...

انهم لا يرون المصيبة من أحد ... وإنما يرونها شيئا مسهم بإذن الله ، وإنما الخلق أسباب
ليس إلا ... فهم لا يشكون أحدا من الخلق ...

ولا يرون أن أحدا يستطيع أن يدفع عنهم المصيبة إلا بإذن الله .. فمن أجل ذلك لا يشكون إلى أحد ...

نم ماذا ؟

نم مقامهم ... إنهم يستعينون بالله وحده في حمل آلامهم ... وتجرع مرارتها ... ليقينهم أن الله وحده هو القادر على إمدادهم بتلك المعونة ...

ما هذا ؟

هؤلاء هم الأنبياء ... فينبأهم أشد الناس بلاء ...

تراهم أشد الناس علوا في تحمل البلاء ... وارفهم قدرا في الالتجاء إلى الله !!!
لماذا وقعت تلك المصيبة بيعقوب ؟

إنها قهروت إلهي ... قهره قهرا إلى ربه ... فطوى له بساط القرب من ربه ...
أعطاه ولدا . . . أجمل ولد ...

ولألا له فيه اشعاع النبوة ... فرأى فيه نورها ...

فلما أيقن يعقوب أن الله قد آتاه وأعطاه ...

وفرح بنعمة الله عليه ...

واشتد حبه لتلك النعمة ... وصارت له قرّة عين ... لا يطيق فراقها ...

سلبها لحياة منه ... على أيدي سائر أولاده ...

لتأخذ المصيبة عليه عقله ... فلا يجد أمامه إلا أن يفر فرارا إلى ربه ...

نم جعل الجنة هم أبناءه ... ليشعر نحوهم يعقوب بالمرارة ... فلا يجد في نفسه رغبة في الشكوى إليهم ... لأنهم هم الجنة ...

ولا يجد فيهم عوضا عما فقد ... بل يراهم سببا دائما لتكده وهمه . . .

وبذلك تم عزله تماما عن نفسه التي كانت تحب يوسف ...

وعن أولاده جميعا ... أما يوسف فقد ذهب ... وأما سائر الأولاد فقد تحولوا إلى

أعداء ...

فلم يبق أمامه إلا الباب الأوحـد ...
إنه القهـر وت الـهـى ... بسلطه تعالى على أحبـابه ... ليلجئهم إليه الجـاء ...
إنها عملية صـعق السـوى صـعقا .
ودك الأغيار دكا ... فلا يبقـى إلـا وـجـه الله أمام المبتلى !!!
وهكذا ذهب كل شـيء كان ليعقوب ... ذهبت الأغيار ...
وكان عليه أن يسير إلى الله سريعا .
وبدأ قلب يعقوب يـموج بأمواج الحزن والأسى ...
وبدأ أجـواره يصاعـد إلى الله ...
وكما أحس ثقل المصيبة ... رفع يديه إليه تعالى : اعنـى يارب ... اعنـى على حمل هذا
البلاء ...
وهكذا يصنع الله تعالى أنبياءه ... يصطفـيهم ... ثم يبتليهم ... ليـجـتـبـيهم لنفسه ...
ثم ماذا ؟
قالوا : فى الآية من القوائد ...
أن الجاه يدعـو إلى الحسد ، كالمال . وهو يمنع من المحبة الأصلية من القرابة ونحوها ،
بل يحمل عداوتهم أشد من عداوة الأجانب .
وأن الحسد يدعـو إلى المسكر بالمحسود ، وبمن يراعيه .
وأنه إنما يكون برؤية الماكر نفسه أكمل عقلا من المسكور ...
وأن الحاسد إذا ادعى النصـح والحفظ والمحبة ، بل أظهره فعلا ، لم يعتمد عليه .
وكذا من أظهر الأمانة قولـا وفـعلا يفـعل الخيانة .
وأن الازدلال والإعزاز بيد الله ، لا الخلق .
وأن من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه .
وأن الخوف من الخلق يورث البلاء .
وأن الإنسان ، وإن كان نبيا ، يخلق أولا على طبع البشرية .

وأن اتباع الشهوات يورث الحزن الطويل .

وأن القدر كائن .

وأن الحذر لا ينقذ من القدر .

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا
غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .

« وجاءت سيارة » وجاءت قافلة .

وجاء قوم يسرون .

« فأرسلوا واردهم » فبعثوا رجلاً يرد لهم الماء ويستقي لهم .

« فأدلى دلوهُ » فأرسل دلوهُ في الجب ليملاًها ، فتملق بها يوسف للخروج ، فلما رآه

الرجل ...

« قال يا بشرى » وقرىء (يا بُشْرَى) ابشروا ...

« هذا غلام » هذا صغير ... جميل ... وجدته نجاة يتعلق بالدلو ...

« وأسروه » وأخفوه .

« بضاعة » وجعلوه متاعاً للتجارة .

وجعلوا يفكرون أنهم سوف يبيعونه ، ويربحون من وراء ذلك أموالاً !

روى أنهم كانوا تجاراً من بلدة مدين . فلما أصدد واردهم يوسف وضموه إلى بضاعتهم

باعوه لقافلة مرت بهم سائرة إلى مصر بعشرين درهماً من الفضة ، ثم أتوا بيوسف إلى مصر .

« والله عليم بما يعملون » والله وحده هو الذى يعلم ماذا يترتب على ما يعملون .

هم ينظرون إلى الموضوع نظرة التجار ... الذين يبحثون عن المال ليس إلا ...

والله يريد من وراء ذلك أن يصل يوسف إلى مصر ... ليتحقق فيها ما يريده له ...

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .

« وشروه بثمان بخص » وباعوه بثمان حقير ...

لأنه لقيط ، لم يدفعوا فيه شيئاً ... ولأنه لا يملك ، إذ لو ملك استوفوا ثمنه .

« دراهم معدودة » كناية عن القليل ، لأن الكثير يوزن عندهم .

أى باعوه بثمان حقير ... دراهم قليلة ، معدودة ، لاتوزن ، محدودة ، عشرين درهما

من الفضة .

« وكانوا فيه من الزاهدين » وكان الذين التقطوه ، نى يوسف من الزاهدين ، من الراغبين

عنه ...

كانوا يودون التخلص منه بأى ثمن !!

اشعاعات

قالوا : من القوائد أن الفرج قد يحصل من حيث لا يحتسب . وأنه ينتظر للشدة .

وأن من خرج لطلب شيء قد يجد ما لم يكن فى خاطره .

وأن الشيء الخطير قد يعرض فيه ما يهونه .

وأن البشرى قد يعقبها الحزن ، والعزة قد يعقبها الذلة ، وبالعكس .

ثم ماذا ؟

فيها أن يوسف كان صغيرا جدا وقتها إذ لو كان يدرك شيئا لأخبر أهل القافلة عن

أهله .. ولردوه إلى يعقوب ... ولكن معنى ذلك أنه لا يستطيع أن يرشد عن أبيه ... وعن

اخوته ... وعمّا فعل به ...

ويرجح أنه كان وقتئذ لا يجاوز ثلاث سنين على الأكثر ... لأن الطفل بعد هذه

السن يستطيع إذا ضل عن أبيه أن يرشد عنها ..

ويشير إلى ذلك قول الرجل وهو يصيح « يا بشرى ... هذا غلام » ... أى هذا صغير .

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِإِعْلَامِهِ
مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَابٍ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ .

« وقال الذي اشتراه من مصر » روى أن القافلة لما نزلت مصر اشتراه منهم رئيس
الشرطة عند ملك مصر ، أى وزير الداخلية ، فأقام فى بيت سيده ، والعناية الربانية تحفه ،
والنجاح يحوطه .

فكان يرى سيده أن كل ما يأتى به ينجحه الله تعالى على يده ، فنال حظوة لديه ،
وأقامه قيماً على كل ما يملكه ، وضاعف تعالى الخير فى زرعه وماله وثروته .
« لامرأته » لزوجته .

وكانا عاقرين ... لا يولد لهما ، فقرحا به فرحا شديدا ...

« أكرمي مثواه » اجعلي مقامه حسناً مرضياً .

و (المثلوى) محل الثواء ، وهو الإقامة .

أى : أكرمي على أبلغ وجه وأتمه .

« عسى أن ينفعنا » فإنى أشعر نحوه بحب شديد ، وأتوسم فيه خيراً كثيراً سوف
يعود علينا .

« أو نتخذة ولداً » أو نتبناه .. عوضاً عما نحن فيه من العقم ، والحرمان من النرية ..

« وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض » كما جعلنا له مقاما كريما فى منزل العزيز

جعلنا له تصرفا بالأمر والهمى ، ومكانة رفيعة فى أرض مصر ، ووجاهة فى أهلها ، ومحبة
فى قلوبهم .

« ولنعلمه من تأويل الأحاديث » ليكون عاقبة ذلك تعليمه ، تأويل الرؤيا التى
ستقع من الملك ، وتقضى يوسف إلى الرياسة العظمى .
« والله غالب على أمره » والله لا يُمنع عما يشاء ، ولا يُنازع فيما يريد .
أو : والله غالب على أمر يوسف ، أريد به من الفتنة ما أريد غير مرة ، فلم يكن إلا
ما أراد الله له من العاقبة الحيدة .
« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » لا يدركون أن الأمر كله بيده تعالى ، فيأتون
ويذرون زعما أن لهم شيئا من الأمر .
أو : يجهلون لطائف صنعه ، وخفايا لطفه .

اشعاعات

فيها أنوار ... وألطف ... ورحمات ... ونواميس ...
فمن إشعاعاتها أن الذى اشتراه من مصر ... كان ذا سلطان ... وزيراً للداخلية ...
بيده السلطة العليا فى الأمن فى البلاد .
ومثل ذلك الرجل ... يكون الذى فى بيته ذا أمر ونهى كذلك ... تبعاً لسلطات
سيده ..
وهذا تمهيد ... وتدريب ليوسف ... على مباشرة السلطات ومهام المناصب ...
فى المستقبل ...
وكان ذلك الرجل عقيماً ... وكانت زوجته عاقراً ... فهناك استحالة أن يكون لهما
ذرية ... ومثل هؤلاء يكون شوقهم إلى الطفل شديداً ...
وهذا هو ما حدث عندما شاهده العزيز لأول مرة .. فقد أحبه حباً شديداً ... وتعلق
به قلبه .
ومن ذا الذى لا يحب طفلاً .. على صورة يوسف .. فيه لألاء النبوة ظاهراً وباطناً ؟
فموضه الله تعالى بحب أبيه ... حب العزيز ...

وهكذا... قطعه من هناك... ليصله هنا... إنه هو البر الرحيم !!
ثم ماذا؟... ثم هذه... امرأة العزيز... ما إن رآته... حتى جنت به حبا...
وشغفها حبا...

وما لها لا تحب طفلا لا يوجد على وجه الأرض مثل جماله... ولا أرقى من صفاته؟
أحبته بغريزة الأمومة المحرومة من الطفولة إلى الأبد...
وأحبته بغريزة الأنثى التي تدرك بالاشعور امتياز الذكر الذي أمامها حين تبتاعه
بعينها !!

وأحبته لجرد أنه طفل رائع الجمال حلو التقاطيع... بارع القسبات.. في نظراته قوة
خارقة... أعدها الله لتسود على أهل مضر جميعا...

فرأت فيه الطفل الذي كانت تتمنى !!
وهكذا... عوضاً عن أمه التي فقد... أبدله الله أماحنونا... وقلبا شفوفا..
قطعه هناك... ووصله هنا... إنه هو الودود الرحيم !
ثم ماذا؟

ثم انظر إلى تعبير العزيز « أكرمي مثواه »..
من الذي دفع العزيز أن يقول هذا الكلام؟
إنه الله... هو الذي حرك قلب العزيز نحو يوسف... وجعله يحس أن هذا طفل
غير الأطفال جميعا... إنه شيء آخر... شيء ممتاز... يتمنى كل إنسان أن يكون له
ولدا...

ونفس الشعور كان عند امرأته... تلقتة بفرحة لا تعدلها فرحة...
تماماً كما صنع الله تعالى بموسى..
« وَأَلْقَيْتُ عُودِي عَلَى رَأْسِهِ »... كما ألقى الله تعالى محبة على الطفل موسى.. جعلت
امرأة فرعون تقول «... مُرَّةٌ عَيْنٍ لِي وَلكَ ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتخذه
ولداً... »

ألقى الله تعالى محبة على يوسف ... فما رآته امرأة العزيز ... حتى وقع من قلبها موقعا عظيما ...

أرأيت ؟ ... كما صنع بالطفل موسى ... صنع بالطفل يوسف !!

ناموس واحد ... يسرى في أنبياء الله تعالى !!!

لقد كان يوسف وقتها لم يبالغ الثالثة من عمره ...

وكان موسى وقتها رضيعا ... ولد اساعات قليلة ...

هذا يدفع إلى امرأة عاقر ... زوجة الملك ...

وهذا يدفع إلى امرأة عاقر ... زوجة العزيز ...

فماذا تفسر ذلك ؟

إلا أن يكون الصانع واحدا ... له ناموس واحد ... لا يتغير !!

وهكذا ... مكن الله ليوسف في الأرض ... حين جعله ذا تأثير خارق على قلب وزير

الداخلية ... وقلب زوجة وزير الداخلية ... ومتى هيمن يوسف على قلبيهما فقد هيمن على

عقولهما .. ومتى هيمن على عقولهما فقد هيمن على ما تحت يد الوزير من سلطات !

تمكين باطن ... يؤدي إلى تمكين ظاهر ...

وكذلك مكنا ليوسف من قلبيهما ... فكنا له بذلك في الأرض !!

فانظر إلى عجائب صنعه تعالى !!

ثم ماذا ؟ ... أو ما علاقة تعليمه تأويل الأحاديث ... بهذا الذي حدث ليوسف ؟

قد يبدو ألا علاقة ... ولكن هناك علاقة ... بعيدة ... عميقة ...

أن التمهيد ليوسف في قصر وزير الداخلية ... وإشرافه على شئون الوزير الخاصة ...

يعطيه الفرصة ليتعرف على شخصيات مصر ... ليشتهر أمره بينهم ... ويزدادوا له حبا ..

ويزدادوا له تعظيما ...

وهذا سوف يكون له من الآثار البعيدة بعد ذلك ماله ...

حتى إذا رأى الملك رؤياه ... وثاروا فيها جميعاً ... وقع اختيارهم على يوسف ...
ذلك المشهور بينهم جميعاً ... ليؤول الملك رؤياه ...

فيزداد شهرة على شهرة ... تدفع الملك أن يختاره ليكون رئيساً للوزراء !!
ثم ماذا ؟

ثم ذلك الناموس الرهيب ... « والله غالب على أمره » ... والله غالب أمره ... نافذ
حكمه ... إرادته هي الغلبة الغالبة ... دائماً ... وأبداً ... لا يكون إلا ما يريد ...
هذا هو الحق ... « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ... وهذا هو المؤسف من
الأمر !!

يتوهم الناس أن لهم شأننا ... ولا شأن لهم في الحقيقة ...

أو أن لهم إرادة فعالة ... لا يمنعها شيء ...

والحقيقة العميقة جداً جداً ...

أن الناس لهم إرادة ... منحهم الله إرادة حرة ... يفعلون ما يشاءون ...

ولكن إرادة الله هي الغلبة ... على تلك الإرادات جميعاً ...

إذا شاءت سمحت لها أن تمضي ... وإذا شاءت لم تسمح ...

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ...

ولعل هذا هو سر قوله « والله غالب على أمره » ...

لم يقل « والله نافذ أمره » وإنما « غالب » ... إشارة إلى أن هناك شيئاً قد غلب

على أمره ...

هناك الناس جميعاً ... لهم إرادات حرة ...

ولكنها إذا تسلطت عليها إرادة الله غلبت هناك ... ونفذت فيها كما تشاء ...

وهذا الناموس ... يكشف الغطاء عن ذلك الأمر المشكل الذي حير كثيراً من

الناس ...

إنها نظرية السلطة العليا ... تبطل السلطة الدنيا ...

أنت أيها الإنسان لك إرادة ؟ ... نعم ... ولكن هناك إرادة عظمى ... لها أن
تلفى إرادتك في أى وقت ...

منحك هو إرادة حرة ... والذي منح له أن يسلب في أى وقت ما منح ...

- ٢٢ -

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ .

« ولما بلغ أشده » ولما بلغ يوسف زمان اشتداد جسمه وقوته .

ولما اكتملت رجولته ، واكتمل عقله .

قالوا : العرب تقول : بلغ فلان أشده ، إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته قبل أن يأخذ

في القصدان .

« آتيناه حكما » آتيناه من لدنا حكما بين الناس ... أعطيناه رياسة وعلوا بالحق ...

« وعلمنا » وعلمنا من لدنا ... آتيناه علما عظيما ... علوم النبوة ... وعلوم الملك

وسياسة الشعوب ... وحسن تصرف مقدرات البلاد ...

وفي تنكير الحكم والعلم .. إشارة إلى عظمة ذلك الملك ، وعظمة ذلك العلم ...

« وكذلك نجزي المحسنين » ومثل هذا الجزاء العظيم ... نكافئ دائما الذين أحسنوا

في حياتهم الدنيا ... الذين اتجهوا إلينا ... وأرادوا وجهنا ...

اشعاعات

أنى تملك الآية اشعاع ؟!

بل اشعاعات ... بل اشعاعات الاشعاعات !

تكاد من نورها ... تقول : دعونى ؟!

فيها ناموس عظيم ... أوجبه الله تعالى على نفسه ... « وكذلك نجزي المحسنين » ..

ناموس لا يتبدل... كل من أحسن فى حياته... كل من أخلص لله قلبه... كان حتماً
أن يؤتبه الله حكماً وعلماً من لدنه...

ذلك أن القلب هو جهاز الاستقبال للاذاعات الالهية... إن صبح ذلك التعبير...
صفات الله تعالى... فعالة دائماً... منطلقة فى الوجود دائماً...

وقلوب الخلق هى الأجهزة التى أعدها الله تعالى لاستقبال آثار تلك الصفات...
فمن أحسن... فمن أخلص قلبه لله... أى أدار قلبه لله... أى فتح قلبه لاستقبال الاذاعة
الالهية... لاستقبال الارسال الالهى...

التقط قلبه تلك الموجات الالهية المنتشرة فى الكون كله !!

ما هذا ؟

هذا اشعاع باهر...

إن القلوب خلقها الله له... له وحده... أجهزة مخصصة لاستقبال موجات رحماته
التي يرسلها فى ثنايا الكون كله...

فتى خلصت له... وتخصّصت له... استقبلت فوراً تلك الموجات... موجات الرحمة
والعلم... والرضى... والأنس... والخير...

أى : آتيناها حكماً وعلماً...

عجائب والله عجائب !!

كما تدير مفتاح التليفزيون على محطة ما... فتكون إذاعة تلك المحطة...

كذلك هذه القلوب... لها مفتاح... هو الاحسان... هو الاخلاص... هو التوجه
المباشر إلى الله... هو إرادة وجه الله... هو أن لا يكون فيها مكان لغيره سبحانه...

ومتى أدركت ذلك المفتاح... كانت الاذاعة على الفور... تدفقت الموجات الالهية إلى
قلبك تدفقاً مباشراً...

بل تلك الموجات أرقى وأرقى... وأعلى وأعلى... وله المثل الأعلى...

وَرَأَوْدَتُهُ أَتَى هُوَ فِي يَفْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ
هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ .

« وراودته » وطلبت منه أن يواقعها بشق أنواع المطالبة والحادثة .

« التي هو في يدها » المرأة التي يعيش يوسف في قصرها .

« عن نفسه » أي خادعته ، ولاطفته ، تستميله إليها ... وتدفعه إلى ما تريد منه

أن يفعل .

« وغلقت الأبواب » وأحكمت إغلاق الأبواب . لتحقيق بذلك خلوة تامة بيوسف .

« وقالت » وقالت ليوسف .

« هيت لك » تعال ...

« قال » قال يوسف .

« معاذ الله » أعوذ بالله معاذاً مما تدعيني إليه ، إنه زنى وخيانة فيما أؤمنت عليه ،

وضرأ لمن توقع النفع ، وإساءة إلى من أحسن إلى !!

« إنه ربي » إنه الله ربي ...

« أحسن مثواي » أحسن مقامى ، وأكرمنى غاية الإكرام ... فكيف أقابل إحسانه

إلى ، بالإساءة ، والمعصية ؟

أو : إن الشأن الخطير هذا ، وهو ربي ، أى سيدى العزيز ، أحسن مثواي ، أى

تعهدى ، حيث أمرك بإكرامى ، فكيف يمكن أن أسىء إليه بالخيانة فى حرمه ؟

وفيه ارشاد لها إلى رعاية حق العزيز بالطف وجه .

« إنه لا يفلح الظالمون » المراد بالظالمين كل من ظلم ، كائناً من كان فيدخل فى ذلك

المجازون الاحسان بالإساءة والمعصاة لأمر الله تعالى ، والزناة لأنهم ظالمون لأنفسهم

وللمزنى بأهله .

اشعاعات

قالوا : فيها ثمرات ...

أن الواجب عند الدعاء إلى المعصية الاستعاذة بالله من ذلك ، ليعصمه منها ، ويدخل

فيها دعاء الشيطان ، ودعاء شياطين الإنس ، ودعاء هوى النفس .

أن السيد والمالك يسمى (رَبًّا) .

وأقول ... فيها اشعاعات كبرى ...

أن نشأة يوسف في قصرها ... من صغره حتى بلغ أشده ... أى من دون الثالثة ...

حتى صار شابا قويا ... تشبیه كل انثى ... جعلها تطاع على خفايا شخصيته الباهرة القاهرة

فشخصية يوسف كانت باهرة ... بما فيها من أنوار ساطعة ...

وقاهرة ... بما فيها من قوة أعدها الله لتحكم وتتحكم ...

فهو الجليل الأخاذ ... والقوى الجذاب ... وهذا آخر ما تطمح إليه الأنثى ...

كما اطلعت منه على خفاياه ... فبهرها سناه ...

فبينما هو أحسن الناس صورة ... إذا هو أحسنهم خلقا ...

وبينما ظاهره أنه مملوك ... إذا هو ملك يملك ولا يملك ...

هاهى فى جماها ... وزينتها ... وسلطانها عليه ...

ترتب ترتيبا ... وتمخلى القصر ممن فيه ...

وتغلق أبواب القصر ، وأبواب جناحها ، وأبواب حجرة نومها ...

أعدت الجو ... جو المتعة ... والاستمتاع ...

وهاهى تتثنى ... وتراوده بشتى طرق المراودة ...

وتستسلم له بشتى وسائل الاستسلام ...

وتغريه بكل امكانيات الإغراء عندها ...

عطور ... زهور ... اخراج ... خلوة ...

كل شيء يدعو إلى الاستجابة ...

وهو أبى .. وبأبى .. حتى تضطر المرأة أن تصارح برغبتها فيه علانية بعد أن فشلت وسائل التلميح والإغراء فقالت له : هيت لك ..

أى تعال .. تعال يا حبيبي ..

تعال يا محبوبى .. إني قد جنت بك حبا ..

فماذا كان ؟

ما إن وصلت إلى هذا الحد من الإصرار على تنفيذ رغبتها حتى نادى يوسف ربه :

معاذ الله .. أعوذ بك يا الله ، أن تعصمنى من تلك الفحشاء ..

ثم صاح : كلا .. إنه ربي .

لن أعصيه من أجلك .. إنه أحسن مثواى .. إنه أكرمى فكيف أقابل أكرامه بالإساءة

ثم أعلن يوسف ناموسا خالدا من نواميس الله ... إنه لا يفلح الظالمون .. لا يفلح

من ظلم .. أبدا ... لأن الظلم ظلمات ..

ما هذا ؟ . لقد افتتنت المرأة بجمال يوسف ، فأرادته لنفسها ، وراودته عن نفسه ...

وهنا تلاقأ معدن يوسف فأبى ... ثم أبى ...

لقد كانت ترى فى يوسف مجرد رجل ككل الرجال ..

تراه رجلا قويا جميلا .. يحقق رغبتها الجنسية على أكل وجه ..

تراه مجرد مملوك لها .. لها أن تأمره فيطيع .. لها أن تستمتع به كيف شاءت متى شاءت ..

ولا تتصور أنه سوف يعصى لها أمرا !!

وجاءته بكل فتنتها .. فجاءها بكل امتناعه .

وجاءته بكل ظلماتها ، فصددها بكل أنواره ..

لقد رأت المرأة من يوسف ظاهره ... رأت منه رجلا حسن الصورة قوى البدن ...

فيه جاذبية تجذب النساء إليه جذبا ..

وغاب عنها حقيقة أنواره .. فلم تر ما أودع الله فيه من أسرار !

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ .

« ولقد همت به » ولقد عزمت امرأة العزيز عزمًا جازمًا ، لا يلوئها عنه صارف . عزمت على ضرورة مخالطته ، والظفر بما تريد منه ، بعد ما باشرت مبادئها من المرافقة ، وتعليق الأبواب ، ودعوته إلى الإسراع إليها بقولها (هَيْتَ لَكَ) مما اضطره إلى الهرب إلى الباب .

والهم يكون بمعنى القصد والإرادة .

ويكون فوق الإرادة ودون العزم ، إذا أريد به اجتماع النفس على الأمر والازماع عليه . وبالعزم : القصد إلى امضائه . فهو أول العزيمة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، مالم تتكلم به ، أو تعمل به . [البخارى]

« وهم بها » معنى الهم هنا هو خطوط الشيء بالبال ، أو ميل الطبع ، كالصائم في الصيف يرى الماء البارد ، فتحمله نفسه على الليل إليه ، وطلب شربه ، ولكن يمنعه دينه عنه .

فالهم هنا عبارة عن جوازب الطبيعة ، ورؤية البرهان جوازب الحكمة .

وهذا لا يدل على حصول الذنب ، بل كلما كانت هذه الحال أشد ، كانت القوة على لوازم العبودية أكمل .

وقالوا : إن هم هنا بمعنى ميله إليها ، بمقتضى الطبيعة البشرية ، وشهوة الشباب ، ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف ، لأنه قصدها قصدا اختياريا .

« لولا أن رأى برهان ربه » لولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت به ، لتوفر

الدواعى .

ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء .

لولا أن رأى برهان ربه : أى حجته الباهرة ، الدالة على كمال قبح الزنى ، وسوء سيئله .
والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ، ومشاهدته لها مشاهدة واصله إلى مرتبة عين اليقين
وكانه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النير ، على ما هو عليه فى حد
ذاته أقبح ما يكون ، وأوجب ما يجب أن يحذر منه ، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام
والحكم بعدم افلاح من يرتكبه .

أى : لولا مشاهدة برهان ربه فى شأن الزنى لجرى على موجب ميله الغريزى ، ولكن
حيث كان مشاهدا له من قبل ، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان .

وهذا بيان أن امتناعه — عليه السلام — لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة ، بل
لخص العفة والنزاهة ، مع وفور الدواعى الداخلية ، وترتيب المقدمات الخارجية ، الموجبة
لظهور الأحكام الطبيعية .

« كذلك لنصرف عنه السوء » لن دفع عنه المنكر والفجور والمكروه .

« والفحشاء » لن دفع عنه الفحشاء ، وهى ما تنهى قبحه ... لن دفع عنه الزنى .

« إنه » إن يوسف

« من عبادنا المخلصين » من عبادنا الذين أخلصناهم لطاعتنا ، وعصمتهم ، لنخصصهم

لأنفسنا .

وقرىء : المخلصين

بمعنى الذين أخلصوا دينهم لله

اشعاعات

ماذا فى هذه ؟ ...

ففى أجمل أزمة نفسية يمكن أن يتعرض لها إنسان ...

وأشق امتحان ... يمكن أن يجوزه بشر ...

وفى شهادة ليوسف .. أنه أعرض عن شيء .. ليس من المستطاع الاعراض عنه ..

والنظر فى الجملة ... هو هذا ... امرأة على الغاية من الجمال والدلال والشباب ...
فى خلوة تامة ... وأبواب مغلقة ... فى جو يشجع كله على الجريمة ...
أقبلت إليه شبه عارية ... تدعوه إلى نفسها ... بكل ما يمكن لأثنى أن تستميل به
الذكر ...

وشاب على الغاية من الجمال ... وعلى الغاية من القوة ...
تفرض عليه المرأة هذا الوضع فرضاً ...
وتدعوه إلى نفسها بكل ما يثير الغريزة الجنسية فى الذكر !
ماذا يحدث فى هذا الموقف ؟
الذى يحدث أن المرأة التى تريد ... وتمنى نفسها بقضاء لحظات من اللذة والمتعة ...
تكون على الغاية من التفتح والرغبة والاشتهاء ...

وأن الذكر الذى رأى أمامه فجأة امرأة عارية ... أو شبه عارية ... تعرض نفسها
عليه ... تتحرك فيه الغريزة ... وتحذثه نفسه بجمالها ، واشتهاؤها ...
شئ غريزى ... لا يقاوم ...
فإذا حدث من يوسف ؟
تحركت فيه الغريزة ... وتحرك فيه العقل فى وقت واحد ...

هذه تشهى ... وهذا يقيم له البرهان على أن هذا الذى تحذثه به نفسه ، إنما هو فعل
قبيح ، ومعصية تغضب الله تعالى ...
وانتصر العقل .. على الغريزة ..
وكان ذلك امتحاناً رهيباً ..
جازه يوسف .. ونجح فيه نجاحاً باهراً ..

هذه هى القصة التى أكثر الناس من ليها بالسنتهم ... وذهبوا فيها المذاعب .. منظر
عادى .. مألوف ..

إنه الصراع النفسى الذى يحدث فى نفس كل إنسان عندما يتعرض للوقوع فى معصية .

تجاذب طرفى الاستعلاء .. والنزول ..

تجاذب العريضة مع العقل ..

وانتصر العقل .. وكان ذلك بتأييد من الله ليوסף .

لماذا ؟

لأنه مخلص لله .. اختاره الله لنفسه .

ولم تنظر المرأة من يوسف بشيء مما كانت تمني به نفسها !!!

- ٢٥ -

وَاسْتَقْبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

« واستبقا الباب » ولقد همت به ، وأبى هو ، واستبقا الباب .

أى قصد كل سبق الآخر إلى الباب .

فيوسف - عليه السلام - ليخرج ، وهى لتمتعه من الخروج .

والمراد بالباب هنا الباب الخارجى للقصر ، الذى منه المخلص والمهرب ..

لقد فر يوسف منها .. وتوجه نحو باب القصر الخارجى .. ليهرب من تلك الفتنة

التي أحيط بها ..

وانطلقت هى من ورائه .. وهى على ماهى عليه من إخراج وعرى .. تريد أن تمتعه ..

وتجذبه إليها مرة أخرى !!

« وقدت قيصه من دبر » أى اجتذبتة من خلفه فاقعد ، أى انشق قيصه .

« وألفيا سيدها لدى الباب » وصادقا زوجها هناك قادما عند الباب .

« قالت » قالت امرأة العزيز .. حين ضبطها زوجها وهى على تلك الحال .

« ماجزاء من أراد بأهلك سوءا » ما عقاب من أراد أن يزني بزوجتك ؟
« إلا أن يسجن » إلا أن يلقي في السجن .
« أو عذاب أليم » أو يعذب على ذلك أشد العذاب .

اشعاعات

انطلقت صاحبتنا وراء يوسف .. تحاول أن تمنعه من الخروج .. وترغمه على الاستجابة لرغبتها الحارقة ..

وجأة كان وزير الداخلية ... كان زوجها عائدا .. من الخارج ..
وجأة .. كذلك .. تصرف المرأة الذكية .. وخرجت من المأزق ..
فأتهمت يوسف بأنه كان يريد أن يغتصبها .. وأنها كانت تقاومه .. وهو يريد أن يرغمها !!!

ولم تقف عند ذلك .. بل حكمت هي في القضية ..
وحددت العقوبة .. إما السجن وإما التعذيب أشد العذاب !!
فماذا نأخذ من هذا ؟

نأخذ منه أن في هذه عدة أزمات متداخلة في بعضها البعض ..
أزمة للزوج .. حين يفاجأ بزوجته .. مع شاب .. وهما في حالة مربية .. وهو لا يدري
ما القصة ؟ ... وهو على ما هو عليه من المهابة والسلطة في منصبه ... فإذا بمنزله في مثل
هذه الفوضى !!

ثم هذا الشاب ... يوسف ... الذي أكرمه ... ورباه ... ورعاه ... كيف سولت
له نفسه أن يخونه هذه الخيانة ؟

أزمة عنيفة جداً ... وقع فيها الزوج فجأة !!
وأزمة ليوسف .. حين يجد نفسه فجأة أمام سيده ... الذي أحسن إليه ، ورباه ...
وأكرمه ... في مثل هذا الموقف ...

وماذا يكون إحساس يوسف ، وهو يشعر بالآلام التي تحتاج الرجل ، وهو يفاجأ
بتلك المفاجأة ؟

ثم كيف يرى نفسه ... وهي قد سارعت إلى اتهمه .. والمرأة مصدقة دائماً في تلك
المواقف ؟

وأزمة .. للمرأة نفسها .. حين فوجئت بزوجها .. يضبطها متلبسة .. كل الشواهد
تشير إليها .. ولذلك سارعت إلى اتهام يوسف .. قبل أن ينتشر الأمر !!
وهكذا .. أزمات متداخلة .. تتلاحق سرعاً ..

فما كان من يوسف .. كذلك إلا أنه تصرف بسرعة .. ودفع عن نفسه تلك التهمة
الشائنة .. فقال ..

— ٢٦ —

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ
قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

« قال » قال يوسف دفاعاً عن نفسه ، ونفياً لتلك التهمة الشائنة عنها .

« هي » هي « وليست أنا »

« راودتني عن نفسي » حاولت معي شتى المحاولات لاغرائني على ما تريد .. فأبيت ..

واعترضت .. وفررت منها فراراً .. فوثبت من خلفي .. تشدني إليها شداً ..

« وشهد شاهد » وشهد رجل هذا المشهد العجيب .. وكان ذلك الرجل قادماً مع زوجها

« من أهلها » من أسرتها .. وليس من أسرة زوجها .

« إن كان قميصه قد » إن كان قميصه تمزق .

« من قبل » من أمام .

« فصدقت » فصدقت زوجتك أيها العزيز .

« وهو من الكاذبين » لأن قده من أمام أماره الدفع عن نفسها به ، أو تعثره في مقام قيصه بسبب إقباله عليها ، فقد لإسراعه خلفها .

- ٢٧ -

وَلِإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

« وإن كان قيصه قد من دبر » تمزق من خلف .

« فكذبت » فكذبت امرأتك أيها العزيز .

« وهو من الصادقين » لأنه أماره ادباره عنها ، بسبب أنها تبعته ، واجتذبت ثوبه

إليها فزقه ..

- ٢٨ -

فَلَمَّا رَأَى قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ قَالَتْ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنْ إِنَّ كَيْدَكُنْ عَظِيمٌ .

« فلما رأى » فلما رأى العزيز .

« قيصه » قيص يوسف .

« قد من دبر » شق من خلف .

« قال » قال العزيز .

« إنه من كيدكن » إن هذا الذي حدث من مكركن وحيلكن أيها النساء .

« إن كيدكن عظيم » إن مكركن شديد .

ولما استعظم كيدهن لأنه أطف وأعلق بالقلب ، وأشد تأثيرا في النفس ، ولهن فيه

دلال ورفق ، وبذلك يبلبن الرجال .

- ٢٩ -

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ

مِنَ الْخَاطِئِينَ .

« يوسف » ثم قال العزيز موجها الكلام إلى يوسف : يا يوسف .
« أعرض عن هذا » أعرض عن هذا الأمر واكتمه ، ولا تحدث به .
« واستغفرى لذنبك » واعتذرى إلى يوسف عن الاساءة إليه .
استغفرى لذنبك الذى وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ، ثم قذفه بما هو برىء

منه .

« إنك كنت من الخاطئين » إنك كنت من القوم المتعمدين للذنب .
إنك كنت من المحترفين الاجرام ، الذين يرتبون للجريمة ، ويهيئون لها الأسباب ،
ثم يرمون بها البراء .
يقال : خطيء إذا أذنب متعمدا ، وأخطأ إذا فعله من غير عمد .

اشعاعات

اختلفوا فى أسباب تهاون العزيز مع امرأته . إلى حد أنه اكتفى منها بالاعتذار إلى يوسف .
فن قائل : كان رجلا حلما !
ومن قائل : عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه .
ومن قائل : إنه كان قليل الغيرة .
ومن قائل : هى لطف من الله تعالى بيوسف عليه السلام .
ومن قائل : إنه مقتضى تربة مصر .
ومن قائل : إن لاختلاف أحوال العمران فى الخصب والجذب ، وأقاليمه فى الحرارة
والبرودة وتواجبهما ، أثرا فى أخلاق البشر وأبدانهم .
وعندى أن العزيز كان رجلا كسلا كسل الرجال ، ليس بقليل الغيرة ، ولا بشديد البرودة .
ولأنما هو يعلم تمام العلم أن يوسف لن يرتكب الفحشاء .. مهما كانت المغريات ..
لأنه خالطه .. طيلة طفولته ... وصباه .. وشبابه .. فتأكد لديه أنه عفيف متعفف ، ذا
إرادة خارقة فى السيطرة على نفسه ، وكبح جماحها .
وهذا هو أقوى الأدلة عندى ، فى موقف الرجل .

أنه موقن أن يوسف لن يفعل سوءا بزوجه أبدا .
هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى .. أن الرجل خاف الفضيحة والتشهير السياسى .
فهو وزير للداخلية .. أى يشغل أكبر منصب سياسى بعد الملك .
وهو صاحب السلطات الواسعة ، فلو أن الأمر ذاع فى مصر ... أن امرأة العزيز على علاقة بملوكها .. لكان ذلك ضربة قاضية لمستقبله السياسى فى البلاد .
ولتلقفه خصومه السياسيون ، وشهروا به تشهيرا .
ولذلك رأى الرجل الداهية ، أن يعالج الأمر علاجا عميقا .
فطلب من يوسف أن يعرض عن الموضوع .. ويعتبره منتهيا .. ويكتمه ولا يتحدث به إلى أحد .

وذلك بعد أن أعلن إليهما أن الفعل من ترتيب زوجته .. فبرا بذلك يوسف واتهمها
نم طلب إليها أن تعتذر إلى يوسف لأنها ارتكبت جريمة كبرى .
وبذلك يفوت على خصومه السياسيين أن ينالوه من هذا الطريق فيقولوا : وزير
الداخلية يكتشف فضيحة فى قصره .. امرأة العزيز تراود فتاها .. المملوك الساحر على علاقة
بسيده .. زوجة وزير الداخلية تقع فى غرام .. يوسف .. فأتى النساء !!
إلى غير هذا من أراجيف التشهير السياسى الذى يكون فى مثل هذه الحالات .
أضف إلى ذلك أن الرجل أذل امرأته بهذا .

فهو قد سجل عليها الجريمة .. واحتفظ بهذا السلاح لديه .. ليشره فى وجهها فى أى وقت .
هذا فضلا عن أن الرجل كان متزنا ... بورجوازيا ، ابن قصور ، ولم يكن على دين
يقبح لديه الفحشاء ... وإنما كان ابن ذوات ... قد ألف مثل هذه الألاعيب الغرامية فى
مجتمعه ... ولا يراها كبيرة .

ولذلك عالج الموضوع بما يتناسب مع تفكير هؤلاء الناس .
ولكن هل هذا كله قد أدى إلى كتمان الفضيحة .. واسدال ستار النسيان على الموضوع ؟
كلا .. فقد تسرب الخبر فى العاصمة .. وأصبح حديث القصور .. ونساء القصور ...
ولذلك يقول ..

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

« وقال نسوة » وانتشر الخبر ... وشاع وذاع وقال نسوة من ربات القصور ...
« في المدينة » في العاصمة ... في مصر .

« امرأة العزيز » زوجة الأمير .. زوجة صاحب العزة والسلطة والسيادة ...
« تراود فتاها » تطلب من مملوكها ... تعرض نفسها على مملوكها ... بكل مايتصور
من أساليب العرض والاغراء ...

« عن نفسه » تخادعه عن نفسه ... ليقع بها ، ويأتيها ... ومع هذا كله يتنزه عنها ،
ويأبى !!!

« قد شغفها حبا » قد خرق حبه شغاف قلبها ، حتى وصل إلى الفؤاد .
والشغاف حجاب القلب .

« إنا نراها في ضلال مبين » إنا نراها في خطأ عن طريق الرشد والصواب . واقحام
الرؤية ، للاشعار بأن حكمهن بضلالها صادر عن رؤية وعلم ، مع التلويح إلى تنزههن عن
مثل ذلك .

اشعاعات

وانتشر الأمر ... رغم محاولات العزيز ... وأصبحت القصة حديث العاصمة . .
وموضع فكاهة النساء والبيوتات ...

زوجة الأمير ... زوجة وزير الداخلية تعرض نفسها على مملوكها ... والمملوك يأبى !!
هذه امرأة مجنونة .. امرأة مستهترة .. امرأة فاجرة .. وهذا هو معنى : إنا نراها في
ضلال مبين ..

امرأة لم ترع حرمة قصرها .. وحرمة زوجها .. وحرمة أمرتها ..
فيرد بعضهن : قد شغفها حبا .. الحب .. الحب :: ماذا تصنع وقد جنت بحبه ؟!
فالمفهوم من الفقرات الثلاث أن الموضوع أصبح حديث الصالونات والمجتمعات
والقصور .. وغير القصور .

والآية تسجل بعضا من اتهامات الناس لها ، وأقاويلهم فيها ... فتسجل :
« امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » .
« قد شغفها حبا »
« إنا نراها في ضلال مبين »

هذا جزء من كل .. وليس كل ما قيل وإنما هو أهم ما قيل ..
تسجله الآية .. لتشير بذلك إلى مدى انتشار الموضوع في العاصمة والبلاد المصرية ...
وإلى جوار ذلك .. تنتشر كذلك شهرة يوسف في البلاد .. بالأخلاق العليا في أعينهم .
وحين تقع الواقعة ... خاصة في المسائل الجنسية .. تكثر أقاويل الناس . ويطلقون
السننهم فيها اطلاقا .. خاصة إذا كانت الحادثة تتصل بكبار المسؤولين في البلاد .
وتلك عادة الناس جميعا .

والإنسان أسرع ما يكون إلى التصديق في الأمور الجنسية .
يكاد يصدق كل ما يسمعه .. بل يضيف هو إليه من خياله ما يشاء .. وهو ينقله إلى
غيره .. وهكذا .

ومعنى هذا أن الدولة كلها أصبحت تتحدث بالقصة ..
وأن الموضوع أصبح حديث الطبقات جميعا ..

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ .

« فلما سمعت بمكرهن » فلما وصل إلى سمع زوجة العزيز ، اغتياهن وسوء أقوالهن .
فلما صك سمعها .. وتناهى إليها ما يقل عنها .. خاصة من صديقاتها وعدواتها من نساء القصور .

أو (المكر) على حقيقته ، وكن قلن ذلك لترهين يوسف ..
« أرسلت إليهن » أرسلت تدعوهن إلى الضيافة ، مكرابهن ..
« وأعتدت » وأحضرت وهيات .
« لهن » للنساء المدعوات في قصرها ...
« متكن » ما يتكنن عليه من الوسائد وغيرها ...

أى أعدت لهن مجلساً من تلك المجالس الناعمة التى تكون فى القصور الكبرى ..
خاصة قصور الأمراء والملوك .. أى فتحت لهن ... واستقبلتهن .. فى صالونات قصرها ...
فى قاعة الاستقبال الكبرى فى القصر .. حيث الأرائك الناعمة المريحة .. التى تسمح للجالس أن يتكىء كما شاء .. فى راحة تامة .. وانسجام عظيم ..
« وآتت كل واحدة منهن سكيناً » وبدأت الحفلة الكبرى ..
واستقبلت امرأة العزيز ضيفاتها فى صالونها ..

ثم جاء موعد تقديم العشاء .. فانقلبن إلى بهو الطعام تتقدمهن صاحبة الدعوة ...
وانتشرن حول الموائد الكثيرة المنتشرة فى القصر .. وكان أمام كل مدعوة صحافها ...
وسكينها .. وملعقتها .. وشوكتها .. كما هو الشأن فى مثل هذه الحفلات ..
فليس معنى « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » أن الأمر اقتصر على السكين .. كلا

وإنما المعنى .. أن هناك حفلة في القصر وهناك أدوات المائدة أمام كل منهم .. ومن بينها
سكين .. كما هي العادة ..

وبينما هن مشتغلات .. منهنمكات في الطعام .. والضحكات ..
كانت المفاجأة ..

« وقالت اخرج عليهن » أمرت امرأة العزيز يوسف أن يخرج عليهن جميعاً .. وهن
منهنمكات في الطعام ..

وخرج يوسف .. ملكا غير متوج .. أو ملكا في صورة بشر .. الجلال والجلال
يتلأأ في وجهه .. صورة لم تشهد الأرض مثلها حسنا ..
وكانت مفاجأة لمن جميعاً ..

« فلما رأيته » فلما فوجئ كلهن ، فلما وقعت أعينهن على يوسف ..
« أكبرنه » أعظمه ، وهن حسنه الفائق .

وقع من أنفسهن موقع الأكرار والإجلال ، وبدا في عيونهن وقلوبهن ، عظيما غاية
العظمة ، جميلا غاية الجمال ..

« وقطعن أيديهن » وظلت أعينهن معلقة به ، حتى نسين أنفسهن ، وقطعن أيديهن
بالسكاكين ، أي جرحنها ..

« وقلن حاش لله » وقلن جميعا : حاشا لله ..
حذفت ألقه تخفيفا ..

أي تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والمعجز ، وتعجبا من قدرته على مثل ذلك
الصنع البديع .

« ما هذا بشرا » لا يمكن أن يكون هذا بشر ..

وإنما نقين عنه البشرية لمرابة جماله ، وأثبتن له الملكية ، على نهج القصر ، بناء على
ماركز في الطبايع أن لا أحسن من الملك ، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان . ولذلك
يشبه كل متناه في الحسن وأقبح بهما .

« إن هذا إلا ملك كريم » نحن نقطع أن هذا ليس ببشر وإنما هو ملك من ملائكة السماء .. في صورة بشر ..

اشعاعات

ما هذا ؟ حفلة ساهرة كبرى .. في قصر العزيز .. يدعى إليها نساء الطبقة الراقية جميعاً ويخرج عليهن يوسف .. فيكون الدهول .. وتأخذ المفاجأة عليهن جميعاً عقولهن . فيغفلن عن الطعام .. وعن كل شيء حتى يقطعن أيديهن بالسكاكين التي يحترزن بها الطعام !!! .

ثم يشهدن جميعاً : سبحان الله !

كيف خلق الله مثل هذا الجلال ؟ .

مستحيل أن يكون هذا بشر ! ..

إنه ملك كريم في صورة انسان ..

ارتقاع .. شهرة .. مجد .. عظمة .. قل ماشئت .

فإن الله أراد أن يرفع يوسف .. ويمكن له في الأرض .. وهذا شيء مما يتفضل به

تعالى عليه .

نساء العظماء جميعاً .. يشهدن له تلك الشهادة .. فإذا بقي بعد هذا ؟ !

كيف كان جمال يوسف .. هذا الذي بهر النساء جميعاً .. ؟

وبهر أباه فكان لا يبصر على فراقه ؟ .

كان شيئاً لا يعلمه إلا الله .. وحين يريد الله أن يبدع جمالاً فهو الابداع .

ومهما اطلقنا خيالنا في تصور جمال يوسف .. فسوف تأتي صورة خيالنا باهتة .. دون

الحقيقة بكثير ...

فالأولى أن ندع التحديد .. ونتصور أن يوسف عليه السلام كان في أحسن صورة ..

وإنما كان يزيد جمالاً على جمال ...

لألاء النبوة .. واشعاعات أنوراها .. وهى تترقرق فى ثنايا وجهه .. وهذا ما أنطق
النسوة جميعا : ما هذا بشرا .. إن هذا إلاملك كريم !!

رأين فى وجهه جبال النبوة .. ونور السمو ...
فانطلقن يؤكدن أنه ليس ببشر .. وإنما هو ملك كريم !!!

-- ٣٢ --

قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لَمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ
وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ .

« قالت » امرأة العزيز .

« فذلك الذى » فهذا هو الذى .

« لمتنى فيه » فى الافتتان به .

« ولقد راودته » ولقد أغريته بشقى طرق الاغراء ، وعرضت عليه نفسى بشقى طرق

العرض .

« عن نفسه » وجعلت اغريه وأدعوه .

« فاستعصم » فامتنع ، طالبا للعصمة ، مستزيذا منها .

قالوا : الاستعصام بناء مبالغة ، يدل على الامتناع البالغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه فى

عصمة ، وهو يجتهد فى الاستزادة منها .

« وأئن لم يفعل ما أمره » وأئن لم يأت ما أريد منه .

« ليسجن » ليعاقبن بالسجن .

« وليكونا من الصاغرين » أى الاذلاء المهانين .. بعد أن كان فى عز وسيادة ونعمة .

اشعاعات

فى قولها : فذلك الذى لمتنى فيه ...

رقة نسائية مابعدھا رقة .. كأنھا تقول لمن : هذا هو الجمال القاتل الساحر الفتاك
الذى تتحدثن عنى بسببه .. وتلوموننى من أجله ...

ثم زادته عظمة إلى عظمته أمامهن جميعا فأعلنت فى غير حياء ولاخجل كأنھا طلبت
إليه معروفا : واقد راودته عن نفسه فاستعصم !!! ولقد طلبت إليه فأبى ثم أبى ثم أبى ..
وكنت كلما اقبلت عايه وتراميت على يديه .. كلما تباعد وتباعد عنى !!!
ثم هدوته أمامهن كلهن .. انتظر ماذا يكون جوابه .. بعد أن طلبت إليه على الملأ ..
« ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن » .

لأصدرن أمرى بسجنه إلى الأبد .. وأى سجن ؟! .. « وليسكونا من الصاغرين » ..
سجن الأشغال الشاقة المؤبدة . حيث الاذلال والمهانة والعذاب ... وهو الآن مخير ...
بين المتعة واللذة .. وبين المهانة والعذاب ...

وهذا يدل على مدى ماوصل إليه جمال يوسف . وانه جال لايقاوم .. جعل المرأة
تعلن بلاستحياء أنه رجل لايمكن أن تقاومه امرأة فى الأرض . وانه بمايزيده اغراء للمرأة
أنه كلما طلب ازداد امتناعا !!!

ثم كان آخر ماعنדהا أن أعلنت عقابه بالسجن إن لم يفعل !!
فإذا كان من يوسف ؟!

-- ٣٣ --

قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

« قال » فما أن سمع يوسف تهديدها علانية بسجنه أمام النساء جميعا .. حتى قال ...
« رب » التجأ فورا إلى الله .. وأسقط الأغيار اسقاطا تاما ..

لم يدخل فى جدل معها .. لماذا .. وكيف ؟ كلا ... وإنما اتجه مباشرة اليه تعالى ...

وناداه : رب ...

« السجن أحب إلى » الإقامة في السجن والاصابة بعذابه وآلامه أحب إلى نفسى .
« مما يدعو نى إليه » من تلك الفحشاء التى يدعو نى إليها كلهن .
وهذا يشير إلى أنهن جميعا عرض أنفسهن عليه بكل الطرق الممكنة من الاغراء .
وأنه وجد نفسه فجأة . محاطا بهن . هذه تداعبه .. وهذه تضاحكه .. وهذه تريد أن
تقبله .. وهذه تدعوه إلى سهرة ممتعة .. وهذه تدعوه إلى خلوة .. وهذه تريد منه
ولو كلمة .

وبعدهن جميعا . امرأة العزيز .. الموتورة .. الجريحة الكرامة .. المجنونة بحبه ..
تنظر ماذا يفعل معهن .. وكيف يتصرف .. وترقب وترقب .
شاب كله قوة وشباب ونضارة وجمال .. وأجمل لساء مصر .. وأرقاهن .. وأحلاهن
يترايمن كلهن عليه .

فترك ذلك كله .. ويستصرخ ربه : رب السجن أحب إلى مما يدعو نى إليه ..
« وإلا تصرف غنى كيدهن » وإلا تدفع غنى فتنهن .. وأساليبهن الجهنمية ..
واغراءاتهن الفتاكة .. وإلا تصرف غنى ما أردن منى .

« أصب إليهن » أمل إليهن .. إلى إجابتهن بمقتضى البشرية .
« وأكن من الجاهلين » بسبب ارتكان ما يدعو نى إليه من القبيح .

قالوا : هذا فزع منه ، عليه السلام ، إلى أنطاف الله تعالى ، جريا على سنن الأنبياء ،
والصالحين ، فى قصر نيل الخيرات ، والنجاة عن الشرور ، على جناب الله عز وجل ،
وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ، ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن بإظهار
أن لا طاقة له بالمداغة ، كقول المستغيث : أدركنى وإلا هلكت ، لا أنه يطلب الإجبار
والإلجاء إلى العصاة والعفة ، وفى نفسه داعية إلى هوانهن .

وقالوا : وذلك الدعاء هو صورة افتقار القلب الواجب عليه أهدا .

الشعاعات

وهكذا وضع الله تعالى يوسف - عليه السلام -
أمام الفتنة الكبرى ..
وأحاطه بها من كل جانب ..

ودفع به إليهن ... ودفعن إليه ... لينظر ماذا يفعل ؟
يحثنه من كل باب ... قرر من كل باب ..
وتذلن له بكل وسيلة .. فهرب بكل وسيلة ..

فلما أحس بالفتنة تريد أن تسعى إليه ... صاح به سبحانه ... صيحته الكبرى ...
رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ..

ثم تلاً تلاً أكثر وأكثر فأعلن : وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن .. أنت
وحدك الذي يستطيع انقاذي من تلك الموجات المفرقة .

ثم تلاً تلاً وتلاً .. فأعلن : وأكن من الجاهلين .. أنا بشر .. ضعيف .. يتضعضع
سريعا أمام الفتنة .. فلا تتركني وحدي .. فأميل إليها بغيرزتي .. وأتحول إلى مجرد
إنسان تستعبده شهوته .. وهذا شر أنواع الجهل ..

إنه يوسف .. يتلى فيما أوتي .. في الجلال الذي آتاه ..
هل يقول كما يقول كل الناس : استمتع بشبابك ... أم يكون له موقف آخر ؟
وصب عليه البلاء صبا .. وساق اليه الفتن موقفا ..

فما كان منه - عليه السلام - إلا أن ارتفع فوق الأحداث ، وارتفع على نفسه ..
وأسقط كل شيء .. أسقط نفسه .. وأسقط كل شيء حوله .. وأسقط ما حوله .. وطار
إليه سبحانه .. وهو يصرخ : رب .. رب .. أنت .. أنت .. وحدك .. تنقذني ..

إنه يوسف ..
فإذا كان من الله ؟

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

« فاستجاب له ربه » أجاب له دعاءه .. على الفور ..
إنه دعاء مستغيث .. دعاء قلب فرمن كل شيء .. إلى ربه .. فكيف لا يستجيب له؟
« فصرف عنه كيدهن » فأيده بالتأييد القدسي ، فصرفه إلى جناب القدس ، ودفع
عنه ، بذلك ، كيدهن .
فأمدّه الله تعالى فوراً بامداد من عنده .. بطاقة فوق طاقته .. استطاع بها أن يدفع
عن نفسه تلك الفتن جميعا ..
« إنه هو السميع » لدعاء المتضرعين إليه .
« العليم » بحقيقة ما في قلوبهم وهم يستصرخونه ويستغيثونه فيعطيه
ما يصلح حالهم ..

اشعاعات

فيها لألاء .. وسناء ..
ما إن استغاثه .. واستصرخه .. حتى قال له : لبيك يوسف لبيك !!!
فاستجاب له ؟! فوراً .. كان معه ..
ومتى كان معه .. فلا شيء يريده يوسف بعد ذلك ..
فصرف عنه كيدهن ؟!
إنه لم يصرف عنه النساء .. وإنما صرف قلبه عن الصباية بالنساء ..
وهذا أعلى أنواع التأييد .. أن تكون في الشيء .. واست فيه ..
أن تكون في الدنيا .. ولست منها ..
أن تكون في الغنى .. ولست منه ..
أن تكون في الأسباب .. ولا تراها ..

أن تكون في الحياة .. ولست حيا إلا به تعالى ..
أن تكون في كل شيء .. ولست منه في شيء ..
ثم يتشعشع نورها .. ويتشعشع .. إنه .. هو ..
الله يحكم عن نفسه .. ويؤكد .. ويؤكد .. أنه هو .. أنه وحده هو .. السميع ..
الجبب لدعاء من أزاله وحده بدعائه .. ولم يخلط شيئا آخر ..
يجيب دعاء من فر إليه .. ولم يرسوا .. ولم يشرك به أدنى شرك ..
وها هنا .. كان فرار يوسف إليه عظيما .. وارتفاعه إليه سريعا .. واستصراخه
شديدا ..

فسارع تعالى إليه إنه هو العليم بيوسف .
هل هناك جمال بعد هذا الجمال ؟
اللهم أكرمنا ولو شيئا يسيرا بما أكرمت هؤلاء !!

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ .

« ثم بدأ لهم » ثم كان من رأيهم .

ثم كان من رأى العزيز وزوجته

« من بعد ما رأوا الآيات » من بعد ما تأكدوا من براءته ، ورأوا بأعينهم الشواهد،
والبراهين المؤكدة لنزاهته .

من بعد ما رأوا الآيات التي حققناها في يوسف .. الدالة على أنه شيء آخر غير سلوكهم
جميعا .

« ليسجننه حتى حين » ليلقونه في السجن إلى مدة يرون رأيهم فيها .

اشعاعات

أى آيات هذه التى رأوا من يوسف .
أو أى معجزات التى شاهدوا منه ؟ .
هل جاءهم يوسف بخارقة كما جاء الأنبياء من قبله ؟ .
هل أجرى الله على يديه معجزة من تلك المعجزات التى يؤيد بها انبياءه ؟
كلا .. وإنما كان يوسف نفسه هو المعجزة !!
شخصية يوسف نفسها .. انواره الظاهرة .. والباطنة .. سلوكه .. استعصامه الدائم ..
علوه على الشهوات .. عزيمته على الرشد .. عدم خشيته من التهديد بالسجن ..
هذه هى المعجزة .. شخصية يوسف نفسها هى الآيات الكبرى ..
وحين يكون الاعجاز فى نفس الشخصية .. فذلك هو الاعجاز ..
إن ما كان من يوسف .. وانتصاره على جميع الفتن التى حوصر بها .. هو ..
الآيات التى رأوا .

رأوا شيئاً خارقاً .
شاباً تدعوه سيده .. فيأبى .
ثم تدعوه مرات أخرى .. فيأبى .
ثم يهدد بالسجن .. فيزداد علواً .
ثم يهدد بالاذلال والتعذيب .. فيزداد فراراً إلى ربه .
وقبل هذا وذاك .. عنده من الجمال .. ما يقهر أى امرأة قهراً .. ويأتى بها طوعاً إليه !
شخصية خارقة .

ويزيدها عجباً .. أنه رغم ما هو عليه من جمال .. لا يرى شيئاً من ذلك الجمال ..
إلا أنه نعمة من نعم الله .. عليه أداء شكرها .. بصيانتها عن الانحراف .
وكان كل ذلك سبباً فى اشتهاى أمره بين الناس ..

فحدثت النسوة عن عجائبه .. وعن موقفه الخارق حين عرضن أنفسهن عليه .. فامتنع
منهن جميعا .. وجرح كبرياءهن جميعا .

هذه هي الآيات .. هذه هي المعجزات التي رآها المصريون جميعا من يوسف .
شخصية معجزة .. محيرة .

فكان قرارهم .. كان قرار وزير الداخلية .. وزوجه .. وجميع أهل السلطة أن ..
يدخل يوسف السجن لماذا ! .. لأنه مجرم ؟ .

كلا .. لأنه أصبح فتنة للنساء جميعا .. وفتنة للرجال من بعدهن ...

فاذا بفعل رجل حين يسمع أن امرأته عرضت نفسها على يوسف ؟

وكم كان عدد الرجال الذين أودوا في أعراضهم وكرامتهم حين سمعوا أن زوجاتهم أو
بناتهم أو اخواتهم قطعن أيديهن حين رأين يوسف ؟

أو ماذا يكون شعور هؤلاء الرجال وهم يشهدون نساءهم ولا حديث لهم إلا يوسف ..
وجمال يوسف .. وسمو يوسف .. واستعصام يوسف ؟
لا بد إذا من استئصال تلك الفتنة من البلاد .

لا بد من سجن يوسف .. إنه مرتكب أكبر جريمة .. لماذا يكون أجمل الرجال ؟ !
وهكذا .. ابتلى يوسف بالجمال .. وابتلى من حوله بجماله !

ودخل يوسف السجن .. لأنه أجمل الناس صورة .. وأجمل الناس أخلاقا !!!

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

« ودخل معه السجن فتيان » روى أنهما غلامان كانا لفرعون مصر ، أحدهما رئيس سقائه ، والآخر رئيس طعامه ، وغضب عليهما فحبسهما ، فكانا مع يوسف ، ثم رآهما يوما وهما مهسومان ، فسألهما عن شأنهما ، فذكرتا له أنهما زائبا رؤيا غمتهما ، وليس لهما من يعبرها .

فقال لهما : أليس التأويل لله ؟ قصا علي !
فذلك قوله تعالى ..

« قال أحدهما » وهو صاحب شرابه .

« إني أراني أعصر خمرا » أي عنباً ، تسبب بما يؤول إليه .

وذلك أنه قال : رأيت في المنام كأن بين يدي ماء فيه ثلاثة قضبان عنب ، ثم فضجت عناقيدها وصارت عنباً ، وكانت كأس فرعون في يدي ، فأخذت العنب ، وعصرته في الكأس ، وناولتها فرعون .

« وقال الآخر » وهو صاحب طعامه ..

« إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه » .. وذلك أنه قال له : رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال حواري ، والطير تأكل من السلة العليا فوق رأسي .
« نبئنا بتأويله » أخبرنا بتفسير ما رأينا ، وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا .

« إنا نراك من المحسنين » الذين يحسنون عبارة الرؤيا .

أو : من المحسنين إلى أهل السجن ، تداوى مريضهم ، وتعزى حزينهم ، وتوسع على فقيرهم ، فأحسن إلينا بكشف غمتنا ، إن كنت قادراً على ذلك .

اشعاع

ودخل يوسف السجن ؟!

يوسف .. البريء .. المتعفف .. الذي أبى الفحشاء في أى صورة من الصور .. الذي

حفظ عرض العزيز .. ونفر نفورا شديداً أن يخونه فيما ائتمنه عليه !

يوسف .. الجميل الصورة .. الجميل الخلق .. حتى شهدت له النسوة .. إن هذا إلا ملك كريم !

يوسف هذا .. يدخل السجن .. وكان من الأولى أن تدخله امرأة العزيز !!
لماذا يختار الله تعالى لأنبياؤه .. وأوليائه .. ذلك الاختيار ؟!

لماذا يسلط عليهم الجبارة والطغاة .. ويمكنهم منهم .. فيتهمهم بالباطل ويدخلهم
السجون بغير ذنب ؟!

لأن السجون وحياة السجون .. عالم غير هذا العالم الذى يعيش فيه الناس .. لو اطلعوا
عليه لولوا منه فرارا وملتوا منه رعبا !

عالم تمحى فيه كل المعانى الكريمة .. وتبقى كل المعانى الآلئمة .
وما ظنك بحياة يلتقى فيها السجين كأنه بهيم .. فى إذلال .. وتعذيب .. وتحقير ..
وتسخير .. كيف تكون ؟

أو ما ظنك بحياة ليس فيها من معانى الحياة من شئ ؟
فلا طعام إلا كسيرات من خبز أسود .. أو قطرات من غسل أسود .. أو ذرات
من جبن متعفن ؟!

أو ما ظنك بالملئات يكبدسون متراصين ليلا ونهارا كما تتزاحم أعداد الأسماك فى علب
السردين ؟!

مهما وصفنا .. فالسجن أدهى وأمر !!
هذا هو السجن الذى دخله يوسف بغير ذنب .. إلا أنه أبى أن يأتى امرأة العزيز ..
ويحقق مشتهاها !!

لماذا كل هذا .. وهل هذا هو التكريم لأنبياؤه الله ؟
نعم .. ثم نعم ..
لأن النفس طالما هى فى مجبوحة من العيش .. مستحيل أن تدرك حقيقة الحياة و

يمجرى فيها .. أو تدرك نعمة الله عليها فيما تنقلب فيه من أنعام ... لأن إلف الشيء يفقده قيمته ..

فإذا نزع الله يوسف من حياة القصور .. والنعم .. والترف .. والدلال .. والجمال .. واللذة .. والأبهة .. والسلطة ..

إذا نزعه من كل ذلك فجأة .. ولاقاه إلى السجن ..

وجد يوسف نفسه في مكان مظلم .. ضيق .. ليس فيه من لوازم الحياة إلا أحقرها .. وأقلها .. مما تعافه الكلاب ..

حدث انقلاب هائل في أحاسيسه كلها .. كانت صدمة شديدة جداً .. تقهره على أن يدرك ما لم يك يستطيع أن يدرك من قبل .

يدرك أن هذه الشمس الساطعة طول نهارها .. ولا يلتفت إليها الإنسان .. ولا يعتبرها نعمة تذكر .. يدرك أنها نعمة عظيمة .. حين يلقي إلى زنازة مظلمة في السجن لا يرى الضوء فيها إلا من خلال كوة حقيرة !!

ويدرك أن الهواء الحر .. الذي كان ينعم به ولا يحس له قيمة .. هو من أجل النعم التي آتاه الله .. حين يجد نفسه يكاد يحتنق .. من ذلك الهواء الحبيس في ظلمات الزنازين في حياة السجن .

ويدرك أن أحقر مستوى من المعيشة في الحياة العادية .. هو أرق من أى مستوى في حياة السجن ..

ويدرك أن الحرية هي أغلى شيء .. وأكبر نعمة تنعم على الإنسان .. ويدرك أن في الحياة آلاماً وأهوالاً .. ما كان ليدركها لولا أن رأى حياة السجن وعاشها وعانها ...

وأن هؤلاء الألوفاً معه في السجن .. هؤلاء الأخلاط من المجرمين العتاة .. إلى الأبرياء المظلومين .. يرغمون إرغاماً أن يتخالطوا .. ويتزاحوا .. ويتزاحوا .. ليلاً ونهاراً .. حتى يود أحدهم لو يزحزح عن صاحبه ولو إلى النار !!

من طول ما سُم رؤيته .. ومل صحبته .
وأن أضيّق الضيق في الصدور .. أن يرغم الإنسان على ما لا يحب .. أو يعاشر من
لا يتفق معه في الميول .

ويدرك .. ويدرك .. ويكشف له الغطاء عن الكثير مما كان يحفل في هذه الحياة ..
من أجل ذلك يُدخل الله يوسف السجن .. بغير ذنب ..
ليكشف له الغطاء .. ويرفع عن قلبه الحجاب ..
ليشعر يوسف بمرارة الاتهام بالباطل .. حتى إذا حكم تجنب أن يتهم أحدا بالباطل .
وليشعر يوسف بآلام السجن ، حتى إذا حكم من بعد .. عمل على الغاء هذه السجون
أورفع مستواها .. وتعديل لوائحها الجهنمية .

وليشعر أن أحقر نعمة يؤتاها .. ينبغي تعظيمها .. وتلقيها أحسن التلقى .. حتى إذا
ماخرج من السجن استقبل الحياة استقبالا جديدا .. بنظرة جديدة .. كلها حب للحياة
وواجب الحياة ..

وليشعر يوسف أن الحرية أغلى من كل شيء .. حتى إذا ما عادت إليه حريته .. عمل على
احترام حقوق الغير .. واحترام حريته ..

وليشعر يوسف أن هؤلاء السجناء .. مساكين لايشعر بهم أحد في الدنيا .. يعيشون
نسيا منسيا .. حتى إذا خرج يوسف من السجن .. وتولى أمر البلاد .. عمل على العفو
عنهم .. واعطائهم الفرصة للحياة الكريمة مرة أخرى ..

من أجل ذلك .. وماوراء ذلك .. أدخل الله يوسف السجن ..
ليصهره بآلام الحرمان .. والضيق .. والفرقة .. والنذل .. والسخرة .. فيخرج
نقيا .. خالصا ..

وجمع الله على يوسف غربتين في هذا الأمر ..
فقد كان من قبل هذا غريبا .. لأهل له في مصر .. وكان يجد في حياته في رعاية امرأة
العزیز وصاحبها .. شيئا من العوض عن فقدته لأهله جميعا ..

ثم هاهو الآن تجتمع عليه غربة جديدة .. فيدخل السجن .. ويعزل عن مجتمع الطبقة
الراقية الذى كان يعزیه شيئاً ما عن غربته ..
غربتان .. تجتمعان على يوسف ..
وتلك ضريبة النبوة .. وتجربتها .. يعانيتها !!
وآية أخرى ..
أن يوسف دخل السجن وهو البرىء مع فتيين ..
أى مع مملوكين .. مثله فى المملوكية .. مستعبدین مثله . قد ذاق آلام الاسترقاق ..
وذلل الاستعباد ..

ولعل هذا مما أرقع الصداقة بينهم .. وألف بين قلوبهم ..
كأن هذين الفتيين .. فى نفس المستوى الوظيفى الذى كان فيه يوسف ..
فيوسف كان مديراً لقصر الأمير .. وزير الداخلية ..
وهذان .. أحدهما رئيس سقاة فرعون .. والثانى رئيس طعام فرعون ..
نفس المستوى تقريباً ..

ثم ماذا؟ ثم كلمة .. عن الرؤى والأحلام فى حياة السجون ..
لأنها شىء مهم جداً .. فالسجين رجل انقطعت كل أسباب حياته .. أو ألغيت
حياته حين ألغيت حريته ، فهناك كبّت شديد فى باطنه .. يتحول إلى أحلام ورؤى
فى منامه ..

ولذلك تجد فى حياة السجون سيال دائم لا ينقطع من الرؤى والأحلام التى تكون
من السجناء ..

ويكونون أشوق ما يكون لإنسان إلى من يعبرها لهم .. ويدلهم على تأويلها ..
لأنها هى الخيط الوحيد الباقى لهم فى الحياة .. ووسيلة الإخبار الوحيدة عندهم !!
ولا يعرف قيمة الحلم .. وتعبير الحلم .. فى حياة السجون .. إلا من عانى تجربة السجن ..

وفهم من ذلك أن يوسف أشهر شهرة كبيرة في السجن .. بسبب امتياز به علم التعبير .
وأن المساجين كانوا يهرعون إليه .. ليعبر لهم رؤاهم ..
وأن سلوكه لراق .. وأخلاق النبوة التي كان يتحلّى بها في السجن .. رفعت من مقامه
في أعينهم جميعا ..

فليس أوقع من الفعل الجميل في نفس السجين ..
إنه يعيد إليه الثقة في الحياة .. ويرد إليه الأمل في الناس ..
فشهرة يوسف في السجن .. كانت لسبين ..
أخلاقه العالية جدا .. التي تعتبر شيئا نادرا وجوده في هذا المجتمع الملىء بالمذنبين .
وعلم الرؤيا التي آتاه الله تعالى .. وماله من أهمية عند المساجين ..
ثم دأبه على نشر الدعوة إلى الله بكل وسيلة في تلك القلوب الميتة .. اليائسة .. التي
يئست من الله .. ومن الناس ..
فكان دخوله السجن رحمة لهؤلاء جميعا .

ورحمة لنفسه .. أن انكشف لها ما لم تكن تعلم من قبل ..
ورحمة مستقبلية لأهل مصر جميعا .. حين يحكمهم .. فيشعر باللامهم .. وأحلامهم ..
فيسوسهم سياسة الرحمة والشفقة .. والحرية .. والمساواة .. ويتقن فيهم أن يظلم منهم أحدا
بعد أن ذاق مرارة الظلم .. واتهام الأبرياء ..

ثم ماذا .. ثم بين عليه السلام ، لها بأن مآراياه سهل التأويل ، لوجود مثاله في المنام
وأن له علما فوقه ، وهو أنه يبين لها كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلية ، وإن لم يكن
هناك مقدمة المنام ، حتى إن الطعام الموظف الذي يأتيهما كل يوم ، يبينه لها قبل إتيانه ،
وأن ذلك ليس من باب السكّهانة ، بل من الفضل الرباني لمن يصطفيه بالنبوة ، وهذا معنى
قوله تعالى :

قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا
ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ .

« قال » قال يوسف .

« لا يأتيكما طعام ترزقانه » يوزع عليكما ، كتعيين يومى ، كما يوزع على المساجين .
« إلا نبأكما » إلا أخبركما .

« بتأويله » الاذكرته لكم قبل أن يحضر إليكم ، وعينه لكم قبل أن نراه .
بأن يقول : يأتيكما طعام كيت وكيت ، فيجدانه كذلك .

ومراده - عليه السلام - بذلك : بيان كل ما يهيمها من الأمور المرتقبة قبل وقوعها .
وإنما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقاً فى ذلك ، بحسب الحال ، مع ما فيه من
مراعاة حسن التخلص إليه مما استعبراه من الرؤييين المتعلقين بالشراب والطعام .
« ذلكما » ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات .

« مما علمنى ربى » شئ مما تفضل به على ربى ، فعلمنيه من لدنه ، بالوحى ، والإلهام ،
لأمن التكهن والتنجيم .

وفيه إشعار بأن له علوماً جمة ماسمعاها شذرة من جواهرها .

وإنما يكشف لهم من علومه الجليلة ، ما يتناسب مع استعدادهم ليس إلا ..

« إني تركت ملة قوم » المراد بتركه ملة الكفر الامتناع عنها رأساً ..

إني نبذت أسلوب قوم .. طريقة قوم .

« لا يؤمنون بالله » لا يصدقون بالله ، ولا بذاته ، ولا بصفاته ، ولا بوجدونه التوحيد

الحقيقى .. الخالص .

« وهم بالآخرة هم كافرون » منكرون لليوم الآخر .. أشد الانكار ..

اشعاعات

غاب عن الكثيرين أهمية الاخبار بالطعام قبل توزيعه في حياة المساجين .. ونقول هنا .. أن أهم شيء عند المساجين أن تبشرهم ماذا سوف يأكلون ؟
ذلك أنهم مساكين .. لا يجدون شيئاً يؤكل إلا ما يوزع عليهم من طعام محدد .. معلوم ..

وأنه محرم عليهم أن يأكلوا .. أو يجدوا ما يأكلون .. غير المفروض عليهم يومياً ..
فاذا وجد الشخص الذي يبشرهم بما سوف يأكلون اليوم .. أو الوجبة القادمة .. فانهم يفرحون لذلك أشد الفرح .. خاصة إذا بشرهم بوجبة فيها شيء مما يشتهون .
وترام جميعاً إليه يتطلعون .. في لهفة وترقب !!

ثم ماذا .. ثم في قول يوسف « ذلكما مما علمني ربي » اشعاع جميل ..
أن يوسف ذو علوم .. واسعة .. علمه الله إياها .

وأن لكل نبي عند ربه فضلاً عظيماً .. يختص به دون غيره ..

وأن يوسف كان ذا إحساس عظيم بفضل الله عليه .

وأن المأساة .. مأساة السجن .. لم تؤثر في روحه المعنوية .. بل كان له من علمه بالله .. ومما علمه ربه .. عالمه الباطن الذي يسعد فيه .. ويرقى إليه .. فلا يشعر بشيء من آلام الظاهر التي في السجن .

وأن يوسف شيء عظيم جداً جداً .. يتشعشع ذلك من قوله « مما علمني ربي » فهناك في قلبه علوم عظيمة مكنونة ..

وأن حلوله - عليه السلام - في السجن كان رحمة لهم جميعاً ..

أشاع في جميع السجن تياراً من الرحمة عظيماً ..

فتحول السجن إلى دعوة ربانية .. يقوم بالدعاية إليها نبي كريم .. وشخصية

عظيمة .. هي شخصية يوسف ذات المهابة .. والقوة ..

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ
بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ .

١ « واتبعت ملة » واتبعت طريقة .. وأسلوب ..

« آبائي » أجدادي

« إبراهيم » الذي اتخذ الله خليلاً .. جدي لأبي ..

« وإسحاق » جدي ..

« ويعقوب » أبي ..

« ما كان لنا أن نشرك بالله » ما صح ولا استقام ذلك لنا ، فضلاً عن الوقوع ..

وإنما عبر عنه بذلك ، لكونه أدخل بحساب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام ..

والتخصيص بهم ، مع أن الشرك لا يصح من غيرهم أيضاً ، لأنه يثبت بالطريق

الأولى .

أو : المراد نفي الوقوع منهم لعصيتهم .

« من شيء » أي لا نشرك به شيئاً من الأشياء ، قليلاً أو كثيراً ، صنماً أو ملكاً أو

جنياً أو غير ذلك .

« ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس » يعني عدم الإشراف بالله ، وهو التوحيد ،

من نعم الله العامة ، التي يجب شكره تعالى على الهداية لها بالفطر السليمة ، ونصب الدلائل

الأنفسية والآفاقية .

« ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ولكن أكثر الناس نبذوا هذه النعمة بعد

ماحق عليهم شكرها .

اشعاعات

من ابن ليوسف أن يعترف أن آباءه كانوا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وأنهم كانوا على ملة التوحيد ، وقد بيع صغيرا لا يدرك من أبوه ولا من جده ؟
الجواب .. « ذلك مما علمني ربي » .

بالوحى .. إنها النبوة .. هي التي تتكلم الآن ..
كشف الله له الغطاء .. فعله مما كان .. وما سيكون ..
فهو - عليه السلام - يقرأ من الغيب باذن ربه ..
ولذلك يقول يوسف .. احساسا بتلك النعمة الجليلة .. نعمة النبوة .. « ذلك من فضل الله علينا » .

أرايت ؟.. يوسف يعلو عنده الشعور بالنعمة فيسجله تسجيلا جميلا ..
ومن أوفى بنعمة الله من الانبياء ؟ !
ثم ماذا ؟ ثم فيها نواميس ..
الناموس الأول .. ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ..
هناك استحالة أن يشرك الأنبياء بالله أى شيء ..
انهم عباد لله وحده .. لا يرون سواه .. ولا يثبتون وجودا الا له .. فستحيل أن يكون منهم اى شرك بالله .

وتلك قمة قم التوحيد .. التي لا يرقى إليها الا ايام ..
هم فى أعلى عليين من ادراك حقيقة التوحيد ..
انكشفت لهم الحقائق .. فادركوا من الحق ما لم يدرك سواهم ..
وذلك اعلى انواع التفضل التي يمكن أن يتفضل الله بها على بشر .. « ذلك من فضل الله علينا » ..

الناموس الثانى .. « وعلى الناس » .. إن الناس جميعا يدعوم الله تعالى إلى ذلك ..
لهرقوا في معاريضها قدر طاقتهم .. فيمسسهم فضله .. ويرتفع بهم إلى منتهاه ..

الناموس الثالث .. «ولكن أكثر الناس لا يشكرون» .. أن أكثر الناس لا يريدون هذا الفضل .. ولا يرغبون فيه .. ولا يحسون أنه نعمة .. ويعرضون عنه اعراضا كبيرا . لماذا ؟ .. لأنهم يكفرون بالموضوع من أساسه ..

يكفرون بفكرة التوحيد الخالصة .. ولا يطبقونها .. فكيف يشكرون شيئا لا يحسون له بقيمة في أنفسهم ؟ !
هناك استحالة ..

الناموس الرابع .. أن يوسف يرى أن اعظم الفضل .. أن يتفضل الله على عبد فيعرفه تلك العلوم العليا .. علوم العلم بالله .. وادراك حقيقة التوحيد الخالصة .
ومارآه يوسف .. هو ما يراه الانبياء جميعا .
وهو الحق .. لأن الانسان كلما ازداد علما بالله .. كانت فكرته عن الأمور أشمل وأكمل ، وحكمه عليها ادق واحكم .

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

« يا صاحبي السجن ، يا صاحبي في السجن .. يا صديقي ..

« أأرباب متفرقون خير » أأرباب شتى تستعبد الناس خير لهم .

« أم الله الواحد القهار » أم أن يكون لهم رب واحد قهار لا يغالب ؟

وفي قوله : (أَرَأَيْتَ إِنْ خَيْرٌ أَمِ) إشارة إلى ما كان عليه أهل مصر لعهدده - عليه

السلام - من عبادة أرباب شتى .

قالوا : كما أن مصر كانت تغلبت في العلوم والسلطة ، كذلك في عبادة الأصنام ، فإن

أهلها فاقوا كل من سواهم في الضلال ، فكانوا يسجدون للشمس والقمر والنجوم والأشخاص البشرية والحيوانات ، حتى الهوام وأدنى حشرات الأرض .

وقالوا: « دلت الآية على أن الشرع كما جاء مطالبا بالاعتقاد ، جاء هاديا لوجه الحسن فيه .

« وذلك أن هذه الآية تشير إشارة واضحة إلى أن تفرق الآلهة يفرق بين البشر في وجهة قلوبهم إلى أعظم سلطان يتخذونه فوق قوتهم .

« وهو يذهب بكل فريق إلى التعصب لما وجه قلبه إليه .

وفي ذلك فساد نظامهم كما لا يخفى .

« أما اعتقاد جميعهم بإله واحد ، فهو توحيد لمنازع نفوسهم إلى سلطان واحد ، يخضع

الجميع لحكمه ، وفي ذلك نظام أخوتهم . وهي قاعدة سعادتهم .

« فالشرع جاء مبينًا للواقع في أن معرفة الله بصفاته ، حسنة في نفسها ، فهو ليس مُحدث

الحسن . »

اشعاعات

فيها ناموس عظيم .

هو « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد » .

يؤكد هذا الناموس أن فكرة تعدد الآلهة فكرة باطلة .

وأن الله يتحتم أن يكون واحدا .

لماذا ؟ الجواب هو آخر كلمة في الآية .. « القهار » .

لأن الله قهار .. يقهر كل شيء .. ويخضعه لسلطانه .. فمن الحتم التوجه إلى مصدر القوة

والتسلط الحقيقي .. إلى الله .

فيها عبد الإنسان من شيء من دون الله .. فإن هذا الشيء مربوب لله : خاضع لسلطانه

مقهور تحت جبروته .. فهو لا يملك لنفسه شيئا .. فمن العبث أن يعبد الإنسان شيئا هذا

حاله من الضعف ..

وأن من الخير للإنسان أن يتجه إلى ذلك الإله الواحد .

وأهم بذلك إنما يتجاوبون مع الناموس الطبيعي .. والفطرة التي فطرهم الله عليها .
وأسعد ما يكون الإنسان حين يتلاقى سلوكه .. واتجاهه .. مع فطرته !!

-- ٤٠ --

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

« ما تعبدون من دونه » ما تعبدون من دون الله .. ما تعبدون متجاوزين عبادته تعالى
« إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم » يعني أنكم سميتم ، مالا يستحق الإلهية آلهة ، ثم
طفقتم تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لامسميات تحتها .

« ما أنزل الله بها من سلطان » من حجة تدل على صحتها .

« إن الحكم » في أمر العبادة والدين .

« إلا لله » لأنه مالك ، وهو لم يحكم بعبادتها لأنه ..

« أمر ألا تعبدوا إلا إياه » لأن العبادة غاية التذلل ، فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة

« ذلك » ذلك التوحيد الدال على كمال عظمة الله ، بحيث لا يشاركه فيها غيره .

« الدين القيم » الدين الحق المستقيم ، الثابت .

« ولكن أ كثر الناس لا يعلمون » أى لجهلهم ، ولذا كان أكثرهم مشركين .

قالوا : لا يخفى أن قوله تعالى : (قال لا يأتيكما طعام) إلى هنا ، مقدمة لجواب سؤالها

عن تعبير رؤياها ، مهد - عليه السلام - بهاله ليدعوها إلى التوحيد ليزدادا علما بعظم شأنه ،

وقفة بأمره ، توسلا بذلك إلى تحقيق ما يترخاه من هدايتهما ، لاسيما وأن أحدهما ستعاجله

منيته بالصلب ، فرحا أن يختم له بخير .

اشعاعات

كل شيء يعبد من دون الله إنما هو وهم من الاوهام .. التي لا حقيقة لها .
لقوله « ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها » . اوها ما اخترعتموها .. وتخيلتموها ..
وتصورتموها ثم عبدتموها

والإنسان عبد أو هامه دائما .. يتوهم ما لا وجود له .. ثم ينتهى به الأمر إلى عبادة
ذلك الوهم !!

في قوله « إن الحكم إلا لله » .. فيها ناموس عظيم .. إن الدين الحق هو ماشرعه الله ..
لا ما وضعه الناس .

لأن الله هو مالك هذا الملك .. والحكم لا يكون إلا لمن ملك .

فإذا شرع الله لعباده .. الذين يملكهم ؟

« أمر ألا تعبدوا إلا إياه » .. أمر ألا يعبد شيء سواه .

وهذا منطق طبعى .. إله .. خلق خلقا .. فمن حقه أن يأمرهم بما شاء منهم .

فكان أمره إليهم .. لاتعبدوا إلا أياى .

ومن عجائب توافق رسالات الرسل جميعا .

أن يوسف عليه السلام يقول « أمر ألا تعبدوا إلا إياه » ..

ثم يأتى محمد صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان .. ويعلن نفس الناموس ..

« إياك نعبد .. وإياك نستعين » !!

وهكذا .. تتحد رسالاتهم .. ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وفيهما أن عبادة الله وحده .. هو الدين القيم .. المستقيم .

وأن أى اتجاه آخر غير هذا .. انحراف .. وضلال بعيد ..

وفيهما أن الأغلبية العظمى من الناس لا تعلم هذه الحقيقة البسيطة .. حقيقة التوحيد .

وتنصرف عنها لجهلهم بها دائما ..

وهذا واضح جداً .. لو ألقينا نظره شاملة على الكرة الأرضية الآن .. ثم تفكرنا كم
من سكانها يدين بعقيدة التوحيد الخالصة ؟

قليل .. قليل جداً !!

- ٤١ -

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِ رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ
فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ .

« يا صاحبي السجن » يا صديق في السجن .

« أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا » أما أحدكما فيخرج من السجن ويعود إلى ما كان عليه
من سقى سيده الخمر .

« وأما الآخر فيصلب » فيحكم عليه بالإعدام ، ويقتل ، ويلقى على خشبة .

« فتأكل الطير من رأسه » فتأكل الطيور وتنقض على لحم رأسه وتأكل منه .

« قضي الأمر الذي فيه تستفتيان » قطع ، وتم ، ما تستفتيان فيه .

يعنى مآله ، وهو نجاة أحدهما ، وهلاك الآخر .

والتعبير عنه بـ (الأمر) وعن طلب تأويله بـ (الاستفتاء) تهويلاً لأمره ، وتقخيماً

لشأنه ، إذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشككة بالحكم ، المبهمة الجواب .

وإثارة صيغة الاستقبال ، مع سبق استفتائهما في ذلك ، لما انهما بصدده ، إلى أن يقضى

— عليه السلام — من الجواب وطوره .

أو قضي الأمر الذي فيه تستفتيان . بمعنى : فرغ من أمركما .. عند أهل السلطة ..

وصدر حكمهما بشأنكما .. أن يقتل أحدكما صلباً .. ويبرأ الآخر ويفرج عنه فوراً ..

أى : انتهى الأمر .. وصدر الحكم .. ولا رجعة فيه .. أحدكما سوف يقتل .. والآخر

سوف يفرج عنه فوراً ...

اشعاعات

فسر يوسف - عليه السلام - لهما رؤياهما .
فسكان تفسيره بشرى بالإفراج عن أحدهما .. وخروجه من السجن .. وعودته إلى
عمله كما كان في القصر الملكي .. رئيساً للسقا ..
بينما كان تفسيره صاعقة انقضت على رأس الآخر .. قبل أن تنقض عليه الطيور تأكل
من رأسه ..

ذلك أنه أخبره أنه سوف يقتل صلباً .. وتعلق جثته .. ونهشه الطيور الجارحة !
والآية تدل على أن يوسف كان يخاطب رجلاً محكوماً عليه بالإعدام ..
أي رجلاً لا أمل له في شيء في الحياة .. وإنما ينتظر الموت .. في كل لحظة ..
ولعل هذا هو ما جعل يوسف يواجهه بالحقيقة .. لينقذه من ضلاله في آخر لحظة
من حياته .

فرجل كهذا .. أغلب الظن أنه ارتكب جريمة القتل العمد .. لذلك كانت عقوبته
القتل صلباً ..

فهو رجل مجرم ... شديد الإجرام ..
يضاف إلى ذلك صدور الحكم عليه بالإعدام صلباً .. فهو رجل يائس من أي خير .
يضاف إلى ذلك أنه رجل كافر .. لأنه لا يعرف الله .. وإنما يعبد أوهاماً ..
اجتمعت عليه ظلمات ثلاث ... بعضها فوق بعض .

ظلمة الإجرام .. والإسراف في الإجرام .. وظلمة اليأس من الحياة .. وظلمة الكفر
بالله .. والانحراف عن طريقه ..

فقتل ذلك الرجل لا بد لإيقاظه من قوارع تصك كيانه وتهزه هزاً عنيفاً ليستيقظ ..
وهذا ما فعله يوسف - عليه السلام - قذفها في وجهه « وأما الآخر فيصلب » سوف
تقتل أيها الرجل ..

كلمة رهيبة .. أن تقول لإنسان ينتظر مصيره الرهيب في السجن « سوف تقتل » ..
ولكن يوسف صكه بها ليوقظه .. ليخرجه من ظلماته ..
ثم زاده قرعا .. « فتأكل الطير من رأسه » !
يا لها من قارعة .. يربع لها المجرم رعبا شديدا ..
كل ذلك لتنهار معنويات الرجل ، ويستسلم لأي يد تمتد لتنقذه مما هو فيه ..
وقد كان ... وامتدت يد يوسف - عليه السلام - لتخرجه من ظلمات الإعدام
والإياس والكفر .. إلى نور الإيمان بالله .
ومثل هؤلاء .. الذين يكونون في انتظار تنفيذ حكم الاعدام فيهم .. هم أقرب الناس
إلى الاستجابة للحق إذا دعوا إليه ..

تمتعهم حالة تصوف عالية جدا ..
لأنهم عاينوا الحقيقة .. وأصبحوا على حافة الآخرة !!
في قوله « قضى الأمر » .. نبوءة ليوسف - عليه السلام -
أى أن الإفراج عن الأول .. والحكم باعدام الآخر ..
قد تقرر .. وصدرت أحكامه .. وهو في طريقه إلى التنفيذ ..
وذلك لا يكون علمه .. إلا بوحى يوحى !

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ
ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .

« وقال » وقال يوسف ..
« للذى ظن » للذى أيقن ، وتأكد له ..
« أنه ناج منها » للذى علم نجاته من الفتين ..
أى خلوصه من السجن والقتل .. وبراءته منها ، وهو الساقى ..

« اذكرنى عند ربك » اذكر حالى وصفى ، وعلى بالرؤيا ، وماجرى على ، عند الملك سيدك ، عسى يخلصنى مما ظلمت منه .

اشرح قصتى ومظلمتى للملك .. فانت تخلو به كثيرا ..
قل له هناك رجل اسمه يوسف ، مظلوم فى السجن .. كان معى .
وليس له من جريمة إلا أنه أبى أن يأتى امرأة العزيز .. زوجة وزير داخلتيك .. فلفقوا له التهم ظالما .. وقذفوه إلى السجن ..

اكشف يا صاحبي للملك حقيقة أمرى .. لعله يخرجنى من سجنى ..
« فأنساه الشيطان ، فأنسى الشيطان .. يوسف .. »
« ذكر ربه » ذكر ربه الذى خلقه ، وابتلاه بالسجن لحكمة يريد بها ..
« فلبث » فكت .

« فى السجن بضع سنين » عدد سنين .. سبع سنين ..
زيادة تربية له .. لما كان منه ..

اشعاعات

فى هذه الآية انوار تتعالى .. وتماوج بعيدا ..
قال مرة « اذكرنى عند ربك » ..
ومرة « فأنساه الشيطان ذكر ربه »
أما الرب فى الأولى .. فهو فرعون .. الذى يملك العفوعته .. ويملك اخراجه من السجن ..

وأما الرب فى الثانية .. فهو الله .. الذى يملك فرعون ، وأسباب فرعون .
وكان درسا قاسيا .. أدب يوسف أحسن تأديب ورباه أعلى تربية .. شئ طبيعى جدا .. أن يقول المسجون لزميله فى السجن .. الذى تقرر الافراج عنه .. وخروجه إلى الحياة .. خصوصا إذا كان هذا المفرج عنه ذا منصب رفيع .. مديرا للبروتوكول ..

أوصى يوسف صاحبه أن يذكر قصته عند الملك .. عسى أن يأمر الملك بإخراجه من السجن .

شيء طبيعي هذا .. أن يسعى رجل مظلوم إلى رفع الظلم عن نفسه ..
ولكن هذا يكون مباحا .. بل مطلوباً .. ممن هم دون مقام يوسف ..
أما يوسف .. فله مقام آخر عند الله ..

إنه من عبادنا المُخلصين .. ومثل هؤلاء لا يرضى الله لهم إلا إسقاط الأسباب والتوجه
المباشر إليه .. هناك يتولاهم هو .. ويخرجهم من السجن هو ..
من أجل ذلك كان الرد عنيفا .. والمؤاخذه أشد ..
أوصى يوسف الرجل أن يذكره عند ربه ..

فماذا حدث ؟ .. خرج الرجل .. وانهمك في مسئولياته .. ونسى أن يذكر قصة
يوسف للملك ..

وكانت النتيجة أن قضى يوسف سبع سنين في السجن .. يصلي سعيها ..
إنه مقامهم ..

لا يرضى منهم .. إلا ماضيهم لإبراهيم حين عرض له جبريل .. وهو يلقى في النار ،
فقال : ألك حاجة يا إبراهيم ؟ .. قال : أما إليك فلا !!!

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ
سُفُفَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ لِمَ كُنْتُ
مِنَ الْوُفَاةِ يَا تَعْبُرُونَ .

« قال الملك ، وقال فرعون ملك مصر .. لمن حوله من الكبراء والمسؤولين .
« إني أرى » في المنام .

« سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف » كأن سبع بقرات سمان يا كلهن سبع بقرات
عجاف ، أى هالكات من الهزال .

جمع عجفاء ، بمعنى المهزولة ، ضد السمينه .

« وسبع سنبلات خضر » ورأى رؤيا ثانية كأن سبع سنبلات ..

« وأخر يابسات » أى وسبعاً آخر يابسات دقيقة ، أى نبتت وراءها ، فابتلعت
السنابل الخضر المثلثة .

وإنما استغنى عن عددها وإعدامها للخضر ، للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات لأنها
نظيرتها ..

« يا أيها الملا أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون » يا أيها الأمراء والكبراء
أفتونى فى منامى إن كنتم للنمام تفسرون .

خطاب للأشراف من قومه ، وللعلماء من مملكته .

وكان دعا ، اثر استيقاظه ، سحرة مصر وحكماءها ، وعلماءها ، وقص عليهم رؤياه هذه ..

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ .

« أضغاث أحلام » تخاليط أحلام .

جمع ضغث . وفى الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحُزْم ، ثم استعير لما تجتمع
القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان ، وتربها فى المنام .

و (الأحلام) جمع (حلم) وهو ما يراه النائم ، فهو مرادف للرؤيا ، إلا أنها غلبت
فدرؤيا الخير ، والشئ الحسن ، وغلب الحلم على خلافه . وفى الحديث : الرؤيا من الله ،
والحلم من الشيطان .

والمراد بالجمع فى (الأحلام) ما فوق الواحد ، لأنها حلان ، رأى كل واحد منهما
اثر استيقاظه منه ، كما روى .

« وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .. وإنما التأويل للرؤيا الصادقة ..

أى : ولا تأويل للأحلام الباطلة ، فنكون به عالمين ..
وقول الملك لهم أولا : (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها . لأنه أتى بكلمة الشك ، وجاء اعترافهم بالصور مطبقا لشك الملك الذى أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا .

- ٤٥ -

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ .

« وقال الذى نجا منها » وقال الذى نجا من صاحبي السجن ، وهو مدير الشراب .. وهو الساقى .

« وادكر بعد أمة » وتذكر بعد مدة وكان تذكره على ماروى بعد بضع سنين .
« أنا أنبئكم بتأويله » أنا أخبركم بتفسيره ، بالتلقى عن علمه ، لامن تلقاء نفسى .
ولذلك لم يقل : أنا أنبئكم فيها .
« فأرسلون » فابعثوني إلى يوسف ، وإنما لم يذكره ، ثقة بما سبق من التذكر ..

- ٤٦ -

يُرْسِفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُنَّ مِنْ عِجَافِ النَّاسِ وَسَبْعِ مِثْبَلَاتٍ خُضِرٍ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ .

« يوسف » فذهب اليه فى السجن ، فقال : يا يوسف ا

« أيها الصديق » بامن عرفنا صدقك فى كل أحوالك ..

ودات الأيام على صدق ما أولت لنا من أحلام رأيناها وقصصناها عليك ..
يوسف .. أيها الصادق .. العظيم !
« أفنتنا » أول لنا تأويلا سريعا ..

« في مع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » .. لقد رأى الملك رؤيا عجيبة ... رأى
كأن سبع بقرات سمان .. عظام الجثة .. يخرجن من النهر ... ثم جاء من بعدهن سبع
بقرات مهزلات .. خرجن من النهر .. وابتلعنهن ابتلاعا ..

« وسع سنبلات - خضر وأخر يابسات » كما رأى الملك رؤيا ثانية .. كأن سبع سنبلات
خضر .. يأكلن سبع سنبلات يابسات ..
أفنتنا أيها الصديق في هاتين الرؤيتين ..

فإن الملك قد جمع عطاء دولته .. وسألهم تعبير ما رأى .. فلم يستطيعوا له جوابا ..
« لعلى أرجع إلى الناس » وإني لأرجو أن أعود إلى الملك والذين اجتمعوا من
حوله .. يعا ..

« لعالمهم يعلمون » وإني لأرجو أن أخبرهم بتفسيرك .. وأرجو أن يعلموا بسبب
ذلك تفسير ما رأى الملك .. وبالتالي يعرفون فضلك وعلمك وبراءتك ونزاهتك ..
فيعيدوا النظر في حكمهم عليك بالسجن .. ويخرجوك منه اخراجا كريما ..

اشعاعات

يوسف ١٩

فيها إشارة لطيفة .. إلى ما كان من شوق ولهفة في ذلك اللقاء ..
ولم يكون رقيقا .. ومؤثرا .. لقاء الأخوة .. بعد غيبة طويلة ١٩
فكيف .. وهذا الرجل الذي نجا .. إنما توثقت الصداقة بينه وبين يوسف وهما في
السجن وتوطدت .

وها هو يعود إلى السجن بعد سنين .. ليرى يوسف .. مازال في بلائه ..

يعانى اذلال السجون وآلامها .. بينما هو فى عزه الحرية ولذا اذها .
كان لقاء مؤثرا ..

وكان لهذا اللقاء رد فعل عنيف فى نفس الرجل ..

حين جىء ييوسف فى اذلال السجين .. اليه ..

فما أن رآه .. حتى تلقاه فى تأثر بالغ .. وهتف به : يوسف !!!

ثم ازداد تأثره ..، وانفجرت عيناه بالبكاء .. لما يرى من اهانة يوسف .. وهو يعلم
أنه خير الناس .. وأعلمهم .. وأحكمهم .. وأنزههم ..

فهتف به أيها الصديق .. أيها العظيم يوسف .. أيها الصادق فى كل شيء ..

أيها المبلى من أجل صدقك .. ولو كنت من الكذابين الخادعين ما دخلت السجن

ولا ابتليت ..

فإذا كان من العظيم ؟

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُفُلِهِ لِأَنَّ
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ .

« قال » قال يوسف لصاحبه .

« تزرعون سبع سنين دأبا » دائبين مواظبين كل عام منها ..

« فما حصدم » فما حصدم من الزرع ..

« فذروه فى سنبله » فلا تدرسوه ، وإنما اتركوه فى سنبله ، فانه أبقي له وأحفظ ..

« إلا قليلا مما تأكلون » ويستثنى من ذلك قدر ماتستهلكون سنويا .. قدر ما يأكل

الشعب ..

اشعاعات

ما هذا ؟ .. هذا يوسف .. عليه السلام .. يتلأأ .. وهذا ما آتاه ربه يتجلى ..
وحين يأذن الله تعالى لفضله أن يظهر .. يكون منه العجب ..
إن يوسف قرأ من صفحة الغيب .. يطلع فيها ويتلو .. كأنما قد نشرت له السنون
القادات .. ورأى جزئياتها ..

وتفصيلاتها .. فجعل يتحدث بتفصيل ما سيكون ..
تزرعون سبع سنين .. سيكون النيل فيها مرتفعا .. والخير عمى .. والمحاصيل عظيمة
نامية .. سبع سنين متواليات .. تدأبون أيها المصريون فيها .. على الزراعة .. وتتوافر
لكم فيها كميات هائلة من القمح والشعير وغيره من المحاصيل .
ثم ماذا ؟ .. ثم يخطط يوسف لهم .. التخطيط الواجب أن يسبروا عليه في تلك السنين
السمان ..

فما حصدم فذروه في سنبله .. فما جمعتم من القمح والشعير .. والقول والذرة ..
فذروه في سنبله .. فدعوه .. في سنبله .. في أغلافه .. كما هو .. فيما عدا ما يخصص
للاستهلاك السنوى للشعب ..

فما معنى هذا ؟

معناه أن علوم النبوة التي آتاها الله يوسف .. واختصه بها .. قد تفجرت .. وجاء حينها ..
معناه أن الله يسوق بدايات التمكين ليوسف في الأرض .
وأن الله .. وإن ألقى يوسف في السجن .. ولكنه تعالى يرعاه .. ويتولاه .. ولا ينساه !

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا يَحْصِلُونَ .

« ثم يأتى من بعد ذلك » ثم يأتى من بعد السنين السبع المذكورات .
« سبع شداد » سبع سنين صعاب على الناس ؛ لقوة القحط ...
ثم يستمر انخفاض الفيضان .. سبع سنين متتابعات .. حتى تكون شدة .. وتنخفض
المساحات المزروعة .. لقلة المياه ... وتكون مجاعات ..
« يأكلن ما قدمتم » يستهلكن ما ادخرتم ..
بأكلن ما دفعتم لهن من الحبوب المتروكة فى سنا بلها .
ولما عبر عن البقرات بالسنين ، نسب الأكل إلى السنين ؛ كما رأى فى الواقعة البقرات
بأكلن حتى يحصل التطابق بين المعبر وهو المرئى فى المنام ، والمعبر به ، وهو تأويله .
« إلا قليلا مما تحصنون » مما تحرزون وتخبثون للزراعة .

- ٤٩ -

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ .
« ثم يأتى من بعد ذلك » ثم يأتى من بعد السنين السبع الشديدة ، التى استهلك
جميع ما ادخره الناس من حبوب ..
« عام » سنة مباركة ، كثيرة الخير ، غزيرة النعم .
« فيه يغاث الناس » فيه يمتطرون من الغيث ... أى تسقط فيه أمطار غزيرة فى منابع
النيل ... فيأتى فيضان عال جدا ... يغمر الأراضى كلها ... وتزدهر البلاد بالخصب
والمحاصيل الوفيرة ...
أو تسقط أمطار غزيرة على البلاد المصرية نفسها .. تعوض الناس ما كان من انخفاض
مياه النيل .

أو : يغاث الناس من القحط والمجاعات .
أو : يرفع عنهم مكروهه .. من الفوئث ..

« وفيه يعصرون » ما كانوا يعصرونه على عادتهم ، من عنب ، وزيتون ونحوهما ..
وقيل : معنى (يعصرون) يخلبون الضروع .
واللفظ بعموم معناه يشمل ، لأن الحلب فيه عصر الفرع ليخرج الدر .
قالوا : تأول البقرات السماء ، والسنبيلات الخضر بسنين مخاصيب ، والمجاف ،
واليابسات بسنين مجدبة ، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يحىء
مباركا خصيبا ، كثير الخير ، غزير النعم ، وذلك جهة الوحي .

اشعاعات

وهكذا .. انفجرت النبوة عيوننا .. وانطلقت إشعاعاتها ذات اليمين وذات الشمال !!
الرجل يستفتي يوسف — عليه السلام — في تعبير رؤيا الملك .. فيفسر له الرؤيا
الأولى والثانية

ثم لا يقف عند هذا الحد .. بل ينبئهم بما سيكون بعد تلك السنين الأربعة عشر ..
ستأتي السنة الخامسة عشر سنة رخاء وسخاء ..

أمطار غزيرة في يتابع النيل .. تجري منه فيضانات مرتفعة جدا في النيل ..
وأمطار غزيرة على سائر البلاد .. تنحضر لها الأرض وتهتز ..
ويبلغ من ازدهار الزراعات والبساتين في البلاد ..

أن العنب يكثر جدا .. ويزيد عن استهلاك المصريين .. فلا يجدون أمامهم إلا أن
يعصروه .. ويختزنوه ، وكذلك سائر المحاصيل .. من الفواكه .. كالبرتقال وزيتون ..
تزيد عن استهلاك الشعب .. فيعصروها .. ويختزنوها .. نرايا .. أوزيتا .. أو غير
ذلك ... من أفانين الاختزان ..

عام .. سوف يعوض الناس ما كان من قحط وشدة طيلة السنين السبع الشداد ..
فما معنى هذا ؟

إن الرجل لم يكن يطعم في أكثر من تفسير رؤيا الملك ..

فإذا يوسف يفسر له الرؤيا ...
بل يخطط للدولة كلها وهو في سجنه وبلائه .. ما ينبغي عليهم أن يفعلوه ليتقوا آثار
الجماعة الممتدة سبع سنين شديدة ..
ثم ليس كذلك .. بل يبشرهم جميعاً .. بما سيكون بعد ذلك من رخاء عظيم ..
ثم لا يقف عند هذا .. بل يبلغ به الأحكام .. أن يحدد لهم كل شيء تحديداً ..
إنها النبوة تتفجر .. « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها .. »
لقد كانوا رحمة ... وأى رحمة ؟ !

وَقَالَ الْمَلِكُ ااتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ .
وذهب الساقى فرحاً إلى الملك ، وقص عليه ، وعلى من حوله ، ممن ينتظرون .. تفسير
يوسف للرؤيتين .. ثم آثار دهشتهم جميعاً .. حين أخبرهم بنبوءته بما سيكون في العام
الخامس عشر .. من ارتفاع البلاء .. ونزول الأمطار .. وانتشار الرخاء ..
وأحسن الذي رأى على الفور .. أحسن الملك أن ذلك التعبير .. وذلك التنبؤ ..
لا يمكن أن يكون إلا من رجل عظيم .. أو نبي كريم .. فأصدر أمراً ملكياً على
الفور ..

« وقال الملك اتتوني به » أخرجوه من السجن فوراً ، وأحضروه إلى ..
لتذهب قوة فوراً .. وتحضره عندي على الفور ..
« فلما جاءه الرسول » فلما جاءه رسول الملك يستدعيه إلى الملك ..
« قال » قال يوسف له :

« ارجع إلى ربك » ارجع إلى سيدك الملك
« فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن » أى ما شأنهن وخبرهن ؟

أمره بأن يسأله ويستفهمه عن ذلك .

ولم يكشف له عن القصة ، ولا أوضحها له ، لأن السؤال مجحلاً ، مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ، فتحصل البراءة .
ولإنما كان السؤال المحمل يهيج الإنسان ويحركه للبحث عنه ، لأنه يأنف من جهله وعدم علمه به .

ولو قال : سله أن يفتش عن ذلك ، لكان طلباً للفحص عنه ، وهو مما يتسامح ويتساهل به ، وفيه جرأة عليه ، فربما امتنع منه ، ولم يلتفت إليه .

قالوا : إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك ، وقدم سؤال النسوة ، لتظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه ، لئلا يتساق به الحاسدون إلى تقييح أمره عنده ، ويجعلوه سائماً إلى حط منزلته لديه ، ولئلا يقولوا : ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم ، وجرم كبير ، حق به أن يسجن ويعذب ، ويستكف شره .

وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقعها .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره ، والله يغفر له ، حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني . ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال (ارجعْ إِلَى رَبِّكَ) ، ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت ، لأسرعت الإجابة ، وبأدبرتهم الباب ، ولما ابتغيت العذر .
[رواه عبد الرزاق في مصنفه مراسلاً عن عكرمة]
إن كان حليماً ذا أناة .

وقد روى في المسند ، والصحيحين مختصراً ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » .

قالوا : مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأناة ، وكان في طي هذه المدحة مالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الوهم أنه هم بامرأة العزيز هما يؤاخذ به .
لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه ، وهو الخروج من السجن ، مع أن

الدواعى متوفرة على الخروج منه ، فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم ، أولى وأجدر .

قالوا : وإنما لم يتعرض لامرأة العزيز ، مع مالتى منها مالتى ، من مقاساة الأحران ، محافظة على مواجب الحقوق ، واحترافاً عن مكرها ، حيث اعتقدها مقيمة فى عدوة العداوة . وأما النسوة فقد كان يطمع فى صدعهن بالحق ، وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم ، ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الأيدى ، ولم يصرح براودتهن له ، وقولهن (أطع مولاتك) واكتفى بالإيماء إلى ذلك بقوله : « إن ربى بكيدهن عليم » يعنى ما كدنه به .. وفى إضافة علمه إلى الله إشارة إلى عظمه . وأن كنهه غير مأمول الوصول إليه ، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . وفيه تشويق وبعث على معرفته ، فهو تتميم لقوله (أسأله) الخ . ودلالة على أنه برىء مما قرف به ، للاستشهاد بعلمه تعالى عليه . وفيه الوعيد لمن على كيدهن . وأنه تعالى مجازٍ عليه .

- ٥١ -

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَن يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ .

« قال ما خطبك إذ راودتن يوسف عن نفسه » استئناف مبنى على السؤال ، كأنه قيل : فإذا كان بعد ذلك ؟ فقيل : قال الملك : ما خطبك - أى شأنك - إذ راودتن يوسف يوم الضيافة ؟ يعنى : هل وجدتن منه ميلاً إليك ؟ « قلن حاش لله » تنزيه لله تعالى .. سبحان الله ... « ما علمنا عليه من سوء » من قبيح .

ما صدر عنه ولو أقل القليل من الفعل السيئ ... إنه إنسان كامل .

« قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ » الآن ثبت واستقر الحق وظهر بعد خفائه .

« أنا راودته عن نفسه » أنا أعترف أنى أنا التى راودته عن نفسه وليس هو .

« وإنه لمن الصادقين » فى قوله هى راودتنى عن نفسى .

قالوا : ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة .. واعترافهن على أنفسهن ، بأنه لم يتعلق بشىء مما قرفنه به ، لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل ، لم يبق لأحد مقال ..

اشعاعات

ما معنى هذا ؟ وكيف تأتى للملك أن يجمع هؤلاء النسوة جميعا ؟

يفهم من تسلسل الحوادث .. إما أن يوسف قد أخبر الرسول بتفصيل قصتهن ، وأسمائهن ، وما حدث منهن ، وطلب إليه أن يروى للملك الحقيقة كاملة .. فذهب الرسول إلى الملك ، وقص عليه كل ما كلفه به يوسف - عليه السلام - فأرسل الملك إليهن جميعا ، بما فيهن امرأة العزيز ..

ثم تولى الملك التحقيق بنفسه معهن . وواجهن بالحقيقة .. فاعترفن لفورهن جميعا .

فلما رأت امرأة العزيز أنهن قد أجمعن على براءته ..

لم تجد بدا من الاعتراف هى الأخرى فاعترفت : أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين .

هذا احتمال هو عندى الأقوى والأولى .

واحتمال آخر ... لا بأس به ... ن قضية يوسف كانت قضية مشهورة عند الملك

والشعب ...

وأنها نظرت أمام القضاء ملفقة على أن يوسف قد راود امرأة العزيز عن نفسها ، وأنها

دفعته عنها ، وتلك جريمة كبرى أن يهترى بمملك على سيدته إلى مثل ذلك الحد ..

وأنهم تلقفوا كذلك باتهام أشد .. هو أنه حاول أن يعتدى على المدعوات فى حفل

امرأة العزيز الساهر كذلك ..

وأنهن جميعاً وعلى رأسهن امرأة العزيز .. اشتكين مما حدث منه ..
فكان أن قبض عليه ... وأودع السجن رهن التحقيق ... في جريمة شروع في الزنى
بامرأة العزيز ومدعوات امرأة العزيز !!!
ثم رفعت القضية إلى القضاء .. وكان الحكم بسجنه سجنًا مؤبدًا !!

تلفيق .. في تلفيق .. في تلفيق ..

واستغل العزيز سلطاته .. في التأثير على القضاء ..
واستصدر هذا الحكم منهم .. وأذيع الحكم على الشعب ..
وكان ذلك المكر منهم جميعاً لتغطية الفضيحة في البلاد ..
حيث قد شاع وذاع أن امرأة العزيز تراود فتاها ..

ثم شاع وذاع أن النسوة كذلك تراود يوسف عن نفسه .. وهو يستعصم منهن جميعاً ..
فلم يكن بد من تغطية ذلك كله .. بأن تصور الأمور على العكس من ذلك وإيهام
الشعب أن يوسف هو المعتدى .. وأنه سوف يلقي جزاءه الأليم !!

وأن تلك القضية كانت مشهورة بين الناس ، وعلى رأسهم الملك الذى صدق على
الحكم بسجنه ..

وأن الملك كان ممن خدع بذلك التلفيق الذى لفقوه ورفعوه إليه على أنه حقيقة ..
فلما رفعوه إليه صدق على الحكم وهو يعتقد أن يوسف آثم أثيم !!

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْشَهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ .

« ذلك » تقول امرأة العزيز : ذلك الذى اعترفت به على نفسى .

« ليعلم » ليعلم يوسف .

« أنى لم أخنه بالغيب » أنى لم أكذب عليه فى حال الغيبة ، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه .

أو : ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب فى نفس الأمر ، ولا وقع المحذور الأكبر ، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع ، فاعترفت ليعلم أنى بريئة .
« وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » لا يرضاه ولا يسدده .
وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف .

والمعنى : ذلك الثبوت والتأني والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز أنى لم أخنه بظهر الغيب فى أهله .

أو : ليعلم الله أنى لم أخنه ، لأن المعصية خيانة .

ثم أكد يوسف أمانته بقوله : (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) وأنه لو كان خائناً لما هدى الله عز وجل أمره ، أى : سدده وأحسن عاقبته .. وفيه تعريض بامرأة العزيز فى خيانتها أمانته ، وبالعزيز فى خيانة أمانة الله تعالى ، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه .

اشعاعات

فى قولها : ذلك .. ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ..

فيها اعلان لحبها الشديد ليوسف .. وانها لم تستطع أن تكتم أمره عن أحد .. وأنها حريصة على ارضائه فى كل مناسبة ..

إنى اعترف .. لا لشيء .. إلا ليصل إلى علم يوسف .. أنى لست بخائنة .. ولست بمنحلة .. ولست بعاهرة .. وإنما أنا أحبه .. وحبه هو الذى حركنى إلى ذلك .. وها أنا أقول الحقيقة ارضاء لنفسه .. التى أحب أن تكون راضية عني !!

إن المرأة قد شغفها يوسف حبا !!

وفيها كذلك تسجيل لشدة احساس المرأة بجريمتها .. وأنها نفقت تلك التهمة لشاب برى .. وتسببت في سجنه اعواما بغير ذنب .. فهي تريد أن تخفف من آثار الجريمة .. وتعلن براءته .. ليخرج من ذلك العذاب ..
وأما على التفسير الآخر : ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه مع ذلك الشاب .. ولم أطمعه بالغيب .. من وراء ظهره ..
ففيها براعة من تلك المرأة .. فهي تريد أن يتأكد زوجها من براءتها .. فلا ينظر إليها على أنها امرأة خائنة !!

وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .

« وما أبرئ نفسي » قال يوسف ، لما حصص الحق ، وظهرت براءته . وشهد ببراءته من كل سوء النسوة وامرأة العزيز أمام الملك : وما أبرئ نفسي .
أى لا أنزهها من الزلل ، ولا أشهد لها بالبراءة الكلية ، ولا أزيكها ..
أراد أن يتواضع لله ، ويهضم نفسه ، لئلا يكون لها مزكيا ، وبحالها في الأمانة معجبا ومفتخرا ، وليبين أن مافيه من الأمانة ليس به وحده ، وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته .
« إن النفس لأماراة بالسوء » إن النفس البشرية تأمر بالسوء ، وتحمل عليه بما فيها من الشهوات .

« إلا مارحم ربي » إلا مارحم الله من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المساوىء .

« إن ربي غفور » إن ربي يتجاوز دائما للناس عن خطاياهم .. وبسترها عليهم ..
ما استغفروه ..

« رحيم » وذلك لأنه واسع الرحمة ..

اشعاعات

فيها للأء يوسف .. وانوارہ المشرقة ...
ففيها نواميس كاملة من تلك النواميس التي لا يدركها إلا من اصطفاهم الله تعالى ..
وآثام .. وهدام ..

الناموس الأول .. وما أبرئ نفسي ..
يعلم يوسف - عليه السلام - ناموسا خطيرا جدا .. هو ناموس النقص .
أن كل نفس ناقصة .. مهما كملت أو تكاملت أو كملت .
وإنما هو أمر نسي .. وأن كمال النفوس يتدرج إلى أعلى .. ويصل الأنبياء جميعا إلى
أعلى درجات الكمال .. ولكنهم مع ذلك يلحقهم التقصير كغيرهم بحكم بشريتهم .. وإن
فاقوا النفوس جميعا كأنباء ..

ومهما تكاملت النفوس .. فإن من وراء كلهما كالا أعلى ..
حتى الأنبياء ..

وفي قول يوسف : وما أبرئ نفسي .. إشارة إلى ذلك الناموس ..
يريد أن يقول ، إن نفسي مقصرة .. ككل نفس بشرية ..
فليس الأمر أمر تواضع .. وإنما هو تقرير حقيقة ..

حقيقة لا يدركها إلا الأنبياء والعلماء ..
الناموس الثاني .. إن النفس لأماراة بالسوء ..

إن النفس البشرية لاتأمر إلا بالسوء .. دائما وأبدا ..!!

لماذا؟! لأمر بسيط .. لأن النفس .. هي ما نسميه في العصر الحاضر .. بالفرائز ..
غريزة الجنس .. غريزة حفظ النوع .. غريزة التملك .. غريزة تنازع البقاء ..

أو - بلغة الوحي - الشهوات ..

تلك الفرائز ، أو الشهوات ، أو متطلبات الجسد .. أو الدنيا بلغة الشريعة .. شيء

يضاد الملو والسمو دائما ..

الفرائز تريد أن تنحط بالإنسان إلى تحت ..
والوحي يريد أن يرتفع بالإنسان إلى أعلى ..
والإنسان .. بين هذا التجاذب دائماً في صراع ..
فالنفس أمارة بالسوء دائماً .. دائبة على الاشتهااء .. دائبة على الرغبة في تنفيذ
مانشهى ..

هذا هو الناموس الثانى .. فما الناموس الثالث ؟
« إلا مارحم ربى » .. إلا نفسا اختصها الله برحمة خاصة ..
إلا نفسا زادها الله رحمة من عنده .. آتاها نسبة من الرحمة .. زيادة عما آتى العموم ..
هذه النفس .. هى التى تستثنى من النفوس جميعا ..
لأن الرحمة التى أنزلها إليها .. تنير لها الطريق .. وتعرفها أن الباقي خير من القانى ..
وأن تعالى خير من التسافل .. وأن الارتفاع أحلى من الانحطاط ..
هناك تستطيع هذه النفس أن تأوى إلى ربها .. وتعلمن إلى جنبه .. وتتغلب على
شهواتها ونزواتها ..

أما سائر الناس .. فعبيد غرائزهم .. « واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » ..
وأما الناموس الرابع .. « إن ربى غفور رحيم » .. ومع ذلك فإن ربى غفور ..
فتح باب المغفرة على مصراعيه .. ليستغفره الناس .. ويغفر لهم ما كان من نقائصهم ..
الناموس الخامس .. « رحيم » .. بلغ من رحمته أن وسعت كل شىء ..
ما هذا ؟ .. هذه اشعاعات يوسف .. هذه نوااميس .. يطلقها يوسف .. ولا يمكن
أن تتأتى إلا لمن كان فى مثل مقام يوسف !!

وهكذا .. أعلن يوسف أن النفوس جميعا ناقصة .. عاجزة عن السكمال .. لما ركب
فيها من غرائز تدفع دفعا إلى المعصية .. وأنه لولا أن تداركه الله برحمة منه .. وخصه
بفضل منه .. لهوى كما يهوى الناس جميعا ..
ولذلك قالوا : (وما أبرئى نفسي) أصل فى التواضع ، وكسر النفس ، وهضمها .

قالوا : أخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف ، وما راودته ، وكادته به ، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف ، لصبره وعفته وتقواه ، مع أن الذي ابتلى به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه . فإن موافقة الفعل ، بحسب قوة الداعي ، وزوال المانع ، وكان الداعي ههنا في غاية القوة ، وذلك لوجوه :

« أحدها - ماركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة ، كما يميل العطشان إلى الماء ، والجائع إلى الطعام ، حتى إن كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ، ولا يصبر عن النساء . وهذا لا يذم إذا صادف حلالا بل يحمّد .

« الثاني - أن يوسف عليه السلام - كان شابا ، وشهوة الشباب وحدثه أقوى .

« الثالث - أنه كان عزبا لا زوجة له ولا سرية تسكر شدة الشهوة .

« الرابع - أنه كان في بلاد غربة يتأني للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأني لغيره في وطنه ، وبين أهله ومعارفه .

« الخامس - أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها .

« السادس - أنها غير آتية ولا ممتنعة ، فإن كثيرا من الناس يزيل رغبته في المرأة بإبائها وامتناعها ، لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها ، وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع زيادة حب ..

« السابع - أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد ، فكفته مؤنة الطلب ، وذل الرغبة إليها ، بل كانت هي الراغبة الدليلة ، وهو العزيز المرغوب إليه .

« الثامن - أنه في دارها ، وتحت سلطانها وقهرها ، بحيث يخشى ، إن لم يطاوعها ، من أذاها له ، فاجتمع داعي الرغبة والرغبة .

« التاسع - أنه لا يخشى أن تنمى عليه هي ، ولأحد من جهتها ، فإنها هي الطالبة والراغبة ، وقد غلقت الأبواب ، وغيت الرقباء .

« العاشر - أنه كان مملوكا لها في الدار ، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ، ولا ينكر

عليه ، وكان الأنس سابقاً على الطاب ، وهو من أقوى الدواعي ، كما قيل لامرأة من العرب ما حملك على كذا ؟ قالت : قرب الوساد ، وطول السواد . تعنى قرب وساد الرجل من وسادتي ، وطول السواد بيننا .

« الحادى عشر - أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتتيال ، فأرته إياهن ، وشكت حالها إليهن ، لتستعين بهن عليه ، فاستعان هو بالله عليهن ، فقال : (وإلا نصرف عى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) .

« الثانى عشر - أنها تواعدته بالسجن والصغار ، وهذا نوع إكراه ، إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به ، فيجتمع داعى الشهوة ، وداعى السلامة ، من ضيق السجن والصغار .

« الثالث عشر - إن الزوج لم يظهر من الغيرة والقوة ما يفرق به بينهما ، ويبعد كلا منهما عن صاحبه ، بل كان غاية ما خاطبهما به أن قال ليوسف : (أغرض عن هذا) والمرأة : (استغفرى لذنبيك إنك كنت من الخاطئين) وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع ، وهنا لم يظهر منه غيرة .

« ومع هذه الدواعي فآثر مرضاة الله وخوفه ، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنى ، فقال : (رب السجن أحبُّ إلى مما يدعونى إليه) .
« وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه ، وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه ، وكان من الجاهلين .
« هذا من كمال معرفته بربه وبنفسه .

« وفى هذه القصة من العبر والقوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة » !!

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ .

« وقال الملك » قال ذلك لما تحقق براءته بما نسب اليه ، وكرم نفسه ، وسعة علمه .

« اثقوني به » احضروا إلى هذا الرجل العجيب فوزا .

« أستخلصه لنفسى » أخصه بها ، دون العزيز .

جريا على عادة الملوك من الاستئثار بالنفيس العزيز .

« فلما كباه » فلما أتوا به ، وكبه ، أى خاطبه الملك وعرفه وشاهد فضله وحكمته

وبراعته .

أو : فلما كلم يوسف - عليه السلام - العزيز .

« قال » الملك :

« إنك اليوم لدينا مكين » ذومكانة ومنزلة .

« أمين » مؤتمن على كل شيء .

روى : أن يوسف - عليه السلام - لما حضر الملك ، وعبر له رؤياه ، ابتهج بحديثه

هو وخاصته .

وقال لهم : هل نجد مثله رجلا مهيّطاً للامداد الربانى ؟

« وقال يوسف بعد أن عرفك الله هذا فلا يكون حكيم مثلك .

« وأنت على بيتى ، وإلى كلمتك تنقاد رعيتى ، ولأأكون أعظم منك إلا بعرضى .

« وقد أقمك على جميع أرض مصر .

« ونزع خاتمه من يده ، ووضع في إصبعه ، وألبسه ثياب يزّ ، وجعل طوقاً من

ذهب في عنقه ، وأركبه مركبته ، وأمر أن يطاف به في شوارع مصر ، وينادى أمامه

بالخضوع له .

« وقال له الملك : لا يمضى أمر ، ولا ينفذ شأن فى مصر إلا برأيك ومشورتك .

« وسماه مخلص العالم .

« وزوجه بنت أحد العظماء لديه .

« وكان يوسف ، وقتئذ ابن ثلاثين سنة » .

وقالوا : إن من أمعن النظر في قصة يوسف - عليه السلام - علم يقينا أن التقى الأيمن لا يضيع الله سعيه ، بل يحسن عاقبته ، ويعلى منزلته في الدنيا والآخرة .
« وأن المعتصم بالصبر لا يخشى حدثان الدهر وتجاربه ، ولا يخاف صروفه ونوائبه ، فإن الله يعضده ويُنجح مسعاه ، ويخلد ذكره العاطر على ممر الأدهار » .

اشعاعات

ماذا هناك ؟ هناك شيء .. تتفجر له العيون بُكياً .
الله .. جل ثناؤه .. يصدق .. يوسف - عليه السلام - وعده .. كما صدقه ..
يوسف .. وعده .
مامعنى هذا ؟
معناه كبير جدا جدا ..
لقد كان يوسف جوهرًا كريما ... ولكنه مطموس ... لا يدرى به أحد ...
كان سيدا حرا ... من سلالة سادة أحرار ...
فأهين بالأسر والاسترقاق والمملوكية !!
وكان نبيا ... كريما ... من سلالة ... وتسلسل أنبياء ...
فعومل معاملة الخدم ... ولا وزن لأنواره .. ومكنوناته ..
وفي هذا من الآلام مافيه ...
وكان جوهرًا صافيا نقيا خالصا مخلصا ... فنظروا إليه على أنه مجرد جسد جميل ...
يصلح للاستمتاع !!
وهذا من أشد الآلام التي تصيب مثل تلك القلوب الكبيرة !!
وكان في قلبه ميراث النبوة ... واشعاعات الرسالة ... وعلوم الربوبية ... وورحات
الألوهية ..
وهو مجرد سجين ... مهين ... ضائع ... في قوم مجرمين !!

وكان متهما بالباطل ... أنه أراد أن يعتدى على امرأة العزيز ... وعلى نساء الأعرزة
والكبراء .

وهو صابر ... بالله ... وفى الله ... والله ...

على أعلى ما تكون مقامات الصبر ...

حتى حقق الملك القضية بنفسه ... واستبان الحق لعينيه ... وشهدت له النسوة جميعاً
بالطهر والعفة ...

فاشتد شوق الملك أن يرى ذلك الرجل الخارق ... العجيب .. الذى انتصر على كل
هذه الفتن ..

فصاح الملك : اثقنى به ...

وهنا يتلأأ نور عظيم ... يتشعشع من قوله تعالى « فلما كلمه » ...

جاء يوسف .. جاء أجمل إنسان على ظهر الأرض .. ظاهراً .. وباطناً ..

شاب .. وجهه نور .. وباطنه نور .. وظاهره نور ..

جبال .. وجلال .. يتلأأ الآن .. فى صورة إنسان !!

هنالك أدرك الملك .. أنه أمام إنسان عظيم حقاً ..

وأحس الملك أن يوسف أولى منه بالملك ..

ورأى الملك نفسه لاشئ .. جنب يوسف .. وهيبة يوسف .. وجمال يوسف ..

وعلم يوسف .. وحكمة يوسف وأنوار يوسف ..

وحين يتحدث الأنبياء .. يكون لحديثهم رنين الصدق ، ولألاء الربانية .. وبهاء

النورانية ..

فتشرق أنوارهم فى قلوب الذين يتحدثون إليهم ..

وانشرح الملك به صدره .. كأنما قد عثر على أعز ما كان يتمنى فى حياته ..

رأى أمامه نموذجاً لم ير مثله من قبل .. على طول ما رأى وقابل ..

لقد قابل الملك .. بحكم منصبه .. رجالات الدنيا .. وعظماءها .. فلم ير أعظم من يوسف .. ولا أحلى من حديثه .. ولا أجمل من صورته .
ومحدثا .. طويلا .. واستعرضا أمرها ..
وأيقن الملك أنه أمام شخصية خارقة ..
نبوة .. علم .. حكمة .. جمال .. هيبة .. قوة .. شباب .. رحمة .. عظمة .. خبرة .. عفة .. أمانة ..

وازداد به إعجابا .. وله اكبارا .. حين شرح له رؤياه .. وما ترمز إليه ..
وحين خطط له التخطيط الواجب عليهم اتباعه .. حتى لا تتعرض البلاد للهلاك ..
فلما كلمه ؟!

فيها أنوار عالية جدا .

يكاد لألاؤها يوقف العقول عن الإدراك !

فإذا كان من الملك ؟

« قال : إنك اليوم » إنك الآن يا يوسف ..

« لدينا » عندنا .. في مملكتنا كلها .. من أولها .. إلى آخرها ..

« مكين » ذو مكانة رفيعة .. عالية .. أنت من الآن رئيس الوزراء .. تفعل ما تشاء

وتحكم كيف تشاء .

« أمين » وأنت موضع ثقتنا جميعا .. مؤتمن على كل شيء !!!

ما هذا ؟! هذا صدق الله وعده رسله !!!

من أذل الذل .. من الأشغال الشاقة في السجن إلى أعز العز .. إلى رئاسة الوزارة

في الامبراطورية المصرية إذ ذاك .

ومن الاتهام بالزنى والفحشاء والسوء .. إلى البراءة .. وشهادة الجميع له بالطهارة

والبراءة ..

ومن المملوكية واذلالها .. إلى الملك والسلطة والأسباب كلها !!!

ومن خول الذكر .. حيث كان لا وزن له عند أحد .. إلى ارتفاع الذكر .. وانتشار
الشهرة حتى أصبح حديث الجميع .. وسيد الجميع .. ورجل الساعة في العالم !!!
ومن جهل الناس به .. وعدم انتفاعهم بعلمه .. إلى حيث يمكن من الأرض والسلطة .
ويعلم الناس علمه ، وفضله ، ويعممهم خيره .
ما هذا ؟ هذا شيء من اشعاعات الآية .. وإن وراء الاشعاعات لاشعاعات !!!

— ٥٥ —

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ .

« قال » يوسف للملك .

« اجعلني على خزائن الأرض » واني خزائن أرضك .

يعنى : جميع الغلات لما يستقبلونه من السنين التى أخبرهم بشأنها ، فيتصرف لهم على
الوجه الأرشد والأصلح .

ثم بين اقتداره فى ذلك فقال ..

« إني حفيظ » أمين أحفظ ما تستحفظنيه ..

« عليم » عالم بوجوه التصرف فيه ..

قالوا : وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبية الملوك ممن يولونه . وإنما قال
ذلك ليتوصل إلى امضاء أحكام الله تعالى أو إقامة الحق ، وبسط العدل ، والتمسك بمالأجله
تبعث الأنبياء إلى العباد ، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه فى ذلك ، فطلب التولية ابتغاء
وجه الله ، لا لحب الملك .

قالوا : إنما لم يذكر إجابة الملك إلى مأسأله عليه السلام من جعله على خزائن الأرض .
أيذاًنا بأن ذلك أمر لامرئ له ، غنى عن التصريح ، لاسيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام
السلطنة بمخافيرها ، من قوله « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وللتنبية على أن كل ذلك من
الله عز وجل ، وإنما الملك آله فى ذلك .

اشعاعات

يوسف .. يرى حقيقة نفسه .. ويصف نفسه .. إلى حفيظ عليم .

فهو يمتاز بصفتين .. أمين .. عليم .. الأمانة والعلم .

أما الأمانة فقد تَلَّات في ثَنَايا بَلَاهُ ..

وأما العلم فنابع من أنوار النبوة وليس وراء النبوة علوم ..

إنه رجل كفء للمنصب ..

ولذلك طلب إلى الملك أن يعطيه السلطة الكاملة في إدارة شئون الدولة .

اجعلنى على خزائن الأرض ؟

مكنى من السيطرة على مقدرات البلاد ، وامكانياتها الهائلة ، لأسوسها سياسة رشيدة ،

تجنّبكم جميعا مهالك المجاعة القادمة .

وقد كان .. وألقى الملك بكل شيء إليه .. ألقى إليه أمر البلاد والعباد ..

وكانت تجربة جديدة دخلها يوسف ..

وتَلَّات فيها أنواره .. وظهرت فيها عبقريته ..

- ٥٦ -

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

« وكذلك مكنا ليوسف في الأرض » أرض مصر .

جعلناه ذا مكانة رفيعة .. وسلطة واسعة .. وأمرنا نافذا في أمحائها .

« يتبعوا منها » ينزل من بلادها .

« حيث يشاء » وذلك أنه .. عليه السلام .. لما ولاه النظر على خزائن مصر ، تحول في

قطرها ، وطاف قراها ، والأمر أمره ، والإشارة إشارته ، عناية منه تعالى ورحمة كما قال ..

« نصيب برحمتنا من نشاء » من نشاء .. وقما نشاء .. حينا نشاء ..
« ولا نضيع أجر المحسنين » الذين أحسنوا عملا .

اشعاعات

فيها نواميس كبرى ..

الناموس الأول .. « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض » .. أن التمكن .. أن الحكم
أن السلطة .. شيء يعطيه الله لمن يشاء « تؤتي الملك من نشاء وتنزع الملك ممن تشاء » .. فكما
يمكن الله لمن يشاء ، ويرفعه ، ويجعله ذا مكانة فيها .. ينزع ممن يشاء ، ويذهب مكانته منها .
الناموس الثاني .. « يتبوأ منها حيث يشاء » .. أن يوسف كان صاحب سلطات
مطلقة في الأمر والنهي .. وكان حاكما يحكم من الواقع ، ويخالط الجماهير ، وينزل إلى
مشاكلهم لم يكن مترفعا عنهم ..
وهذا خير أنواع الحكم .. أن يعيش الحاكم مشاكل الجماهير .. ليستطيع أن يحلها بنفسه
حلا عمليا ..

فبينما كان ذا سلطات مطلقة .. كان في الوقت نفسه .. رجل جاهل .. محبوبا من الجماهير
يتفاعل مع الجماهير .. بدليل أنه يتبوأ منها حيث يشاء .. ينزل منها حيث يشاء ..
ولو كان مجرد حاكم مستبد .. لكرهه الناس .. ولما استطاع أن يتجول في البلاد
حيث يشاء .

وأن التمكن الحقيقي للحاكم في الأرض .. هو التمكن له من قلوب الشعب ..
وقد توافر هذا ليوسف .. فهو محبوب من الملك .. والخاصية ..
محبوب من الشعب .. والجماهير ..

وهذا هو التمكن الحق .. إلى جوار التمكن الظاهر بالسلطة وتولى البلاد .
الناموس الثالث .. « نصيب برحمتنا من نشاء » .. أن الله راحة خاصة يخض بها من
يشاء من عباده ..

فهناك رحمة عامة هي التي يتغمس فيها الجميع ..
وهناك رحمة خاصة .. يخص بها من يشاء من عباده ..
كذلك التي آتاها يوسف .. في صورة تمكين في الأرض ..
فكانت رحمة له .. أن واثقه فرصة اظهار مواهبه المكنونة .. وتنفيذ إرادته المعطلة
ورحمة للناس .. أن شاع فيهم العدل .. والرخاء .. حين آلت أمورهم إلى يوسف ..
الناموس الرابع .. « ولا تضع أجر الحسنين » .. يستحيل أن يضعف الله أجر أي إنسان
أحسن عملا من الأعمال .
مستحيل أن يضعف اخلاص المخلصين ..
هذا ناموس خطير جدا .. لأن فيه ضمانا لحفظ حقوق الناس عند الله .. وأنها ثابتة ..
لا يمكن أن تضعف .
ولكن هل من الحتم أن يكافئ الله كل محسن .. وكل مخلص .. في هذه الدنيا ؟

— ٥٧ —

وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ .
« ولأجر الآخرة خير » ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا .
« للذين آمنوا » للذين داوموا على الإيمان في الدنيا .
« وكانوا يتقون » وداوموا على اتقاء محارم الله .
إشارة إلى أن المطلب الأعلى هو ثواب الآخرة ، وأن ما يدخر لهؤلاء هو أعظم وأجل
مما يخولون به في الدنيا من التمكين في الأرض والجاه والثروة والملك .

اشعاعات

هذا ناموس خطير ..
فإن أخطر شيء عند الإنسان .. أن لا يرى نتيجة عملية لا يمانه واحسانه وجهاده في الدنيا ..

فيأتي هذا الناموس ويؤكد .. أن أجر الآخرة خير من أجر الدنيا العاجل .. بشرط
أن يستعمروا على الإيمان والتقوى ولا ييأسوا ولا يرتدوا عن إيمانهم ..
وهذه حقيقة .. بسيطة جدا ..

فهي أوتى الإنسان في الدنيا .. من نعم .. أو سلطان .. فإنما هي سنين .. ويفارق
كل ما فيه ..

ولكن الآخرة .. نعم الأبد ..
فإن الفناء من البقاء .. أو النعيم الدائم من النعيم المستعار ؟

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ .

« وجاء إخوة يوسف » طالبين التموين والغلال ، لما أصاب أرض كنعان وبلاد
الشام ما أصاب مصر .

وقد كان حل بال يعقوب - عليه السلام - ماحل بأهلها فدعا أبناءه ماعدا بنيامين
فقال لهم : يا بني بلغني أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام ، فتجهزوا إليه واقصدوه تشتروا
منه ما تحتاجون إليه ، فخرجوا حتى قدموا مصر .

« فدخلوا عليه » فدخلوا جميعاً العشرة على يوسف - عليه السلام - وهو في
مكتبه .. بعد أن أذن لهم ..

« فعرفهم » لقوة فهمه، وعدم مباينة أحوالهم السابقة، أحوالهم يوم المفارقة، لمفارقتهم
إياهم وهم رجال ، وتشابه هيأتهم وزينهم في الحالين .

وروى أنهم ذكروا أسماءهم في الاستئذان عليه فعرفهم وأمر بانزالهم .

« وهم له منكرون » والحال أنهم منكرون له لتسيانهم له بطول العهد وتباين ما بين
حالته في نفسه ومنزلته وزينه .
ولا اعتقادهم أنه هلك .

اشعاعات

قالوا : حيث كان إنكارهم له - عليه السلام - أمرا مستمرا في حاتى المحضر والمغيب ، أخبر عنه بالجملة الاسمية « وهم له منكرون » ..
وهذا حق .. أنهم لا يتصورون أن هذا الرجل الجالس على كرسى مصر هو يوسف ..
الطفل الذى أقره في غيابة البئر ليهلك !!
وحق لو لم يهلك حين إلقائه في ذلك البئر .. فلا يعقل أن يتحول من طفل ضائع لا وزن له .. إلى حاكم يملك كل شئ في مصر !!
كان الأمر بعيدا عن تفكيرهم بعدا كبيرا ...
فهم لا يعرفون شيئا مطلقا عن أخيه الذى هلك .. ولا عن هذا الرجل الذى ملك !!

- ٥٩ -

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اثْنُوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ
أَنِّ أَوْفَى السَّكِيلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ .

« ولما جهزهم بجهازهم » ولما أصلحهم بعدتهم ، وأوفر ركائبهم بما جاؤا لأجله .
ولعله - عليه السلام - إنما باع كل واحد منهم حل بغير لما روى أنه كان لا يبيع
أحدا من المتارين أكثر من ذلك عدلا بين الناس .
وأصل الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع .
« قال » قال يوسف

« اثنوني بأخ لكم من أَيْكُم » ولم يقل بأخيكم مباغة في إظهار عدم معرفته لهم كأنه
لا يدري من هو !

قيل : قال يوسف - عليه السلام - ذلك حين سأله حملازندا عن المعتاد لبنيامين
فأعطاهم ذلك ، وشرط عليهم أن يأتوه به ، مظهر أنهم أنه يريد أن يعلم صدقهم .
« ألا ترون أنى أوف السكيل » ألا ترون أنى أتم السكيل .

ولما ثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على أن ذلك عادة مستمرة .

« وأنا خير المنزلين » والحال أنى فى غاية الإحسان فى انزالكم وضيافتكم .
وكان الأمر كذلك

ولم يقل ذلك - عليه السلام - بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به .

اشعاعات

قيل : إنهم لما رأوه فكلموه بالعبرية قال لهم : من أنتم فإنى أنكركم ؟ !

فقالوا : نحن قوم من أهل الشام ، رعاة ، أصابنا الجهد ، فحسنا نمتار

فقال : لعلكم جئتم عيوننا ، تنظرون عورة بلادى ؟

قالوا : معاذ الله ، نحن اخوة ، بنو أب واحد ، وهو شيخ ، صديق ، نبي ، من

الأنبياء إسمه يعقوب .

قال : كم أنتم ؟

قالوا : كنا إثني عشر فهلك منا واحد .

فقال : كم أنتم ها هنا ؟

قالوا : عشرة

قال : فأين الحادى عشر ؟

قالوا : هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك .

قال : فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوننا وأن ما تقولون حق ؟

قالوا : نحن ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا

قال : فدعوا بعضكم عندى رهينة ، واثبوني بأخيك من أيكم ، وهو يحمل رسالة من

أيكم حتى أصدقكم .

فاقترعوا ... فأصاب القرعة شمعون .

ومن هنا يعلم سبب هذا القول ...

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَكِيلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ .

« فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كِيلَ لَكُمْ عِنْدِي » إبعادهم على عدم الأتيان به .
والمراد لا كِيلَ لكم في المرة الأخرى فضلا عن إيفائه .

« وَلَا تَقْرُبُونِ » وَلَا تَقْرُبُونِي بِدخول بلاهي ، فضلا عن الإحسان في الإِزَالِ

والضيافة

وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى ، وأن ذلك كان معلوما

له - عليه السلام - .

أى أن يوسف - عليه السلام - هددهم أن لم يأتوه بينيامين ... سوف يشطب
أسماءهم من قائمة المسموح لهم بالتأمين ... وسوف يحل أسماءهم من الممنوعين من دخول
البلاد ..

أى لا يستطيعون أخذ الحبوب ، ولا حتى يسمح لهم بدخول البلاد .

قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ .

« قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ » سنخادعه ، ونستميله برفق ، ونجتهد في ذلك .

وفيه تنبيه على عزة المطلب ، وصعوبة مثاله .

« وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ » وإنا لقادرون على ذلك ، لا نحتاجا به .

أو : إنا لفاعلون ذلك لا محالة ، ولا نفرط فيه ولا نتوانا .

وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي حَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا

إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

« وقال » يوسف — عليه السلام — « لفتياناه » لعلمانه ، الكيالين .

أو : لأعوانه الموظفين لخدمته

« اجعلوا بضاعتهم في رحالهم » ضموا البضاعة التي جاءوا يشترون بها تموينهم في رحالهم والرحل : هو ما يوضع على البعير للركوب .

ويفهم من ذلك أن التعامل كان على أساس المقايضة ... فهؤلاء جاءوا ببضاعة ... يقال كانت نعالا وأدما ... ليشتروا قمحا وشعيرا ...

« لعلهم يعرفونها » يعرفون حق ردها والتسكرم بذلك .

« إذا انقلبوا » إذا رجعوا .

« إلى أهلهم » إلى زوجاتهم وبيوتهم ، فإن معرفتهم لها مقيدة بالرجوع ، وتفرينغ الأوعية .

« لعلهم يرجعون » حسبما طلبت منهم ، فإن التفضل باعطاء البدلين ولا سيما عند

اعواز البضاعة من أقوى الدواعى إلى الرجوع .

وقيل : المعنى يرجعونها أى يردونها .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَامِي فَظُّونَ .

« فلما رجعوا » فلما رجع إخوة يوسف — عليه السلام —

« إلى أَيْهِمْ » إلى يعقوب — عليه السلام —

« قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ » حكم بمنعه بعد اليوم إن لم نذهب بأخي بناامين

حيث قال لنا رئيس مصر : (إن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى)

« فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا » بناامين إلى مصر ، وفيه إيذان بأن مدار المنع على عدم كونه

- « نكتل » من الطعام ما نحتاج إليه .
 وقيل : يرفع المانع ونكتل .
 أى : يسمح لنا بشراء ما نحتاج إليه من الحبوب .
 « وإنا له لحافظون » من أن يصيبه مكروه .

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ
 حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

- « قال » يعقوب - عليه السلام - « هل آمنكم عليه » ما أئتمنكم عليه .
 « إلا كما أمتكم » إلا ائمانا مثل ائمانى إياكم .
 « على أخيه » يوسف .

« من قبل » وقد قلتم أيضا فى حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم ، فلا أتق بكم ، ولا
 محفظكم . وإنما أفوض أمرى إلى الله تعالى .
 « قاله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » فأرجو أن يرحمنى بحفظه ، ولا يجمع على

مصيبتين

وهذا كما ترى ميل منه - عليه السلام - إلى الأذن ، والإرسال ، لما رأى فيه من
 المصلحة .

وفيه أيضا من التوكل على الله تعالى ما لا يخفى .

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا
 مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ
 كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ بَسِيرٌ .

« ولما فتحوا متاعهم » المتاع كل ما ينتفع به على الوجه ، وهو في الآية الطعام .

وقيل : الوعاء ، وكلاهما متاع ، وهما متلازمان ، فإن الطعام كان في الوعاء ..

والمعنى ، على أنهم لما فتحوا أوعية طعامهم .

« وجدوا بضاعتهم » التي كانوا أعطوها ثمنًا للطعام .

« ردت إليهم » تفضلاً ، وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال .

« قالوا » قالوا لأبيهم ... ولعله كان حاضراً عند الفتح .

« يا أبانا ما نبغى » ماذا نطلب وراء ما وصفنا لك من احسان رئيس مصر الينا وكرمه

الداعى إلى امتثال أمره ، والمراجعة اليه في الخواص .

وقد كانوا أخبروه بذلك ، على ما روى أنهم قالوا له - عليه السلام - إنا قدمنا على

خير رجل وأزّلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته .

« هذه بضاعتنا ردت إلينا » كيف لا وهذه بضاعتنا ردها إلينا تفضلاً من حيث لا ندرى

بعد ما من علينا بما يتقل الكواهل من المنّ العظيم ، وهل من مزيد على هذا فنطلبه ؟

ومرادهم به أن ذلك كاف في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب

المزيد .

« ونمير أهلنا » نجلب لهم الميرة . ونجلب لأسرنا الطعام من عند رئيس مصر .

« ونحفظ أخانا » من المكاره حسباً وعدنا .

« وزداد » بواسطته

« كيل بعير » وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا .. حيث يكال له كما يكال لنا ..

« ذلك كيل » ذلك مكيل .

« يسير » قليل لا يقوم بأودنا .

أو : ذلك الكيل الزائد ، قليل ، لا يضاعفنا فيه الملك ، أو سهل عليه لا يتعاضده .

فإن عنده جبالاً من القمح الخزون .

قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا
أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

« قال » يعقوب - عليه السلام -

« لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ » لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ بَنِيَامِينَ . بعد أَنْ عَايَنْتَ مِنْكُمْ مَا أَجْرَى الْمَدَامِ

فِي يَوْسُفَ .

« حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ » حَتَّى تَعْطُونِي مَا تُؤْتُونَ بِهِ مِنْ جِهَتِهِ .

أَرَادَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَحْلِفُوا لَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى .

« لَتَأْتُنَّنِي بِهِ » حَتَّى تَحْلِفُوا بِاللَّهِ وَتَقُولُوا وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنَّكَ بِهِ .

« إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ » إِلَّا أَنْ تَغْلِبُوا فَلَا تَطْلِقُوا ذَلِكَ .

أَوْ : إِلَّا أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا .

« فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ » فَلَمَّا حَلَفُوا لَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى حَسْبَ أَرَادَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - .

« قَالَ » غَرَضًا لثِقَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَحَثًّا لَهُمْ عَلَى مِرَاعَةِ حَلْفِهِمْ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ .

« اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ » فِي أَثْنَاءِ طَلَبِ الْمَوْثِقِ وَإِثْنًا مِنَ الْجَانِبِينَ ، وَإِثَارَ صِغَةِ الْاسْتِقْبَالِ

لِاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْمَوْدِي إِلَى تَثْبِيهِمْ وَمَحَافَظَتِهِمْ عَلَى تَذَكُّرِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ .

« وَكِيلٌ » مُطْلَعٌ ، رَقِيبٌ . فَإِنَّ الْمَوْكِلَ بِالْأَمْرِ يَرِاقِبُهُ وَيَحْفَظُهُ .

قِيلَ : وَالْمُرَادُ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ حِجَازٌ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ .

« وقال » ناصحاهم للمعزم على ارسالهم جميعا .

« يا بني » يا اولادى .

« لاتدخلوا » مصر .. العاصمة ..

« من باب واحد » نهام — عليه السلام — عن ذلك حذرا من اصابة العين ، فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة ، وقد اشتهروا بين اهل مصر بالزاني والكرامة التى لم تنسك لغيرهم عند الرئيس . فكانوا مظنة لأن يصابوا بالعين إذا دخلوا كوكبة واحدة .

« وادخلوا من أبواب متفرقة » بيانا للمراد به وذلك لأن عدم الدخول من باب واحد غير مستلزم للدخول من أبواب متفرقة . وفى دخولهم من باين أو ثلاثة بعض ما فى الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور .

« وما أغنى عنكم » لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيرى .

« من الله من شئ » من قضائه تعالى عليكم شيئا ، فانه لا يغنى حذر من قدر .

أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراءد لاحالة ، بل هو تدبير وتثبت بالاسباب العادية ، التى لا تؤثر إلا باذنه تعالى ، وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر ، بل هو استعانة بالله تعالى ، وهرب منه اليه .

« إن الحكم » ما الحكم مطلقا .

« إلا الله » لا يشاركه أحد ولا يمانعه شئ .

« عليه » سبحانه دون غيره .

« توكلت » فى كل ما آتى به وأذر .

وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مغل بالتوكل ، وفى الخبر « اعقلها وتوكل »

« وعليه » عزسلطانه دون غيره .

« فليتوكل المتوكلون » المريدون للتوكل .

ويدخل بنوه — عليه السلام — فى عموم الأمر دخولا أوليا ، وفى هذا الأسلوب

مالا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم إلى التوكل فيهم بصددته على الله تعالى شأنه غير معتمدين على ما وصاهم به من التدبير .

اشعاعات

ما هذا ؟ ما الذى دفع يعقوب - عليه السلام - أن يأمر أولاده العشر ألا يدخلوا من باب واحد ، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة ؟
هل هو وقاية لهم من العين ، كما يقولون ؟
أم ماذا كان يعنى يعقوب بهذا التوجيه ؟
الحق .. أن العين حق .. وأن الإصابة بها حق ..
وقد أراد يعقوب ، أن يدفع عنهم شرها ..
فإن رؤية عشرة من الكواكب مجتمعين يدخلون من أبواب مدينة مصر .. فيه ما فيه من إثارة حقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ..
ثم ماذا ؟ .. ثم يضع يعقوب ناموسا عظيما .. « وما أغنى عنكم من الله من شيء » ..
أدنى شيء .. لا أستطيع دفعه عنكم إذا أراد الله بكم ..
ثم ماذا ؟ ثم ناموس آخر .. « إن الحكم إلا لله » لا يستطيع شيء أن يمانعه شيئا ..
لماذا ؟ .. لأن الله إذا أراد شيئا .. فلا وزن لشيء بعد ذلك .. ولا بد أن يقع .. لأن الأقوى يبطل الأضعف ..
ثم ماذا ؟ .. ثم ناموس آخر .. « عليه توكلت » .. عليه وحده اعتمدت .. فرغم أنى آخذ بالأسباب .. إلا اننى أعتمد عليه وحده فى دفع السوء .. لاعلى أسبابى التى اتخذتها ..
ثم ماذا ؟ .. ثم ناموس أخير .. « وعليه فليتوكل المتوكلون » فليعتمد كل من أراد أن يعتمد على قوة عظمى ..
فامعنى هذا كله ؟ ..

مامنى ان يحاذر يعقوب من العين .. ثم يعود فيعلن أن هذا لا يدفع شيئا من قضاء الله .. ثم يعود فيعلن أن الحكم كله لله في الحقيقة .. وأنه لذلك لا يعتمد إلا على الله .. ولا ينبغي لأحد أن يعتمد إلا عليه سبحانه ؟

هل هو تناقض فى اتجاهات يعقوب ؟

كلا .. وحاشاه .. بل ذلك هو الخط المستقيم .. الذى ينبغى أن يلتزمه كل إنسان مؤمن بالله ..

يأخذ بالأسباب .. وهذا يتمثل فى سلوك يعقوب ، فى أمره أولاده بالتفرق على أبواب متفرقة ..

ثم يعلم أن أسبابه هذه .. لاتمنع ارادة الله فيه / إذا توجهت إليه .. بل هى نافذة حما وقهارة أبدا ..

أى يعلم أن الأسباب غير مؤثرة بذاتها ، وإنما بما أودع الله فيها من تأثير ، ناتج عن النواميس الالهية السارية فيها ..

وبذلك يتلأأ فى قلبه دائما « إن الحكم إلا لله » .

ثم يدرك القضية فى عمومها « عليه توكلت » .. أى ليست هذه الاسباب شيئا اركن إليه ، واحتجب به عن ربه .. بل انى اتجه إليه مباشرة ، واطلب منه العون على أمرى ..

وهذا هو ما ينبغى على كل مؤمن .. أن لاتغيب عنه الحقيقة وسط الأخذ بالأسباب .. وإنما يرتب الأسباب .. وهو يوقن أنها ليست هى فى ذاتها المؤثرة .. وإنما هو الله الذى اعطاها هذا التأثير .. « وعليه فليتوكل المتوكلون » ..

بقيت مسألة العين هذه كيف تؤثر فى الإنسان ؟

قال علماء الروحية الحديثة فى آخر ما وصلوا إليه فى أبحاثهم .. أنه يخرج شعاع من عين العائن .. يقسلط على الشخص المصاب ، فيؤثر فيه تأثيرا شديدا ..

وهذا ليس بمستبعد .. والأشعاع الغير مرئية كثيرة ومتعددة ..

وتفصيل ذلك يرجع فيه إلى علوم الروحية الحديثة .. فقد اكتشفت في هذا المضمار
العجائب !!

- ٦٨ -

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

« ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم » من الأبواب المتفرقة من البلد .

قيل : كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها .

والعنى : ولما دخلوا متفرقين .

« ما كان » ذلك الدخول .

« يغنى عنهم من الله » من جهته سبحانه .

« من شيء » شيئا مما قضاه عليهم جل شأنه .

ذكروا أن هذا منه تعالى تصديق لما أشار إليه يعقوب - عليه السلام - في قوله : (وما

أغنى عنكم من الله من شيء) .

« إلا حاجة » ولكن حاجة .

« في نفس يعقوب قضاها » أظهرها ووصاهم بها ، دفعا للخطرة ، غير معتقد أن للتقدير

تأثيرا في تغيير التقدير .

والمراد بالحاجة شفقته - عليه السلام - وحرارته من أن يعانوا أى يصابوا بالعين .

وقيل : المعنى ما أغنى عنهم ما وصاهم به أبوهم شيئا إلا شفقته التى فى نفسه، ومن الضرورة

أن شفقة الأب مع قدر الله تعالى كالهباء ، فاذن ما أغنى عنهم شيئا أصلا .

« ولأنه لذو علم » جليل .

« لما علمناه » لتعليمنا إياه بالوحي ، ونصب الأدلة ، حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر ، حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر .

أو حيث بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله تعالى شيئا ، فكانت الحال كما قال .
وتنكير (علم) وتعليله بالتعليم المسند إلى ضمير العظمة من الدلالة على جلالة شأن يعقوب -
عليه السلام - وعلو مرتبة علمه وخامته مالا يخفى .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » سر القدر ، ويزعمون أنه يغني عنه الحذر .

وقيل : المراد (لا يعلمون) إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئا من القدر .

وقيل : المراد (لا يعلمون) أن يعقوب - عليه السلام - بهذه المثابة من العلم .

اشعاعات

فيها عجائب .. وغرائب .

الله سبحانه وتعالى يصدق على نظرية يعقوب - عليه السلام - !!

يقول يعقوب : « ما أغنى عنكم من الله من شيء » .

ويقول الله : « ما كان يغني عنهم من الله من شيء » .

أى : كأن الله تعالى يريد أن يقول :

صدق يعقوب فيما قال وأعلن .. ما كان يستطيع أن يدفع عنهم شيئا أردته بهم ..

ولا أدنى شيء ..

ومعنى هذا أن يعقوب نطق بالحق .. وأذاع الحق ..

ومعنى هذا أن يعقوب أوتى علما عظيما جدا جدا ..

وأن مستواه العلمي عال جدا جدا جدا .. حتى استطاع أن يدرك هذا كله ..

وأن يرقى إلى ادراك تلك الحقائق الكلية .. العليا .. هذا الإدراك العظيم ..

ولذلك يشي الله تعالى عليه .. « وإنه لنوع علم » ..

علم من لدنا .. « لما علمناه » .. لتعليمنا نحن إياه ..

علم من عنده تعالى .. لا ينال بأسباب .. ولا من مدارس .. ولا من أساتذة .
نور مباشر .. من الله إلى يعقوب ...
كيف كان علم يعقوب هذا ؟
ذلك مقام .. لا يدركه إلا يعقوب نفسه ..
لأنها تجربته .. التي عاشها مع ربه ..
ومقامه الذي لم يرق إليه سواه .. شيء بينه وبين ربه . تبارك وتعالى .. شيء يصفه الله
فيقول : « وإنه لدو علم ، لما علمناه .. » وكفى بتلك شهادة !!
شيء .. لا يستطيع الناس أن يتذوقوه .. أو يدركوه .. لأنهم دون مستواه ..
وهذا هو سر تقيبه .. بقوله ..
« واسكن أكثر الناس لا يعلمون » .. لا يستطيعون ادراك ما كان عليه يعقوب
من علم .
لأنه مستوى عال جدا جدا .. لا ينال بأسباب .. أنها النبوة .. النور المباشر .. المستوى
الذي لا يدركه الناس .. ولا يستطيعون !!

وَأَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا
تَبْتَئِسْ بِهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

« ولما دخلوا على يوسف آوى » ضم .. « إليه أخاه » بنيامين .
قالوا : إنهم لما دخلوا عليه - عليه السلام - قالوا : أيها الملك ، هذا أخونا الذي أمرتنا
أن نأتيك به قد جئناك به .
« فقال لهم : أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ، وبلغوه رسالة أبيهم ، فإنه - عليه
السلام - لما ودعوه قال لهم : بلغوا ملك مصر سلامي ، وقولوا له : إن أبانا يصلي عليك
ويدعوك ، ويشكر صنيعك معنا » .

وقالوا : إنه - عليه السلام - خاطبه بذلك في كتاب .

« فلما قرأه يوسف - عليه السلام - بكى .

« ثم إنه أكرمهم وأنزلهم وأحسن نزلهم .

« ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال :
لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه .

« فقال يوسف - عليه السلام - بقى أخوك وحده ؟

« فقالوا له : كان له أخ فهلك .

« قال : فأنأ أجلسه معى ، فأخذه وأجلسه معه على مائدة وجعل يؤأ كله .

« فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك ، وقال بنام كل اثنين منكم على فراش .

« فبقي بنيامين وحده فقال : هذا بنام عندى على فراشى .

« فنام مع يوسف - عليه السلام - على فراشه .

« فجعل يوسف - عليه السلام - يضمه إليه ، ويشم ريحه ، حتى أصبح .

« وسأله عن ولده فقال : لى عشرة بنين ، اشتقت أسماءهم من اسم أخ لى هلك .

« فقال له : أأحب أن أكون أخاك بدل أخيك المالك ؟

« قال : من يجد أخا مثلك أيها الملك ؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل !

« فبكى يوسف - عليه السلام -

« وقام إليه ، وعانقه ، وتعرف إليه عند ذلك » .

« قال : إبنى أنا أخوك » يوسف .

وكانت مفاجأة .. لبنيامين .

أيعقل هذا ؟ ..

هذا الرجل .. العظيم .. الذى يحكم الإمبراطورية المصرية .. هذا هو يوسف ؟!

« فلا تبتئس » فلا تحزن

« بما كانوا يعملون » بنا فيما مضى ، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا على خير .
ولا تعلمهم بما أعلمتك .

روى أنه قال ليوسف - عليه السلام - أنا لا أفارقك .

قال : قد علمت اغتمام والدى ، فإذا حبستك ازداد غمه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن
أنسبك إلى ما لا يحمل .

قال : لا أبالي ، فافعل ما بدا لك .

قال : فاني أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقتة ، لينهيأ لى ردك بعد
تسريحك معهم .
« قال : افعل »

اشعاعات

تجرى حوادث هذه القصة .. فى انفعالات .. وشحنات من العواطف .. غاية فى
القوة .. وغاية فى العنف ..

بنيامين .. يتلفت يمينا .. وشمالا .. يبحث عن رفيق يأكل معه على مائدته فلا يجد ..
فيتذكر أخاه الذى هلك طفلا .. شقيقه الأوحد .. لو كان هنا .. لجلس معى كما يجلس
هؤلاء اثنين .. اثنين ..

وتنفعل نفسه انفعالا شديدا ..

ولحظة يأتى إليه رجل مصر الأول .. ورئيس وزرائها .. وصاحب الكلمة الأولى فيها ..
يأتى إليه فى أبهته وعظمته .. ويجلس معه .. ويخصه بهذا الشرف دون اخوته جميعا ..
ثم يمازحه .. ويلطفه .. ويأكل معه ..

وهذه كلها انفعالات تجرى فى نفس بنيامين متدافعة .. جارقة ..

ثم تكون المفاجأة الكبرى .. حين يستدعيه رئيس الوزراء .. ليشاركه النوم فى

فراشه ..

وفى هذا اللقاء .. وحدهما ..

تكون المفاجأة الكبرى .. « إني أنا أخوك » ..

ولا يصدق بنيامين .. ويكاد يذهل ..

مفاجآت كبرى .. واشتعال عظمي .. كانت تنفجر في نفس بنيامين .. ونفس

يوسف ..

— ٧٠ —

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَتَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ .

« فلما جهزهم بجهازهم » فلما أمر باعداد قافلهم ، فأعدت ، ووفى لهم الكيل ، وزاد
كلا منهم — على ماروى — حمل بهير .

« جعل السقاية » هي إناء يشرب منه الملك ، وبه كان يكال الطعام للناس .

روى : أنها كانت من ذهب .

أى أمر يوسف ، أحدا ، فجعلها ..

« فى رحل أخيه » بنيامين ، من حيث يشعر أولا يشعر .

« ثم أذن مؤذن » ثم ناد مناد .

أى : أذن رجل معين للأذان .

« أيتها العير » العير الإبل التى عليها الأحمال ، سميت بذلك لأنها تعير أى تذهب

ونجى ..

والمراد هنا : أصحاب العير .

« إنكم لسارقون » أى نادى عليهم مناد : يا أصحاب القافلة ، يا أصحاب القافلة ..

قفوا .. إنكم لسارقون .. أنتم لصوص .

قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« وأقبلوا عليهم » انزعجوا مما سمعوا .. فارتدوا إلى المنادى ومن معه مسرعين ..

« ماذا تفقدون » أى شئ تفقدون ؟

أو : ما الذى تفقدونه ؟

والمعنى : ما ضاع منكم ؟

قَالُوا تَفْقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ خِلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ .

« قالوا » قال المنادى عليهم ومن معه .

« تفقد » ضاع .

« صواع الملك » مكىال الملك .

وقرى : صَوَاع .. وصَاع .. وَصَوْع .. وَصُوع .

وكلها لغات فى : الصاع

وقرى : صَوَاغ .. وَصُوغ ..

أى : تفقد مصوغ الملك .

أى : جواهر الملك الثمينة .

« ولمن جاء به » ولمن أتى به مطلقا ولمن عند نفسه .

وقيل : ومن دل على سارقته وفضحه .

« حمل بعير » من الطعام ، مكافأة له على ارشاده عليه .

« وأنا به زعيم » كفيل ، أؤديه إليه .

وهو قول المؤذن الذى كان ينادى عليهم ..

اشعاعات

ذلك بلاء جديد .. وأزمة خطيرة يتعرض لها أولاد يعقوب ..
انه اتهام يوجه إليه .. إنكم لصوص ..
وأى شيء فيه يهتمون ؟
فى مكىال الملك .. الذى هو من الذهب الخالص ..
والذى له شهرة عالمية .. حيث تكال به الحبوب للناس جميعا .. من جميع أنحاء العالم ..
كأس الملك .. بلغة اليوم ..
كأس من ذهب خالص .. مرصع بالجواهر الثمينة ..
إنه قطعة فنية نادرة .. تقدر بالملايين ..
فضلا عن قيمته التاريخية .. والأثرية ..
إن رجال الأمن فى الدولة يطاردون اللصوص ..
وينادونهم : انكم لسارقون !!!

-- ٧٣ --

قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ .
« قالوا » قال إخوة يوسف .
« تالله » والله .. أوبالله ..
وأيا ما كان فى القسم بها معنى التعجب .. كأنهم تعجبوا من رميهم بما ذكر مع
ماشاهدوه من حالهم .
فقد روى أنهم كانوا يعكفون أفواه إبليس لثلاث نال من زروع الناس وطعامهم شيئا ،
واشهر أمرهم فى مصر بالعفة ، والصلاح ، والمثابرة على فنون الطاعات .
« لقد علمتم » علما جازما مطابقا للواقع .. لقد تأكد لديكم جميعا ..
« ما جئنا لنفسد فى الأرض » لنسرق ، فان السرقة من أعظم أنواع الفساد .

أو . لفسد فيها أى إفساد كان ، فضلا عما نسبتمونا إليه من السرقة .
فكأنهم قالوا : ما مر لنا الا فساد ببال ، ولانعلق بخيال ، فضلا عن وقوعه منا .
« وما كنا سارقين » ما كنا نوصف بالسرقة قط .

اشعاعات

أقسم إخوة يوسف على أمرين .. والله .. لقد علمتم .. ماجئنا لنفسد فى الأرض ..
والله .. لقد تأكد لكم جميعا .. بكل شواهد الحال .. ماجئنا إلى هذه الأرض
الطيبة .. لنتكسب فيها الجرائم ونسرق فيها كأس الملك .
والثانى .. وما كنا سارقين .. والله .. ما كنا لصوصا .. يوما من الأيام .. حتى نحترف
السرقة فى هذه الأيام !!

إنه اتهام غليظ .. يوجه إلى مجموعة من الأجانب عن البلاد .. من حكومة البلاد ..
وموضوع الاتهام شئ عظيم جدا .. مشهور جدا ..
وزادتهم من التموين بدون مقابل ..
أنه صدر عنهم ضد الدولة التى اكرمهم .. واحتفت بهم ..

ضد رئيس الوزراء الذى اكرمهم .. فكان ردهم على اكرامه لهم .. أن اختلسوا
أعز شئ عنده .. اختلسوا كأس الملك الذى يعتبره يوسف أغلى هدية أهداها إليه الملك !!

- ٧٤ -

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« فما جزاؤه » فما جزاء سرقة .

ما عقوبة السارق عندكم وفى شريعتكم ؟

على أى شئ ينص قانون بلادكم ، عقابا لمن سرق مثل هذا الشئ الثمين ؟

« إن كنتم كاذبين » فى ادعاء البراءة .

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ.
« جزاؤه » عقابه .. عقوبته .

« من وجد » أخذ من وجد الصواع عنده واسترقاقه .

« في رحله » في جهازه ، في حمل بعيره .

« فهو جزاؤه » فأخذه واسترقاقه هو جزاؤه .

واختاروا عنوان الوجدان في الرحل دون السرقة مع أنه المراد لأن كون الأخذ والاسترقاق سنة عندهم ومن شريعة أيهم - عليه السلام - إنما هو بالنسبة إلى السارق دون من وجد عنده مال غيره كيفما كان .. إشارة إلى كمال نزاهتهم .. حتى كأن أنفسهم لاتطاولهم وألسنتهم لاتساعدهم على التلغظه مثبتاً لأحدهم بأى وجه كان .. وكأنهم تأكيداً لتلك الإشارة عدلوا عن وجد عنده إلى من وجد في رحله .
« كذلك ، مثل ذلك الجزاء الأوفى .

« نجزي الظالمين ، بالسرقة .

والظاهر أن هذا من تنمة كلام الإخوة ، فهو تأكيد للحكم المذكور بعد تأكيد ،
وبيان لقبح السرقة .. وقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها ، وهم عما فعل بهم غافلون !
وقيل : هو من كلام أصحاب يوسف - عليه السلام -

وقيل : كلامه نفسه .. أى مثل الجزاء الذى ذكرتموه نعاقب نحن كذلك .. هنا ..
في هذه البلاد .. السارقين . أى : ينص قانون بلادى على استرقاق من سرق !

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاةِ أَخِيهِ
كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

« فبدأ ، فبدأ الذى كان ينادى عليهم : قفوا للتفتيش .. انكم لصوص .

أى : فبدأ المؤذن .. المنادى ..

وقيل : فبدأ يوسف - عليه السلام - فقد روى أن إخوته لما قالوا ما قالوا ، قال لهم أصحابه : لا بد من تفتيش رجالكم ، فردوهم ، بعد أن ساروا منزلاً ، أو بعد أن خرجوا من العمران اليه - عليه السلام - فبدأ .

« بأوعيتهم » أى بتفتيش أوعية الاخوة العشرة .

ولا يخفى أن الظاهر اسناد التفتيش إليه - عليه السلام - مجازى ، والمفتش حقيقة الموظفون الذى يعملون بأمره بذلك .

« قبل » قبل تفتيش .

« وعاء أخيه » بنيامين لنفى التهمة .

روى أنه لما بلغت النوبة إلى وعائه قال : ما أظن هذا أخذ شيئاً . فقالوا : والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فإنه أطيّب لنفسك وأنفسنا .. ففعل .

« ثم استخرجها » ثم استخرج الكأس .. أى السقاية .. أو الصواع ..

وقيل : الضمير للسرقة .. ثم استخرج السرقة .. أى ثم اكتشفها ..

« من وعاء أخيه » من وعاء بنيامين .. أخيه .

والوعاء : الظرف الذى يحفظ فيه الشيء .

وعليه يكون - عليه السلام - قد فتش كل ما يمكن أن يحفظ الكأس فيه مما كان

معهم من رحل أخيه .

« كذلك » مثل ذلك الكيد العجيب ، وهو إرشاد الإخوة إلى الافشاء المذكور

بإجرائه على ألسنتهم ، وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا .

« كدنا ليوسف » صنعنا ، ودبرنا ، لأجل تحصيل غرضه ، من المقدمات التى رتبها ،

من دس الكأس ، وما يتلوه .

« ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » أى فى سلطان الملك .

أو : في حكم الملك وقضائه .

والكلام تعليل لذلك الكيد ، كأنه قيل : لماذا فعل ذلك ؟

فقيل : لأنه لم يكن ليأخذ أخاه جزاء وجود الكأس عنده في قوانين الملك في أمر السارق ، إلا بذلك الكيد ، لأن جزاء السارق في قوانين الملك - على ما روى - أن يضاعف عليه الغرم ، أى يحكم عليه بغرامة تعادل ضعف ثمن المسروق .. فلم يكن يتمكن بمصنعه من أخذ أخيه بما نسب إليه من السرقة بحال من الأحوال .

« إلا أن يشاء الله » إلا حال مشيئته تعالى ، التى هى عبارة عن ذلك الكيد .

أو : إلا حال مشيئته تعالى الأخذ بذلك الوجه .

« نرفع درجات » أى رتباً كثيرة ، عالية من العلم .

« من نشاء » من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه المصلحة ، كما رفعنا

يوسف - عليه السلام -

وإيثار صيغة الاستقبال للأشعار بأن ذلك سنة مستمرة ، غير مختصة بهذه المادة .

« وفوق كل ذى علم » من أولئك المرفوعين .

« عليهم » لا ينالون شأوه .

وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز شأنه ،

وجلاله مقدار علمه ، المحيط ، جل جلاله ، مالا يخفى .

وقيل : أى نرفع درجات عالية ، من نشاء رفعه ، وفوق كل منهم عليهم .. هو

أعلى درجة .

قال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فوق كل عالم عالم ، إلى أن ينتهى العلم

إلى الله تعالى .

اشعاعات

ثم استخرجها !!!

فيها جمال عجيب !!!

كأن هناك ضجة ... ورجة ... وتفتيش ... وبحث ... ودولة بأكملها تبحث عن كأس الملك ..

وأخيرا .. اكتشفوها .. مخبأة .. في وعاء بنيامين .. بطريقة عجيبة .. فاستخرجوها .. وأعلنوا اكتشافها !!!

كل ذلك تحويه هذه الكلمة « ثم استخرجها » !!!

ثم ماذا ؟ ثم في الآية اعاجيب ... ونواميس ...

الناموس الأول ... « كذلك كدنا » ..

الله يكيد .. الله يدبر الأمور تدبيرا تخفى مراميهِ على الخلق ..

لقد شاء الله ليوسف أن يأخذ أخاه .. ويحتجزه معه ..

فماذا حدث ؟

حدث هذا الذي حدث ... من دس كأس الملك في وعاء بنيامين ... ثم جرى رجال

المباحث العامة وراء القافلة بعد أن غادرت العمران .. ثم استوقفوهم .. بتهمة السرقة ..

ثم كان جدال ..

ثم سألوهم ماعقوبة السارق عندهم ؟

فقال الإخوة : أن يسترق .

فوافق يوسف على أن يحاكمهم بقانونهم .. وقانون بلادهم ، لا بقانون مصر

آنذاك ..

فكان ذلك كيدا من الله ليوسف ..

أي تدبيرا له تعالى .. ليحقق ليوسف غرضه من استبقاء أخيه معه !!

وذلك فاموس إلهى بسرى دائماً وأبدا ..
أن الله تعالى يدبر الأمور .. تدبيرا فوق ادراك الخلق .. ويدق على أفهامهم ..
لقصور علمهم ..

الناموس الثانى .. وفوق كل ذى علم عليم ..
قال فى حق الخلق « ذى علم » .. وقول فى حقه تعالى « عليم » ..
فما معنى هذا ؟

معناه عميق جدا جدا ..
أن علم الخلائق .. مؤقت .. مستعار .. موهوب لهم .. ليس علما ذاتيا .. قائما بهم ..
ولذلك قال « ذى علم » .. أى صاحب علم .. مؤقت ..
وأن علم الله .. ذاتى .. قائم به تعالى .. لا يزول .. ولا يحول .. ولا ينتهى ولا يتناهى ..
ولذلك قال « عليم » !!!
تأمل !!؟

مستحيل أن تكون هذه الدقة .. وهذا الاحكام .. من كلام بشر !!!
وفيهما أن علوم الخلق تتناهى .. ومحدودة ..
وأن علم الله لا يتناهى ..

وفيهما أن العلم ذاته لا نهاية له بالنسبة للخلق .. وأن عليهم أن يستزيدوا منه دائما ..
وفيهما أن العلم درجات ..
وأن الله يهب تلك الدرجات لمن يشاء ..

وهذا هو الناموس الثالث .. « نرفع درجات من نشاء » .. العلم مراتب .. آفاق وراء
بعضها البعض .. مستويات مختلفة ..

والله تعالى يرفع من يشاء إلى ما شاء من تلك المراتب ..
لأنه محض فضله تعالى .. ومحض تفضله ..

وانه تعالى له مطلق الحرية .. في رفع من شاء من عباده .. إلى ما شاء من درجات العلم والمعرفة ..

- ٧٧ -

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَسْكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ .

« قالوا ، قال إخوة يوسف .

« إن يسرق ، إن يسرق بنيامين .

« فقد سرق أخ له من قبل ، يريدون به يوسف - عليه السلام - وما جرى عليه من جهة عمته .

عن مجاهد قال : كان أول ما دخل على يوسف - عليه السلام - من البلاء - فيما بلغني أن عنه - كانت تحضنه ، وكانت أكبر ولد إسحاق - عليه السلام - وكانت إليها منطقة أيها ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، فكانت لا تحب أحدا يحبها إياه ، حتى إذا ترعرع وقعت نفس يعقوب إليه فأتاها فقال : يا أختاه سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، فقالت : والله ما أنا بباركته فدعه عندي أيا ما أنظر إليه لعل ذلك يسليني فلما خرج يعقوب - عليه السلام - من عندها عمدت إلى تلك المنطقة فخرزمتها على يوسف - عليه السلام - من تحت ثيابه ثم قالت : فقدت منطقة أبي إسحاق فانظروا من أخذها فالتفت ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم فوجدوها مع يوسف - عليه السلام - فقالت : إنه سلمى لي أصنع فيه ماشئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ، فامسكته ، فاقدر عليه حتى ماتت .

والمعنى : إن كان سرق فليس بيدع لسبق مثله من أخيه ، وكانهم أرادوا بذلك دفع المعرفة عنهم ، واختصاصها بالشقيقين .

« فأسرها يوسف ، فأخبر يوسف الحزارة التي حصلت له - عليه السلام - بما قالوا .

وقيل : أضر مقاتلهم ، أو نسبة السرقة إليه ، فلم يجبهم عنها .
« في نفسه » لأنه أسرها لبعض أصحابه ، كما في قوله تعالى : (وأسرت لهم أسرارا)
« ولم ييدها » ولم يظهرها .
« لهم » لا قولاً ولا فعلاً ، صفحا لهم وحلماً .
« قال » قال يوسف في نفسه .
« أنتم شر مكانا » أنتم شر منزلة في السرقة .
وحاصله انكم أثبت في الاتصاف بهذا الوصف وأقوى فيه ، حيث سرقتم أخاكم من
أيكم ، ثم طفقتم تفترون على البريء .
« والله أعلم بما تصفون » والله عالم علما بالغيا إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما
تصفون صدور السرقة منا .

- ٧٨ -

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف ، عندما شاهدوا مخايل أخذ بنيامين مستعطفين .
« يا أيها العزيز » يا صاحب الدولة والفخامة .
« إن له أبا شيخا كبيرا » إن لهذا الذي تريد أن تأخذه جزاء سرقة أبا طاعنا في السن
لا يكاد يستطيع فراقه ، وهو يتسلى به عن شقيقه الهالك .
وقيل : أرادوا مسنا كبيرا في القدر .

« فخذ أحدا مكانه » بدله ، فلسنا عنده بمنزلة من الحجة والشفقة .
« إنا نراك من المحسنين » إلينا فأنتم احسانك ، فما الانعام إلا بالانعام .
أو : من عادتك الإحسان مطلقا ، فاجر على عادتك ، ولا تغيرها معنا ، فنحن أحق
الناس بذلك

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا
لظَالِمُونَ .

« قال » قال يوسف .

« معاذ الله » نعوذ بالله تعالى معاذاً من ..

« أن تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده » لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم ، فليس
لذا الأخلال بموجبها .

« إنا إذا » إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه .

« لظالمون » في مذهبكم وشرعكم ومالنا ذلك .

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ
قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطُكُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَنْخِصَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

« فلما استيسسوا منه » فلما يئسوا من يوسف - عليه السلام - واجابته لهم إلى

مرادهم .

أى : يئسوا بأساً كاملاً ، ولعل حصول هذه المرتبة من اليأس لهم لما شاهدوه من
عوذه بالله تعالى بمأطليه الدال على كون ذلك عنده فى أقصى مراتب الكراهة وأنه مما يجب
أن يحذر عنه ويعاذ بالله تعالى منه ، ومن تسميته ذلك ظلماً بقوله : (إنا إذا لظالمون) .

« خلصوا » انفردوا عن غيرهم واعتزلوا الناس .

« نجياً » متناجين مشاورين فيما يقولون لأبيهم .

« قال كبيرهم » رئيسهم ، وهو شمعون .

أو : كبيرهم في السن ، وهو روبييل .
« ألم تعلموا ، كانوا أجمعوا عند التناجي على الانقلاب جلة ولم يرض به فقال منكرنا عليهم .

« أن أبائكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ، عهدا يوثق به ، وهو حلقهم بالله تعالى وكونه منه تعالى لأنه باذنه فكأنه صدر منه تعالى أو هو من جهته سبحانه .
« ومن قبل ، ومن قبل هذا .

« ما فرطتم في يوسف ، قصرتم في شأنه . ولم تحفظوا عهد أيكم فيه ، وقد قلتم ما قلتم . وما مزيدة .. وهذا على ما قيل أحسن الوجوه في الآية وأسلمها .
أي : ومن قبل هذا فرطتم في يوسف .
« فلن أبرح الأرض » فلن أفارق أرض مصر .

« حتى يأذن لي أبي » بالانصراف إليه .
« أو يحكم الله لي » بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق .
أو : بخلاص أخى بسبب من الأسباب .
« وهو خير الحاكمين » إذ لا يحكم سبحانه إلا بالحق والعدل .

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَيْبِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ .

« ارجعوا إلى أيكم فقولوا » له .
« يا أبانا إن ابنك سرق » الظاهر أن هذا الكلام من تنمة كلام كبيرهم .
« وما شهدنا » عليه .

« إلا بما علمنا » من سرقة ، وتبقيناه ، حيث استخرج كاس الملك من رحله .

« وما كنا للغيب حافظين » وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق .
أو : ما علمنا أنك ستصاب به كما أصبت ييوسف .

- ٨٢ -

وَسَمِّلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ .
« وسمل القرية التي كنا فيها » وارسل من تثق به إلى أهل المدينة التي كنا فيها واسألهم
أى : واسأل أهل مصر ...

« والعير التي أقبلنا فيها » واسأل أصحاب القافلة الذين توجهنا فيهم وكنا معهم فان
القصة معروفة فيما بينهم .

وكانوا قوما من كنعان ، من جيران يعقوب — عليه السلام — .
« وإنا لصادقون » فيما أخبرناك به .

- ٨٣ -

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

« قال » قال أبوهم عندما رجعوا إليه فقالوا له ما قالوا .
« بل سولت لكم أنفسكم أمرا » بل زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا من الأمور
فأتيتموه .

والتوين في (أمرا) للتعظيم أى : أمرا عظيما .
« فصبر جميل » أى فأمرى ذلك ، أو فمصر جميل أجل .
والصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه .
« إنه هو العليم » بحالى وحالم .

« الحكيم » الذى يقضى ويرفع البلاء حسب الحكمة البالغة .

قيل : إنا نرجى — عليه السلام — للرؤيا التي رآها يوسف — عليه السلام —

فكان ينتظرها ، ومحسن ظنه بالله تعالى ، فانه قد جرت سنته تعالى أن الشدة إذا تناهت
يجعل وراءها فرجا عظيما .

اشعاعات

فصبر جميل ١٩

كلمة عالية .. من يعقوب .. عليه السلام ..
تدل على أن الأنبياء لهم شأن غير شئون الناس جميعا ..
سوف لا أشكو .. وإنما سوف اصبر ..
« إنه هو العليم » بي .. وبآلامى وأحزاني .. على قد هذين الولدين ..

- ٨٤ -

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْنَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ
فَهُوَ كَبِيمٌ .

« وتولى » وأعرض .
« عنهم » كراهة لما جاؤا به .
« وقال : يا أسنى على يوسف » الأسف أشد الحزن على ما فات ،
يا حزنى على يوسف ..

قالوا : إن مثل هذه المحبة الشديدة تزيل عن القلب الخواطر ، ويكون صاحبها كثير
الرجوع إليه تعالى ، كثير الدعاء والتضرع ، فيصير ذلك سببا لسكال الاستغراق .
« وابيضت عيناه من الحزن » أى بسببه .

وهو فى الحقيقة سبب للبكاء ، والبكاء سبب لاييضاض عينه .
والاييضاض . قيل أنه كناية عن العمى ، فيكون قد ذهب بصره - عليه السلام -
بالكلية .

وقيل : المراد من الآية أنه - عليه السلام - صارت في عينيه غشاوة بيضتهما -
وكان - عليه السلام - يدرك ادراكا ضعيفا .

قيل : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب - عليهما السلام - إلى يوم رجع
ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديه ، ولم يزل يبكي حتى ذهب
بصره . وما على الأرض يومئذ والله أكرم على الله تعالى منه .

« فهو كظيم » مملوء من الفيض على أولاده ، ممسك له في قلبه لا يظهره .

وقيل : مملوء من الحزن ، ممسك له لا يبديه .

أو : شديد التجرع للفيض أو الحزن لأنه لم يشكه إلى أحد قط .

اشعاعات

ما هذا ؟ هذا مقام يعقوب - عليه السلام - ثمانون عاما .. وهو حزين .. دائم
البكاء .. ولكن .. لا يث ما به إلى أحد .. وإنما إلى الله ..

لماذا هذا ؟

ليكون مع الله دائما ..

حتى عَمِيَ .. واصبحت الدنيا ظلاما دائما ..

لماذا ؟ لينتقل إلى نوره تعالى ..

أرأيت ؟ حيولة تامة بينه وبين الدنيا .. بينه وبين أحب ابنائه إليه .. ثم ولده الثاني ..

الذي يأتي في المرتبة الثانية من حبه ..

ثم اسدال الستار على الدنيا .. وحجبها عنه .. بالصم ..

كل ذلك تقطيع للأسباب .. ليعود إليه تعالى وحده !!!

فلا شيء يراه يعقوب بعد الآن .. بعينه ..

ولا وجه يوسف .. الجميل .. أمامه ..

وإنما لم يعد للرجل شيء .. إلا الله ..

وهذا هو هدف البلاء ..

إن هذا الحزن الدائم .. وهذا الفقد الدائم ..

طريق يعقوب .. إلى ربه ..

إنه مقام يعقوب .. وبالله من مقام !!

— ٨٥ —

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَيًّا تَكُوْنُ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنُ
مِنَ الْهَالِكِيْنَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

وقيل : غيرهم من أتباعه — عليه السلام — .

أو : معارفه .

« تالله تفتأ » أى لا تفتأ ولا تزال .

« تذكر يوسف » تفجعاً عليه .

أى قسم بالله تعالى لا تزال ذاكر يوسف متفجعاً عليه ...

« حتى تكون حرَضاً » مريضاً ، مشغولاً على الهلاك .

وقيل : الحرَض من أذابه هم أو مرض أو جعله مهزولاً نحيفاً .

« أو تكون من الهالكين » أى المبتلين ...

— ٨٦ —

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

« قال » يعقوب — عليه السلام —

« إنما أشكو بثنى » الظاهر أن القوم قالوا ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء ، فقال

في جوابهم : إني لا أشكو ما بئى إليكم أو إلى غيركم حتى تصدوا لتسليتي وإنما أشكو غمى ..

والبث هو النعم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه . كأنه ثقل عليه فلا يطيق حمله وحده ...

« وحزنى إلى الله » تعالى ، ملتجئاً إلى جنابه . متضرعاً في دفعه لدى بابه ، فإنه القادر على ذلك .

وقى الخبر عن ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كنوز البر ، إخفاء الصدقة ، وكتمان المصائب ، والأمراض ، ومن بث لم يصبر » .
« وأعلم من الله » من لطفه ورحمته .

« ما لا تعلمون » فأرجو أن يرحمنى ، ويلطف بى ، ولا يخيب رجائى .

اشعاعات

فيها أنوار عجيبة ...

النور الأول .. إنما أشكو بثى وحزنى ... إلى الله ...
أى مالكم وشأنى .. إنما هو شىء بينى وبينه ... أبته غمى .. وأرفع إليه حزنى ...
إنه شىء يعيش فيه يعقوب .. ويرى فيه مقامه ...
فلا شأن لكم بذلك ..

النور الثانى ... وأعلم من الله ما لا تعلمون ...

ماذا يعلم يعقوب من الله ؟

هذا ايضا .. مقام يعقوب وحده ... إن الله تعالى علمه شيئاً خاصاً به ...

يعلم عنه تعالى الكثير ..

ويعلم لماذا ابتلاه بهذا البلاء للشاق ؟

لماذا ابتلاه فى يوسف بالذات ؟

لماذا اختار الله تعالى أن يكون البلاء فى الولد .. الذى أهله ليحمل الرسالة من بعده ...

ويرث النبوة عنه ؟

ويعلم كثيراً .. وكثيراً .. مما لا سبيل إليه ..
وإنا الضوء الذى يشرق علينا من ذلك التعبير ... أن الأنبياء لم علم بالله ... فوق
علومنا جميعاً ... وأنهم أعلم الخلق بالله ..

« عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كان يعقوب أخ مؤاخ فى الله تعالى

« فقال ذات يوم ليعقوب : يا يعقوب ، ما الذى أذهب بصرك ؟

« قال : البكاء على يوسف .

« قال : ما الذى قوس ظهرك ؟

« قال : الحزن على بنيامين .

« فأتاه جبريل ، فقال : يا يعقوب ، إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : أما تستحى ،

تشكونى إلى غيرى ؟

« قال : إنما أشكو بنى وحزنى إلى الله

« فقال جبريل : الله أعلم بما تشكو يا يعقوب

« ثم قال يعقوب : أى رب ، أما ترحم الشيخ الكثر ؟ أذهبت بصرى ، وقوست

ظهري ، فاردد على ريحائى ، أشمه شمة قبل الموت ، ثم اصنع بى ما أردت

« قال : فأتاه جبريل ، فقال : إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : أبشر ، وليفرح

قلبك ، فوعزنى لو كانا ميتين لتسرتهما ، فاصنع طعاما للمساكين ، فإن أحب عبادى إلى
الأنبياء والمساكين

« اتدرى لم أذهبت بصرك ، وقوست ظهرك ، وصنع إخوة يوسف يوسف

ما صنعوا ؟

« انكم ذبحتم شاة ، فأتاكم مسكين ، يقيم ، وهو صائم

« فلم تلمسوه منها شيئاً !

« قال : فكان يعقوب ، بعد ذلك ، إذا أراد النداء ، أمر مناديا فنادى : ألا من أراد النداء من المساكين فليتخذ مع يعقوب .

« وإن كان صائما ، أمر مناديا فنادى : ألا من كان صائما من المساكين ، فليفطر مع يعقوب (عليه السلام) . »
[رواه الحاكم]

يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

« يا بني اذهبوا فتحسسوا » أى فتعرفوا .
وهو تفعل من الحس ، وهو فى الأصل الإدراك بالحاسة ، وكذا أصل التحسس طلب الإحساس .

« من يوسف وأخيه » أى من خبرهما .

ولم يذكر الثالث لأن غيبته اختيارية لا يمسر أزالها .
« ولا تياسوا من روح الله » لا تقنطوا من فرجه سبحانه وتنفيه .

أو : لا تياسوا من رحمة الله .

أو : من فضل الله .

« إنه » أى الشأن .

« لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون » لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته .
فإن العارف لا يقنط فى حال من الأحوال .

قال ابن عباس : إن المؤمن من الله تعالى على خير ، يرجوه فى البلاء ، ويحمده فى الرخاء .

قالوا : اليأس لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال ، أو غير عالم بجميع المعلومات ، أو لبس بكريم .

« واعتقاد كل من هذه الثلاث يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحدها وب منها كفر ، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافرا » .
واستدل بعضهم بالآية على أن اليأس من رحمة الله تعالى كفر ، وادعى أنها ظاهرة في ذلك .

جاء عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : إن اليأس أكبر الكبائر .
وكذا القنوط ، وسوء الظن .

وفرقوا بينها ، بأن اليأس عدم أمل وقوع شيء من أنواع الرحمة له ، والقنوط هو ذلك مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع ، وسوء الظن هو ذلك مع انضمام أنه مع عدم رحمته له يشدد له العذاب كالسكران .

اشعاعات

فما أطلقه يعقوب ... من قوله : « ولاتيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ... اشعاعات عالية جدا .. تنير الطريق أمام الحيارى ، والضائعين واليائسين ، في ظلمات هذه الحياة ..
إن الناس جميعا ... إلا من رحم .. يتهاوون في بالوعة الضياع .. من هنا .. ومن هنا وحده ..

كم من شباب .. اندفع إلى الانتحار .. يأسا من الحياة ؟
كم من الملايين اندفعت إلى الإنهيار .. يأسا من أحوالها ؟
كم من أصناف الناس .. أعطوا ظهورهم لله .. يأسا من رحمته ؟
كثير .. كثير .. جدا .. جدا ..

فما هو هذا اليأس .. الذى يدفع الناس إلى هاوية الجحيم ؟
هو أن يستقر في مفاهيم الناس أن الله سوف لا يفعل بهم خيرا .. وأنهم سيهلكون فيهم فيه من عذاب حتى الموت !!

وهذا القشاوم .. يسود الحياة في عيني الإنسان .. ويدفعه إلى الإهيار .. والتدخل ..
 وعدم الإيمان بشيء كريم ..
 وهو صفة من صفات الكافر بالله ..
 لأنه لو آمن بالله ، لم أن الله واسع الرحمة .. وأن رحمته وسعت كل شيء ..
 ولكان دائما في انتظار فرجه تعالى .. ورحمته تعالى .. القادمة إليه ..
 ان اليأس ظلام .. يصيب القلب فيحجبه عن النور .. نور الله ..
 كما أن الظلم ظلام ..
 ومتى أظلم الإنسان .. عمى .. فلم يبصر شيئا ..
 فكان سهلا على الشيطان أن يعث به .. ويدفعه إلى المهالك ..
 إنه نور عظيم - يصدر عن يعقوب - عليه السلام - حين أعلن « لا تيأسوا من
 روح الله » ...
 وحين اذاع ذلك الناموس الالهى العظيم « إنه لا يأس من روح الله إلا القوم
 الكافرون » ..
 فجعل اليأس من رحمة الله .. موازيا للكفر بالله ..

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا
 بِبَعْضَةِ مَرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
 الْمُتَصَدِّقِينَ .

« فلما دخلوا عليه » أى على يوسف - عليه السلام - بعد ما رجعوا إلى مصر ،
 بموجب أمر أبيهم .
 وإنما لم يذكر ايذانا بمسارعتهم إلى ماأمروا به ، واشعارا بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر
 إلى الذكر والبيان .

« قالوا يا أبها العزيز » باحضرة صاحب الدولة والقنطرة .. يا أبها الملك القادر المنيع .
« مسنا وأهلنا الضر » الهزال من شدة الجوع .. والمراد بالأهل ما يشمل الزوجة
وغيرها .

« وجثنا ببضاعة مزجاة » مدفوعة ، يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا .
أى جثنا ببضاعة قليلة ، تافهة ، لا قيمة لها .. وهى كل ما نملك ، أو نستطيع تقديمه ..
والظاهر أنهم قدموا هذا الكلام ليسكون ذريعة إلى اسعاف مرأهم ببعث الشفقة
وهز المطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا ..

« فأوف لنا الكيل » فأتم لنا الكيل ، ولا تنقصه لقلة بضاعتنا ، أو رداءتها .
« وتصدق علينا » بالإيفاء ، أو بالمساحمة وقبول تلك البضاعة التافهة .
أو : بالزيادة على ما يساويها .

وقيل : أنهم أرادوا تصدق علينا برد أخينا بنيامين على أبيه .

وهو الأنسب بحالهم بالنسبة إلى أمر أبيهم ، وكأنهم أرادوا تفضل علينا بذلك لأن
رد الأخ ليس بصدقة حقيقية .

« إن الله يجرى المتصدقين » قالوا : فى المدلول عن إن الله تعالى يجرى بصدقك
إلى ما فى النظم الكريم مندوحة عن الكذب فهو من المعارض ، فأنهم كانوا يعتقدونه
ملكا كافرا .

أى : إن الله يجرى المتصدقين عموما ويثيبهم ..

اشعاعات

فى تلك المرحلة .. كانت هناك ثلاث أمور ..

بلغت شدة يقوب أقصاها ..

بلغت ذلة إخوة يوسف أقصاها ..

قد جاءوه يستعطفون .. ويطلبون الصدقة ..

بلغت عزة يوسف أقصاها .. فهو في مقام الملك والتمكن والنفى .. وهم .. هناك .. في
مقام الفقر .. والحاجة .. والذلة ..
فما معنى هذا ؟
معناه أن شدة يعقوب .. قد آذنت بالافراج ..
وهذا ما سيكون ..

-- ٨٩ --

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ .
« قال » قال يوسف - عليه السلام - مجيبا عما عرضوا به ، وضمنوه كلامهم
من ذلك .
« هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه » هل علمتم قبح ما فعلتموه زمان جهلكم قبحه ،
وزال ذلك الجهل أم لا ؟
والظاهر أنه - عليه السلام - لما رأى ما رأى منهم وهو من أرق خلق الله تعالى
قلبا .. شرع في كشف أمره ..
ومراد - عليه السلام - تعظيم الواقعة ، أى ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وأخيه .
روى : أنهم لما استمطفوه رق لهم ، ورحمهم ، حتى أنه سال دمه باكيا ، ولم يملك
نفسه ، فشرع في التعرف لهم .
وأراد بما فعلوه به جميع ما جرى ، وبما فعلوه بأخيه أذاهم له ، وجفأهم إياه ، وسوء
معاملتهم له .

« إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ » جاهلون بما يؤول إليه الأمر .

والظاهر أن ذلك لم يكن تشفيا ، بل حث على الاقلاع ، ونصح لهم لما رأى من عجزهم
وتسكنهم ما رأى ، مع خفي معاتبة على وجود الجهل ، وأنه حقيق الانتفاء في مثلهم .

اشعاعات

وكان موقفا .. رائعا .. خالدا ..

رجال .. تسعة .. يتدللون .. ويتمسكونون .. ويسألون ..

ويوسف .. في أعلى مقامات القوة .. والسلطان .. والتمكن ..

ينادونه : يا أيها العزيز ..

وهم في أشد الحاجة إلى حفنة قمح مما تحت يديه !!

وكانت مفاجأة .. لهم .. جميعا ..

حين قال لهم ذلك العزيز : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ؟

هل تذكرون .. هل يذكر أحد منكم يوم أخذتم طفلا صغيرا .. وأجمعتم على

إلقائه في البئر ... إيهلك ؟

هل تذكرون ما كنتم تفعلون بي وبأخي من إيذاء .. واضطهاد ؟

هل تذكرون .. تلك الجهالات .. التي كانت تصدر منكم ؟

وهكذا .. كما أوحى الله إليه .. ساعة القائه في البئر : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن

يجملوه في غيايت ألبس وأوحينا إليه لتفتيشهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

[الآية ١٥ من تلك السورة] ..

أرأيت ؟ .. لتفتيشهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ؟ !

وهاهو يوسف - عليه السلام - ينبشهم بأمرهم هذا .. يذكرهم بتلك القصة ..

قصة فذنه في بئر جافة .. لأماء فيها ولا سبيل إلى الخروج منها ..

هاهو ينبشهم بها .. وهم لا يشعرون .. في وقت هو أبعد ما يخطر على بالهم أن يكون

هذا الحاكم العظيم .. هو ذلك الطفل الذي أقوه يومها ليتخلصوا منه .. أو يهلك

إلى الأبد !!

إذ أنتم جاهلون ؟

لو كنتم تعلمون أنى سأنهى إلى تلك النهاية العظيمة ما فعلتموها . . ولكنكم كنتم تجهلون ذلك !!

- ٩٠ -

قَالُوا أَهَئِكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف - عليه السلام -

« أإليك لأنت يوسف » استبعدوا أن يكون العزيز يوسف ، أو يوسف عزيزا !

استفهام تقرير . . ولذلك أكد بأن واللام . .

إنيك . . لأنت . . يوسف !!؟

غير مقبول . . أنت يوسف !!؟ أنت !!؟ . . أنت يوسف عينه ١٩

« قال : أنا يوسف » نعم . . أنا يوسف . . أنا شخص يوسف . . بعينه وذاته . .

« وهذا أخى » وهذا . . بنيامين . . أخى . . شقيقى . .

مبالغة فى تعريف نفسه . .

« قد مَنَّ الله علينا » هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال ، فأنا يوسف ،

قدمن الله تعالى علينا بالخلاص ، عما ابتلينا به ، والاجتماع بعد الفرقة ، والعزة بعد الفلة ،

والأنس بعد الوحشة .

« إنه » أى الشأن .

« من يتق » من يفعل التقوى فى جميع أحواله .

أو : يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه .

« ويصبر » على البلايا والحن .

أو : على مشقة الطاعات .

أو : عن المعاصى التى تستلذها النفس .

« فان الله لا يضيع أجر المحسنين » فان الله تعالى يكافئهم حتما .. جزاء إحسانهم
وصبرهم .. وتقواهم ..

اشعاعات

من ذهول المفاجأة .. انهم ظلوا جميعا يتمجبون .. ويرددون ..
نك .. لأنك .. يوسف ١١١٩
أنت يوسف ؟ ١١١
مستحيل .. أن يكون ذلك ؟ ١١
من أين لك ملك مصر .. وهذه الأنهار تجري من تحتيك ؟
من أين لك .. كل هذا الذي أنت فيه ؟
من أين لك الوصول إلى الحكم في هذه البلاد ؟
وحتى لو وصلت إلى الحكم ، فكيف تأتي لك اختزان تلك الجيوب .. سنين طويلة ..
حتى سيطرت على منطقة الشرق الأوسط كلها ؟
وتبسم يوسف .. وقال : أنا يوسف ..
فازدادوا دهشة ..
ثم ازدادوا دهشة .. حين فاجأهم :
وهذا أخى .. وأشار إلى بنيامين ..
شقيقى .. ورفيقي .. فى البلاء .. والاضطهاد .. منكم ..
ثم تسكمت النبوة .. وتلاأت ثنائياها .. وأشرقت بنورها :
قد آمن الله علينا ..
لاوجه للعجب .. كل ما هنالك أن الله تعالى أراد أن يمن علينا .
أن يتفضل علينا .. فأتانا ما آتانا .. فضلامه .. ومِنَّة .
فما وجه العجب فى ذلك ؟

إنها النبوة .. تطلق نواويس الخلود !!
ثم تلاً .. وتلاً : إنه من يتق ويصبر .. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ..
هذا هو الناموس العظيم .. الالمى .. الذى أذاعه يوسف — عليه السلام — فأذاع
به سرا عظيماً من أسرار الله تعالى فى خلقه ..
عنصران .. اثنان .. هما شرط عدم الضياع عند الله ..
من يتق .. ويصبر ..

اتقاء المعاصى .. اتقاء كل مانهى الله عنه .. الابتعاد عن كل شىء يفضب الله ..
ومتى ابتعد الانسان عن المعاصى .. متى توقف عن الانهيار إلى أسفل فقد تماسك عند
نقطة الصفر ..

فعلية أن يبدأ الارتقاء إلى أعلى .. السير إلى الله .. إلى القرب ..
وهذا هو الصبر .. الصبر على معاناة متاعب الصعود .. نحو الله ..
كلما اعترضه ما يصدده .. صبر .. وصابر .. وواصل السير ..
ثم ماذا ؟ ثم ينتقل إلى المرحلة الثالثة .. مرحلة الاحسان .. مرحلة الإبصار ..
وإدراك الحقيقة ..

إذا .. تعبير يوسف — عليه السلام — « المحسنين » .. كأنما يريد أن يقول :
الاحسان هو أن تتق وتصبر .. وبدون تقوى وصبر فلا إحسان .. وكأنه يريد أن يقول :
من استوفى التقوى والصبر فهو محسن . أو من أراد أن يصل إلى مقام الإحسان ..
فعلية أن يكون تقياً .. وأن يكون صابراً .

ثم ماذا ؟ .. إن الله لا يضيع أجر المحسنين ؟
مستحيل .. هناك استحالة .. أن يضيع الله أجر إنسان أحسن فى حياته .. أجر إنسان
اتقى .. وصبر ..

بل لا بد أن يكافئه .. فى الدنيا .. وفى الآخرة ..
تلك سنة الله .. ولن تجد لسنة الله تبديلاً ..

ثم ماذا؟ ثم انظر إلى التعبير .. من يتق .. ويصبر ..؟!

افعال مضارعة .. تدل على الاستمرار ..

أى : من هو شأنه دائماً .. من استمر على التقوى .. واستمر على الصبر ..

لأنه لا عبرة بتقوى مؤقتة .. وصبر مؤقت .. ثم تدهور بعد ذلك وانقلاب ..

وتذبذب ..

إنما هو انسان دائماً تقياً .. ودائماً صابراً .. ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .. اتقوا الله

استطعتم !!

إنها النبوة .. تصدر اشاعاتها !!

قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتٰكَ اللّٰهُ عَٰلِمِنَا وَاِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ .

« قالوا » قال أخوة يوسف ... حين انكشفت لهم الحقيقة ... وبهرتهم اشاعات

النبوة ..

« تالله » نقسم بالله تعالى

« لقد آثرك الله علينا » لقد اختارك الله ، وفضلك علينا ..

لقد اختارك الله يا يوسف ... من دوننا جميعاً ... واحتصك بميراث النبوة ... نبوة

آبائك إبراهيم ... واسحاق ... ويعقوب ...

ثم آثرك علينا بالملك ... فأعطاك ملك مصر تنبؤاً منها حيث تشاء ...

و آثرك علينا في الصورة ... فجعلك أحسن الناس صورة ...

و آثرك علينا في كل شيء ... فأعزك ، وأذلنا ...

وأغناك وأقرنا ...

« وإن » أى والحال أن الشأن ..

« كنا لخاطئين » كنا لمتعمدين للذنب إذ فعلنا ما فعلنا ، ولذلك أعزك وأذلنا ..

و (خاطئين) من خطيء إذا تعمد .

وأما أخطأ : فقصد الصواب ولم يوفق له ..

اشعاعات

بينما ... يوسف ... في انطلاقات الرحمة ... يحوس خلالها ... كيف شاء ...

يسبح في بحار ... أنوار ... النبوة ...

بيده ... وتحت أمره ... أمر مصر ... يتبوأ منها حيث يشاء ...

ينعم ... بحب أهل مصر جميعاً ...

إذا بهؤلاء ... في ضيق الفقر ... وذل الحاجة ... وجفاف البعد !!!

لماذا ؟

لأن هذا اتقى . . وصبر ... فلم يضيعه الله ... بل حفظ له حقه عنده ... وأفاض عليه

لقاء سلوكه ...

وهؤلاء لم يتقوا .. ولم يصبروا ... فكان الجزاء من جنس العمل ...

- ٩٢ -

قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَكْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ الرَّحِيمُ .

« قال » قال يوسف - عليه السلام - وهو في مقام القوة والتمسك ...

« لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ » لا تأنيب ولا لوم ..

« عليكم اليوم » بعد اليوم .

« يغفر الله لكم » إني لأرجو الله تعالى ، وأسأله أن يغفر لكم ما كان منكم ..

أى يسترد ذنوبكم يوم القيامة ويتجاوز عنها .. وإني لأثق أنه تعالى سوف يغفر لكم ما كان منكم ...

والحكم بذلك مع أنه غيب قيل : لأنه - عليه السلام - صفح عن جريمتهم حينئذ ،

وهم قد اعترفوا بها أيضا ، فلا محالة أنه سبحانه يغفر لهم ما يتعلق به تعالى ، وما يتعلق به
- عليه السلام - بمقتضى وعده جل شأنه بقبول توبة العباد ...
« وهو أرحم الراحمين » فان كل من يرحم سواه - جل وعلا - فاعما يرحم برحمته
سبحانه .

اشعاعات

يبدو ... أن يوسف - عليه السلام - كان مباحا وقتها ... في بحار ... أنوار ...
الرحمة ...

انظر ... لا تثريب عليكم ... اليوم ... يغفر الله لكم ... وهو أرحم الراحمين ...
هذه انطلاقات ... من بحار الرحمة التي كان يسبح فيها ..
لا تثريب عليكم ... لا لوم عليكم ... لن ألومكم ... ولن أقول شيئا ... إنما هي
المقادير .. ولشكل شيء قدر !!

اليوم ... لا ألومكم الآن ... ولا بعد الآن ... لأن القدر لاحيلة فيه ...
« يغفر الله لكم » .. إحساس عميق عند يوسف .. ورغبة شديدة منه أن يتجاوز
الله لهؤلاء عما كان منهم ...
ثم ماذا ؟ ..

ثم يطلق يوسف ... ذلك الناموس الخالد ... وهو أرحم الراحمين ...
حلوة ... جميلة ... وهي تنبثق من ثناياه ...

هو ... أرحم ... الراحمين ؟ !

وفي بساطة تامة ... « ورحمتي وسعت كل شيء » ...

فما من شيء إلا وهو مغموس في رحمته تعالى من أوله إلى آخره ..

فكل رحمة يتراحم بها الخلق ... هي أصلا منه ... مما منحهم من رحمته هو ...

فكيف لا يكون أرحم الراحمين ؟ !

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ .

« اذهبوا بقميصي هذا » هو القميص الذي كان عليه حينئذ كما هو الظاهر .
« فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا » أى يصر بصيرا ، ويشهد له
أو ، يأت إلى وهو بصير ، أى يحضر إلى فى مصر وهو يصر وقد ذهب عنه العمى ..
« وأتوني بأهلكم أجمعين » من النساء والأولاد وأولاد الأولاد ..
أى : أحضروا بنى إسرائيل جميعا إلى مصر ...
وكان أولئك الأهل نحو من سبعين إنسانا ...
وفى التوراة أن من دخل مصر من بنى إسرائيل سبعون ..
وقد نموا فى مصر ، فخرجوا منها ، مع موسى - عليه السلام - وهم ستمائة ألف وخمسمائة
وبضعة وسبعون رجلا ، سوى الذرية والهرمى ، وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف على
ما قيل !!

اشعاعات

يقف العقل هنا مملوسا ... عاجزا ...
ما هذا ؟ ... أيعقل هذا ؟ ...
هل مجرد إلقاء قميص على وجه أعشى يرده بصيرا ... ويرد إليه بصره ؟ !
ما السر فى ذلك ... ولماذا هذا ليوסף خاصة ... دون غيره ؟ !
وهنا نقول : مكانكم ... أيها المظلومون ...
إنها معجزة ... دارت بين نبي ونبي ...
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ...
وإليك معجزة أخرى ... صدرت عن يعقوب ... لتزدادوا عجباً !

وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا
أَنْ تُفَنِّدُونِ .

« ولما فصلت العير » ولما خرجت القافلة من العريش ، قاصدة مكان يعقوب عليه السلام ، وكان قريبا من بيت المقدس ...

يقال : فصل من البلد يفصل فصولا ، إذا انفصل منه وجاوزه .

« قال أبوهم » يعقوب - عليه السلام - لمن عنده .

« إني لأجد ريح يوسف » إني لأشم ، فهو وجود حاسة الشم ... رائحة يوسف

أشمه الله تعالى ماعبق بالقميص من ريح يوسف - عليه السلام - من مسيرة ثمانية أيام

- على ماروى عن ابن عباس -

« لولا أن تفندون » لولا أن تنسبونى إلى الفند ... أى إلى ضعف الرأى والعقل من

الهرم وكبر السن .

ويقال ، شيخ مفند ، إذا فسد رأيه .

لولا تفنيديكم أياى لصدقتمونى أولقلت : إن يوسف قريب مكانه أو لقاءه أو نحو ذلك

والخطاب قيل : من كان بحضرته من ذوى قرابته .

اشعاعات

ما هذا ؟

هذه معجزة أخرى ...

كيف انتقلت رائحة يوسف ... على بعد مئات الأميال إلى يعقوب ؟

أو كيف كان لقميص يوسف مثل تلك الرائحة القوية ؟

وهل السر فى القميص ، أم فى حاسة يعقوب ؟

ولماذا القميص بالذات ، وما سر هذا القميص ؟

كل ذلك ... شيء فوق العقل ، يعلمه الله تعالى ...
وكل ذلك ... شيء آتاه الله نبيه - عليها السلام - يوسف ويعقوب ...
شيء دار بينهما ... وكانا هما موضع التجربة ..
والله يكرم من شاء بما شاء ...

قَالُوا تَأَلَّهَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ .
« قالوا » قال أولئك المخاطبون .
« تأله » والله .

« إنك لفي ضلالك القديم » إنك لفي ذهابك عن الصواب ، قدما ، بالإفراط في محبة
يوسف ، والإكثار من ذكره والتوقع للقاءه ، وجعله فيه لتمكنه ودوامه عليه .
أى : لفي تحريفك الذى عشت فيه منذ فقدت يوسف ...
وقيل : الضلال هنا بمعنى الحب .
وقيل : هو الشقاء والعناء .
وقيل : الهلاك والذهاب .
وقيل : الجنون !
أى إنك لفي جنونك القديم !!

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

« فلما أن جاء البشير » هو يهوذا أحد أبنائه ...
روى أنه قال لإخوته : قد علمت أنى ذهبت إلى أبى بقميص الترحة فدعوني أذهب
إليه بقميص الفرحة ... فتركوه .

« ألقاه » ألقى البشير القميص :

« على وجهه » على وجه يعقوب - عليه السلام -

وقيل : ألقى يعقوب القميص على وجهه ...

قيل : إنه - عليه السلام - أخذه فشمه ثم وضعه على بصره .

« فارتد بصيراً » فصار بصيراً ..

والمعنى : أنه رجع إلى حالته الأولى من سلامة البصر .. وذهب عنه العمى ...

وفى الكلام ما يشعر بأن بصره صار أقوى مما كان عليه ، لأن فعلاً من صيغ المبالغة .

« قال : ألم أقل لكم » قال لبنيه القادمين

أى : ألم أقل لكم ، لا تيأسوا من رحمة الله ؟ !

« إني أعلم من الله ما لا تعلمون » ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر ، وأمرتكم

بالتحسس ، أو نهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى ، إني أعلم من الله ما لا تعلمون من

حياة يوسف عليه السلام ؟

أو : فإن مدار النهى العلم الذى أوتيته - عليه السلام - من جهة الله سبحانه .

أو : قال يعقوب .. لمن حوله : ألم أقل لكم إني لأجد ريح يوسف ، فكذبتموني

ورميتوني بالجنون والضلال ، فها هو قيصه ، وها هو بصرى يعود أحسن مما كان ...

إني أعلم من الله ما لا تعلمون .. إني أكاشف بما لا سبيل لكم إلى علمه ...

اشعاعات

جاء فى الأخبار ، أنه - عليه السلام - سأل البشير : كيف يوسف ؟

قال : ملك مصر . فقال : ما أصنع بالملك ؟ على أى دين تركته ؟ . قال : على

الإسلام . قال : الآن تمت النعمة ..

وهى أقصوة ... تشير إلى عظمة هؤلاء الأنبياء .. وسمو نظرتهم .. إلى قيم

الحياة ..

فما كان يقربهم إلى الله فهو الشيء الهام عندهم ...
وما كان يبعدهم عن الله .. فهو شيء لا وزن له في معاييرهم ..

ومن أقاصيص ذلك المقام ... قالوا : لما جاء البشير إليه .. قال : ما وجدت عندنا شيئا ، وما اختبرنا منذ سبعة أيام ... ولكن هون الله تعالى عليك سكرات الموت !!
تأمل ... نبي الله .. يعقوب .. لا يجد عنده شيئا يكافئ به البشير !!
وتلك مقاماتهم ... وذلك هو الثمن الذي يدفعون ..

- ٩٧ -

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ .

« قالوا » قال الإخوة القادمون .. الذين كانوا حاضرين ..
« يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا » يا والدنا اطلب من الله أن يتجاوز لنا عن ذنوبنا التي ارتكبتها في حق يوسف وأخيه وحقك .. وسببنا لكم تلك المتاعب ، وذلك البلاء .
طلبوا منه - عليه السلام - الاستغفار ، ونادوه بعنوان الأبوة ، تحريكا للعطف والشفقة ..

« إنا كنا خاطئين » إنا كنا متعمدين للخطأ ..
إنا كنا مجرمين .. آثمين .. فعلنا مالا ينبغي أن يفعل ..

- ٩٨ -

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

« قال » قال يعقوب - عليه السلام -
« سوف أستغفر لكم ربي » سوف أستم على طلب المغفرة لكم من ربي ..
« إنه هو الغفور » إنه تعالى هو دائم المغفرة .. يغفر لمن استغفره ..
« الرحيم » لأنه واسع الرحمة .. يدخل في رحمته من يشاء ..

روى عن ابن عباس - مرفوعا - أنه - عليه السلام - أخر الاستغفار لهم إلى السحر ، لأن الدعاء فيه مستجاب .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ لِيهِ أَبُو يَهُيْ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ .

« فلما دخلوا على يوسف » فرحل يعقوب - عليه السلام - بأهله ، وساروا حتى أتوا يوسف ، فلما دخلوا على يوسف ..
« أوى إليه أبويه » ضم إليه أبويه واعتنقهما .
والمراد بهما أبوه وأمه راشيل .
أى : أخذهما بالأحضان والعناق ، من شدة الشوق .
« وقال ادخلوا مصر » تمكّنوا منها واستقروا فيها ..
أو : كلمة ترحيب .. بمعنى : مصر تحت أمركم ..
« إن شاء الله آمنين » آمنين من القحط وسائر المكاره ..
أى : إني لأرجو الله تعالى أن تحمّوا جميعا فى مصر حياة طيبة .. آمنة ..

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

« ورفع أبويه » ورفع أباه وأمه عند نزولهم بمصر .
« على العرش » على كرسى عرشه .. تكريمة لها فوق ما فعل باخوته من تكريم ..

« وخرؤا له » وخرؤا له جميعا .. أبواه واخوته .

« سجداء » ساجدين على الجباه ..

قالوا : كان السجود تحية الملوك عندهم ..

وقيل : كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض .

إنه نظام الملوك .. وهو موجود إلى يومنا هذا فى كثير من نظم الاستقبال فى القصور

الملكية فى العالم ..

« وقال ، يوسف .. حين رآهم ينحنون له تعظيما .. وتطبيقا للبروتوكول وقواعده ..

« يا أبت ، يا أبى .

« هذا ، هذا الذى فعلتم من سجودكم لى .

« تأويل رؤياى ، إذ فيها (رأيتهم لى ساجدين) .

هذا تحقق وقوع مارأيت فى المنام وأنا صغير .. حين رأيت كأن أحد عشر كوكبا

والشمس والقمر .. رأيتهم لى ساجدين ..

أتذكر يا أبت ذلك ؟

أتذكر أننى قصصتها عليك آنذاك ؟

هاهى تتحقق بمخافيرها .. وتقع كما رأيت ..

وهاأنتم تسجدون لى .. تماما كما رأيت ..

هاهم اخوتى الأحد عشر .. وهاهو أنت .. وهاهى أُمى .. تسجدون أمامى .. كما

رأيت تماما !!

« من قبل ، من قبل سجودكم هذا ..

أو : من قبل هذه الحوادث .

« قد جعلها ربى حقا » قد جعلها ربى صدقا ..

قد حققها .. كلها .. ووقعت حوادثها كما رأيت تماما .. عجبا !!

إن يوسف يتعجب من قدرة الله تعالى !!

ثم تذكر يوسف — عليه السلام — نعمة ربه عليه حين استنقذه من أقبح بلاء .
بلاء السجن .. فقال ..

« وقد أحسن بي » وقد أحسن الله إلى .

« إذ أخرجني من السجن » الاحسان هو الإخراج من السجن بعد أن ابتلى به ،
ثم وصوله للملك ، وخلوصه من الرق ، والهمة ، ثم اشتهاه أمره ، وارتفاع ذكره ،
وعوم خبره ..

« وجاء بكم من البدو » وجاء بكم من البادية .

وكان منزلهم على ما قيل : بأطراف الشام ، بيادية فلسطين ، وكانوا أصحاب
إبل وغنم .

« من بعد أن نزع الشيطان بني وبين إخوتي » من بعد أن أفسد الشيطان وحرش
بني وبين إخوتي .

وفيه تغاد عن لومهم .

وذكره تعظيماً لأمر الإحسان ، لأن النعمة بعد البلاء أحسن موقعا .

« إن ربي لطيف لما يشاء » إن ربي لطيف التدبير لما يشاء ..

إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته تعالى ، ويسهل دونها .

وحاصله أن اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور ، المدبر لها ، والمسهل لصعابها ،
ولنفوذ مشيئته سبحانه فإذا أراد شيئاً سهل أسبابه ، أطلق عليه جل شأنه اللطيف ، لأن
ما يُلطف يسهل نفوذه .

« إنه هو العليم » بوجوه المصالح .

« الحكيم » الذي يفعل كل شيء على وجه الحكمة لا غيره .

قلوا : مقدار المدة بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنة . وهو قول الأكثرين .
وقالوا : وإلى ذلك ينتهي تأويل الرؤيا .

اشعاعات

كيف كانت احاسيسهم جميعا .. فى تلك اللحظة .. لحظة اجتماعهم جميعا .. وجها لوجه؟
هاهو يوسف - عليه السلام - الطفل المفقود ، الذى زعموا أن الذئب قد أكله ..
واعتقدوا أنه هلك مع من هلك .. حاكما على مصر كلها .. بوجه سياستها .. ويضع
اقتصادياتها .. ويهيمن على مقدراتها .. وييده مفاتيح خزائنها ..
وهاهو يعقوب - عليه السلام - ذلك الأب الذى ذهب بصره .. من طول حزنه
على يوسف .. قد التقى أخيرا بيوسف .. وقد رفعه الله درجات ودرجات ..
رفعه فى الدنيا منازل .. فى السلطة .. والملك ..
ورفعه فى الآخرة درجات .. بظهور لألاء النبوة فيه .. واشعاع انوارها من قلبه ..
وتديره شئون البلاد ..

فكيف كان احساس يعقوب بالنعمة ؟ ..
وهاهى .. راشيل .. أم يوسف .. تراه بعد أن فقدت الأمل أن تراه ..
وماظنك باحساس الأم فى مثل هذه المفاجأة ، وكيف كان سرورها ؟
وهاهم الإخوة العشرة .. مجتمعون جميعا .. وقد أحسوا أنهم كانوا مجرمين فيما فعلوا فى
يوسف ..

وهاهو بنيامين .. شقيق يوسف .. ينتصر انتصارا عظيما .. ويجد أخاه الذى طالما حدثته
أمه راشيل عنه وعن جلاله وكرامته ، وعما صنع به اخوته ..
لاشك أنه كان لقاء مثيرا جداً ..
فيه أحاسيس متباينة .. متدافعة .. متحركة ..
حرك يوسف - عليه السلام - أن جعل يسرد القصة وما فيها من العبر .. وجعل
يوجه الكلام إلى أبيه توقيرا له وتعظيما :
بأبت .. هذا تأويل رؤياى ... من قبل .. قد جعلها ربى حقا ..
: وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ..

: وجاء بكم من البدو ..

: من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ..

: إن ربي لطيف لما يشاء ..

وهذه الفقرة الأخيرة .. تشير إلى عظمة علم يوسف - عليه السلام - بالله تعالى ..

لطيف لما يشاء ؟

تسرى مشيئته تعالى .. في الأشياء وتنفذ فيها .. في سهوله تكاد تخفى على الخلق ..

فها هي الموجودات كلها تسرى مشيئة الله تعالى .. فيها .. ولا أحد يشعر أن هناك

مشيئة تحرك ذلك كله !!

إن ربي لطيف !؟

تعبير لطيف .. عال .. لا يصدر إلا من نبي !!

ولقد كان اللطف في المشيئة .. سببا جعل أكثر الناس ينكرون وجود تلك المشيئة

لأنها خافية عليهم !!

ثم يتلأل لإحكام النبوة ، وصدقها حين يقول : إنه هو ..

هو سبحانه وحده .. العليم .. الحكيم !!!

— ١٠١ —

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَظَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ .

«رب» يوسف يفيض قلبه .. من الاحساس بنعمة الله تعالى عليه .. وفضله .. فيتوجه

إلى الله .. أمام أبويه .. وإخوته .. وقلبه شديد التأثر من جميل احسان الله إليه ..

ولعل لألاء الدموع .. دموع التأثر .. كانت تترقق في عينيه آنذاك .. ثم يقول :

رب ..

« قد آتيتني من الملك » قد آتيتني ملكا عظيما .. قد اعطيتني ملك مصر وغيرها .. مما
يمتد إليه نفوذ مصر .. مما جاورها من البلاد .. وما تؤثر فيه مصر بنفوذها السياسي ..

وأى ملك كان ملك يوسف ؟

لعله كان أعظم ملك في العالم آنذاك ؟

لقد كانت مصر على عهد الفراعنة اعظم دول الأرض ..

فكيف إذا تولاهما أعظم ماتحمل الأرض وقتئذ .. يوسف .. بن يعقوب ..

بن إسحاق .. بن إبراهيم ؟

كيف إذا تولاهما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ؟

كيف إذا تولاهما بنى .. فاجتمعت له أسباب الملك والعزة .. ونور النبوة وهداها ؟

لاشك أن البلاد في عهده نعمت باستقرار ورخاء وحرية وأمن وعدالة لم تنعم به دولة

في الأرض آنذاك !

« وعلمتني من تأويل الأحاديث » المراد بتأويل الأحاديث :

إما تعليم تعبير الرؤيا .. وهو الظاهر ..

وإما تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ، ودقائق سنن الأنبياء ..

ولقد أوتي يوسف - عليه السلام - من الأمرين شيئا عظيما ..

فهو يعلم تأويل الرؤيا .. علما من لدن عليم حكيم ..

وهو يعلم حقائق دقائق ما أنزله الله من أحاديث إلى رسله .. وما تحدث به الأنبياء من

قبله إلى الناس .. مما أوحى إليهم ربهم ..

وهذا يدل على رسوخه - عليه السلام - في العلم - كما قال تعالى « وما يعلم تأويله إلا الله

والرأسخون في العلم .. »

ويوسف - عليه السلام - نبوة .. في مقامها .. فكيف كان علمه بتأويل كلام الله ،

وتأويل أحاديث انبيائه ؟

لا شك أنه كان عظيماً ؟

« فاطر السماوات والأرض » مبدع السماوات ومبدع الأرض ..

خالق السماوات ، وخالق الأرض ..

ووصفه تعالى به ، بعد وصفه بالربوبية ، مبالغة في ترتيب مبادئ ما يعقبه من قوله ..

« أنت ولي » أنت متولى أموري كلها .. ومتكفل بها .

أو : موالي ، وناصر .

« في الدنيا » الذي يعطيني نعم الدنيا .

« والآخرة » والذي يعطيني نعم الآخرة .

« توفني » اقبضني .

« مسلماً » مسلماً لك إسلاماً كاملاً .. منقاداً لأمرك انقياداً تاماً .

« وألحقني بالصالحين » من آبائي الكرام ، يعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم .

اشعاعات

وكانت لحظة .. أي لحظة ؟.. لحظة أنس بالله .. وبكاء قلب يوسف أمام الله تعالى .

وليس كالأنبياء إحساساً بنعمة الله تعالى عليهم ..

وليس كمثلهم تأثراً بفضل الله تعالى إليهم ..

وأمام أبويه وإخوته .. ينظر يوسف إلى القصة من أولها إلى آخرها .. ويعبر ذلك

التاريخ الطويل لقصته وقصتهم ..

ثم يتأمل ما حوله من مظاهر الملك ، وما مكنه الله فيه من قصور الفرائعة ، وأبهة

السلطان .. فتجيش نفسه بأكرم الأحاسيس التي يمكن أن تفيض من قلب بشر ..

أحاسيس عليا ... متجهة إلى الله كلها ..

ويهتف بربه تبارك وتعالى : رب قد آتيتني من الملك ..

حولة .. خفيفة .. لطيفة .. فيها إدراك محيط .. وبحر عميق .. من المعارف .. والعلم
بالله تعالى ..

بعد أن كان عبداً مملوكاً .. مباعاً بدرهم حقيرة ..
أصبح ملكاً مطاعاً .. يستمتع بالحرية في أقصى مستوياتها ..
ويكفي أن الله عبر عن ذلك بقوله : وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ، يتبوأ منها
حيث يشاء ..

أى حقق الله له الحرية في أعلى مستوياتها ... يفعل ماشاء ... ويتحرك كيف يشاء ...
أعطاه الله تعالى أعلى ما يعطى من أسباب السلطان الظاهر ..
وفي الباطن .. علمه من تأويل الأحاديث ...
وهذا أيضاً ملك آخر ... أعرض ... وأعلى من سابقه ...
فإن ملوك الباطن ... أوسع ملكاً ... من ملوك الظاهر ...
إن علماء الحقيقة .. وأهل المعرفة بالأسرار الإلهية .. أوسع ملكاً .. من ملوك الحكم
والسياسة ..

ذلك أن العلم واسع لا يتناهى .. بينما سلطة الملك تقتناهى ..
فتح الله ليوسف ماشاء من خزائن علمه تعالى ... وأعطاه ... وآتاه ...
فكان يعلم حقائق الرؤى ...
وكان يعلم حقائق النفوس ...
وكان يعلم حقائق الوحي الإلهي ...
وكان يعلم كيف يسوس شعبه ، وكيف يقوده خير قيادة ..
فاجتمع له ملك الظاهر ... وملك الباطن ...
وأوتى علم الظاهر ... وعلم الباطن .. فكان ملكاً عظيماً ... ونبياً عظيماً ... ورسولاً
عظيماً ...

فكان الشخصية العظمى ... في عصره ... في الأرض كلها !!!
ثم يرتفع يوسف - عليه السلام - في نجواه .. ويرتفع .. فاطر السماوات والأرض ..
فيها مقام رفيع جدا .. أنت الذى أبدع كل شيء .. أنت الذى أبدع السماوات بما
فيها ومن فيها من عجائب قدرتك .. وأبدع هذه الأرض بما عليها من غرائب ..
ثم يغيب كل شيء من قلب يوسف - عليه السلام - وتشرق شمس الذات في قلبه
إشراقا عظيما ... فلا يرى إلا إياه ... فيناجيه : أنت ولي ...

أنت وحدك .. الذى تولانى من أولى إلى آخرى ...
تولانى فيما مضى ... وسيتولانى فيما هو آت ...
ولذلك كان تعبيره « فى الدنيا والآخرة » .. خالدا .. يبرق ببريق النبوة الرهيب ..
كما أنك يارب خلقت السماوات والأرض .. خلقتنى شيئا ضمن هذه السماوات والأرض ..
وتعهدتنى من بدايتى إلى نهايتى ...
ثم يتذلل .. ويتذلل .. فى جناب ربه تبارك وتعالى .. توفى مسلما ...
أرجوك ... أن تميمتنى مسلما نفسى إليك .. لا أرى نفسى شيئا .. بل أكلها إليك ..
أنت وليها ومولاها ...

وألحقنى بالصالحين ...
أرجوك أن تفضل على ... كما تفضلت على دائما ... وتضمنى إلى عبادك السكاملين
فى الصلاح !!

هذا يوسف ... عليه السلام ...

قلب !! .. ياله من قلب !!

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَتَوْا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ .

« ذلك » الذى قصصناه عليك من أنباء يوسف عليه السلام ..
« من أنباء الغيب » من أخبار الغيب الذى لا يحوم أحد حول خبره .
« نوحه إليك » نزله إليك عن طريق الوحي .
« وما كنت لديهم » وما كنت حاضرا مع إخوة يوسف - عليه السلام -
« إذ أجمعوا أمرهم » إذا اتفقوا جميعا على أن يحملوه فى غيابة البئر .
« وهم يكررون » وهم يكررون بيوسف - عليه السلام - ويبغون به الفوائد .
والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف - عليه
السلام - حين عزموا على ما هموا به من أن يحملوه فى غيابة الحب وهم يكررون به .
ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذيك أنك ما لقيت أحدا سمع ذلك ، فتعلمته منه .
وقيل : إن هذا تهكم بمن كذبه ، وذلك من حيث أنه تعالى جعل المشكوك فيه
كونه - عليه السلام - حاضرا بين يدي أولاد يعقوب - عليه السلام - ما كرين ، فنفاه
بقوله : (وما كنت لديهم) وإنما الذى يمكن أن يرتاب فيه المرتاب قبل التعرف هو
تلقية من أصحاب هذه القصة .. أى قد علمت يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من
القرون الحالية وإنكاركم لما أخبر به يفضى إلى أن تكابروا بأنه قد شاهد من مضى منهم .
وقيل : المذكور مكرهم ، وما دبروه ، وهو مما أخفوه حتى لا يعلمه غيرهم ، فلا يمكن
تعلمه من الغير !

اشعاعات

هذه قصة كاملة .. من أولها إلى آخرها .. من بدايتها إلى غايتها .. من جذورها
إلى ثمرتها ..
قصة ظاهرة ... وباطنة ..
قص فيها الحوادث الظاهرة .. وقص فيها الأقوال الباطنة .. والأفكار الخفية
فى الصدور ..

وهذا أبلغ دليل على كونها وحى يوحى ...
فإن المرء بعقله المحدود .. لا يستطيع أن يتعرف على الأفكار التى كانت تدور سرا
بين الناس ..

فاذا نبأنا الله بها .. كان ذلك دليلا على أنها وحى إلهى ..
« وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » !؟

لقد كان حديثا سريا .. يدور بين العشرة .. اقتلوا يوسف .. اطرحوه أرضا ..
أقوه فى غيابة الجب .. ماذا تقولون لأبيكم ؟ كيف الخلاص من هذا الطفل ؟
أرأيت ؟ .. شئ كان يدور بينهم .. بعيدا عن الأعين .. وعن أيهم ..
فلو افترضنا أن محمدا .. صلى الله عليه وسلم .. استمع إلى قصة يوسف .. من السابقين ،
كما يزعم الذين يكذبونه ..

فمن أين له علم هذه الخفيات .. التى لا يعلمها إلا من كان حاضرا معهم .. شاهدا
لأحاديثهم ؟ !

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ .

« وما أكثر الناس » الظاهر العموم ، أى أن الأغلبية العظمى .
« ولو حرصت » على إيمانهم ، وبالنسبة فى إظهار الآيات القاطعة ، الدالة على
صدقك عليهم .

« بمؤمنين » لتصميمهم على الكفر ، وإصرارهم على العناد ، حسبما اقتضاه استعدادهم .

قيل : سألت قریش واليهود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصة يوسف
— عليه السلام — فزلت مشروحة شرحا وافيا ، فأمل عليه الصلاة والسلام أن يكون
ذلك سبب إسلامهم ، وقيل : إنهم وعدوه أن يسلموا فلما لم يفعلوا عزاه تعالى بذلك .

اشعاعات

فيها ناموس عظيم ..

« وما أكثر الناس .. بمؤمنين » .. الأكثرية دائما من الناس .. في كل زمان

ومكان لا تؤمن ..

ولو حرصت ؟ .. مهما حاولت .. واجتهدت أن تدعوم إلى الايمان ..

لماذا ؟ لأن هناك حيلولة بينهم وبين الايمان ..

هناك ظلام في قلوبهم .. يحول بينهم وبين ذلك الأمر ..

فلا فائدة من دعوة .. ولا أمل في استجابتهم ..

والواقع التاريخي كله يؤيد ذلك ..

فكم من القرون مضت .. وكم من القرون سوف تأتي .. والإنسان هو الإنسان ..

من حيث القباء .. أكثرية كافرة .. وأقلية مؤمنة ..

- ١٠٤ -

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ .

« وما تسألهم عليه » وما تطلب منهم على تبليغ القرآن والحق إليهم ..

« من أجر » من ثمن ما ..

إن الدعوة تقدم إليهم مجانا .. بلا مقابل ..

« إن هو إلا ذكر » إن هذا القرآن إلا تذكير من الله تعالى .

« للعالمين » لجميع الناس .

اشعاعات

فيها ثلاث نوااميس .. خالدة ..

الأول .. وما تسألهم عليه من أجر ..

أن الله تعالى يقدم دعوة الحق .. ويقدم وحيه .. مجانا .. ومحرم على رسله أن يأخذوا عليها أجرا قليلا أو كثيرا .. ويوجب عليهم أن يتجردوا وهم يملفوها إلى الناس .. من المنافع الدنيوية ..

الثاني .. ان هو إلا ذكر .. هذا القرآن تذكير ..
تذكير للانسان بما يجب عليه نحو الله .. وتذكير له كي لا ينسى ..
الثالث .. للعالمين .. للجميع .. دعوة عالمية لكل الناس .. في كل زمان ومكان ..

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ .

« وكأين من آية » وكمن آية .

والمراد بالآية الدليل الدال على وجود الصانع ووحدته وكال علمه وقدرته .
والمعنى : وكأى عدد شئت من الآيات الدالة على صدق ما جئت به غير هذه الآية .
« في السماوات والأرض » كائنة فيهما من الأجرام الفلكية ، وما فيها من النجوم ، وتغير أحوالها ، ومن الجبال ، والبحار ، وسائر ما في الأرض من العجائب الفاتنة للحصر .
« يمرّون عليها » يشاهدونها .

« وهم عنها معرضون » غير متفكرين فيها ، ولا معتبرين بها .
وقرى : والأرضُ (بالرفع) .

والمعنى والأرض يمشون عليها .. يجيئون .. ويذهبون في الأرض .. ويرون آثار الامم المالكة ، وما فيها من الآيات والعبر ، ولا يتفكرون في ذلك

اشعاعات

فيها العجب .. هناك إذا ما لا يحصى من الآيات .. في السماوات .. وفي الأرض .. تدل على وجود الله .. ووحدانيته .. وقهره .. وجبروته .

فما من ذرة في هذا الكون إلا وهي تشهد أنه لا إله إلا الله ..
تركيبها .. صناعتها .. حركتها .. ابداعها ..

وما من خلية مما يتكون منه جسم الإنسان أو غيره من الكائنات الحية إلا وهي تشهد بذلك .

أى شيء .. كل شيء .. يدل على أنه الواحد .
وكم من آية !!!

إني الملح في ثنايا هذه الآية تهديدا خطيرا .. جدا .. جدا ..

كأن الله يريد أن يقول : إذا كانت هذه الآيات التي لا تحصى في خلق السماوات والأرض .. وما فيها من عجائب .. لا تكفيكم لتعلموا انى الله لا إله إلا أنا .. فالويل لكم ..
وانتظروا عذابي الأليم !!!

- ١٠٦ -

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ .

« وما يؤمن أكثرهم بالله » في اقرارهم بوجوده تعالى وخالقيته .

« إلاوهم مشركون » به سبحانه .

أى : ما يؤمن أكثرهم إلا في حال اشراكهم .

قيل : هم أهل مكة ، آمنوا وأشركوا ، كانوا يقولون في تليينهم : لييك اللهم لييك ، لييك لاشريك لك ، الاشريكاهو لك ، تملكه ومملك . ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع احدهم يقول : لييك لاشريك لك يقول له : قط قط ، أى يكفيك ذلك ، ولا تزد « الاشريكا » الخ .

وقيل : هم كفار العرب مطلقا أقروا بالخالق الرازق المميت وأشركوا بعبادة الأوثان والأصنام .

وقيل : انهم أهل الكتاب أقروا بالله تعالى وأشركوا به من حيث كفروا بنبية صلى الله تعالى عليه وسلم . أو من حيث عبدوا عزيرا والمسيح عليهما السلام .

وقيل : وأشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا .

وقيل : انهم المرازون بأعمالهم ، والرياء شرك خفي .

وقيل : هم الناظرون إلى الأسباب المعتمدون عليها .

وقيل : هم الذين يطيعون الخلق بمعصية الخالق .

وتد يقال نظرا إلى مفهوم الآية إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقته

مثلا ، وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان .. ومن أولئك عبدة القبور ، والناظرون لها ،

المعتقدون للنفع والضرر من الله تعالى أعلم بحاله فيها .

اشعاعات

هذه .. من أخطر الآيات ..

انها تقرر ناموسا خطيرا جدا ..

وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون !!!

هناك قال .. من قبل .. وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ..

هذه هي التصفية الأولى .. للبشرية .. أكثر البشر كفار ..

وهناك قلة مؤمنة ..

أى أن الاكثرية من البشرية لا يعتقدون بوجود الله .. ولا بفكرة الالهية من

أساسها ..

هذه هي التصفية الأولى ..

ثم تأتي التصفية الثانية ..

تصفية الأقلية المؤمنة من البشرية ..
« وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » !!!
حتى الأقلية .. التي تؤمن .. التي تعتقد بوجود الله .. حتى هذه أكثرها .. هي
الأخرى مشركة !!!

مامعنى هذا ؟ معناه أن التوحيد الصافي .. نادر جدا ..
لا يرتفع إليه .. الاقلية القليلة ..
من أين يقسرب مرض الشرك إلى قلوب المؤمنين بالله ، المعتقدين بوجود إله ؟
من قصور تفكيرهم .. عن ادراك الحق المجرد ؟
يقول لهم الله : اعبدوني .. واتجهوا إلى مباشرة ..
وهم يقولون : بل نعبدك عن طريق أصنام .. أو أوهام .. أو قديسين أو نزعم لك
بنات وبنين !!

وهذا كله قصور في الفهم !!!
آية خطيرة جدا ..
ان المؤمنين أنفسهم .. في حاجة إلى تنظيف إيمانهم .. انها تنذر بالخطر .. خطر تسرب
الشرك إلى القلوب المؤمنة ..

وفي هذه الآية أسرار عميقة جدا ..
فيها أن كل مؤمن يتعرض لداء الشرك باستمرار ..
أى أن قلب المؤمن معرض للاضلال .. دائما ..
وأن القلب في حالة القفلة عن الله .. يكون مشركا بالله ..
وأن الشرك أصناف وألوان .. لا تحصى ..

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْثَةً
وَمَا لَا يَشْعُرُونَ .

«أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله» أى عقوبة تضاهم وتشملهم .
والاستفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد .
والمراد بهذه العقوبة ، ما يعم الدينية ، والأخروية — على ما قيل —
«أوتأتيتهم الساعة بغتة» فجأة من غير سابقة علامة .
«وهم لا يشعرون» باتيانها ، غير مستعدين لها .

اشعاعات

أفأمنوا أن تأتيهم غاشية؟!
الوهية .. تتكلم .. فيأتى كلامها فيه جلال الالهية .. وجلالها .. وقهرتها ..
وجبروتها !

غاشية ؟ شئ يفعل .. يغطيهم .. ويعممهم بعذاب ..
أعوذ برضاك من سخطك .. وبمعافاتك من عقوبتك .. وبك منك ..

قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

« قل » قل لهم يا محمد ..

« هذه سبيلى » هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلى .
« أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ » أَدْعُوا النَّاسَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ ، بِصِفَاتِ كَمَالِهِ ، وَنِعْمَتِ جَلَالِهِ .
وَمَنِ جَلَّتْهَا التَّوْحِيدُ .

« على بصيرة » أى بيان ، وحجة واضحة غير عمياء .

« أنا » أَدْعُوا نَفْسِي إِلَى اللَّهِ .

« وَمَنِ اتَّبَعَنِي » وَاَدْعُوا غَيْرِي ..

أو : أنا أدعو إلى الله على بصيرة .. ومن اتبعنى كذلك ، يدعو إلى الله على بصيرة ..
لأنهم مهتدون بهديي ، متبعون لطريقي ..
« وسبحان الله » وأنزهه سبحانه وتعالى تنزيها من الشركاء .
« وما أنا من المشركين » فى وقت من الأوقات .
وقرأ عبد الله (قل هذا سبيلى) والسبيل تؤنث وقد تذكر .

اشعاعات

فيها الأصول العامة كلها ... للسبيل إلى الله ...
قل ... يا محمد ... بلغ الناس جميعا ...
عن أى شئ ؟
بلغهم : ما هو سبيلى ... ما هو الطريق إلينا ... كيف الوصول إلينا ؟
« هذه سبيلى » ؟ ؟
أيها الناس جميعا ... هذا سبيلى ... هذا هو طريقى ...
الله يتكلم .. الله يبين طريقه !!!
وسيان .. هذه سبيلى .. أى سبيل الله .. أو سبيل رسول الله .. فطريق هذا هو ذاك ..
وذاك هو هذا ...
أدعو إلى الله ... الأصل العام ... فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أنها
تسوق الناس إلى ربهم ... تدعوم إليهم ... تعرفهم ربهم ...
على بصيرة ... الأصل الثانى ... بالحجة .. بالدليل ... ليس الأمر كهنتوية ...
وتعالم .. وإنما بالحجة ..
على بصيرة .. على نور باطنى .. نور النبوة .. على اشعاع الهى ينهر السبيل ..
ويكشف معالم الطريق ..

ليس الأمر مجرد حجج عقلية .. ميتة وإنما على بصيرة .. هناك نور باطنى .. هناك
أنوار النبوة وراء تلك الحجج الظاهرة ..

فكان الدعوة إلى الله .. فى حاجة إلى أمرين ..
حجة ظاهرة .. حجة عقلية ..

ونور باطن .. نور النبوة .. ونور من اهتدى بهدى النبوة ..

وكلاهما لازم .. ومطلوب .. لكل من دعا إلى الله ..

أنا .. الأصل الثالث .. أن أكون « أنا » أول من ادعوه إلى الله .. أن أطبق على
نفسى ما أدعو اليه الناس أولا .. أن أكون أنا صورة صادقة لما أدعوم إليه .. أن أكون
إماما لهم .. قدوة لهم ..

ومن اتبعنى .. الأصل الرابع .. وأطالب من اتبعنى .. والتف حولى .. أن يكون
كذلك صورة صحيحة .. وتمثيلا صحيحا للدعوة ..

أن يكونوا نماذج صادقة للدعوة الالهية ..

وقد كان صلى الله عليه وسلم .. الأسوة الحسنة ..

وكان أصحابه .. الذين اتبعوه .. النماذج المتحركة لتلك الدعوة .. دعوة الله ..

وسبحان الله .. الأصل الخامس ..

وأتره الله تنزيها .. وأطالب الذين اتبعونى أن ينزهوا الله تنزيها تاما ..

أى أن من شروط نجاح الدعوة الالهية أن يكون الداعى إليها ، وأتباعه .. فى القمة
من معرفة الله تعالى .. معرفة تؤهلهم لتنزيهه تعالى عن أى دم من تلك الأوهام ، التى تنتشر
فى عقول الناس ..

وما أنا من المشركين .. الأصل السادس .. استحالة أن يكون الرسول صلى الله عليه
وسلم فى وقت من الأوقات مشركا ..

وهذا مقامه وحده .. إنه نور دائم فى أعلى علالى النور .. فهناك استحالة الاظلام ..
هناك صحو دائم .. هناك يقظة دائمة لقلبه ..

ومن الحتم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .. لأنه امام المؤمنين جميعا إلى ربهم .. ورائد كل من سلك السبيل إلى الله ..
وكذلك كل من دعا إلى الله .. ينبغي أن يكون في أعلى مقام استطاع .. من التوحيد ..
وكما كان نصيبه من التوحيد أعلى .. كلما كان علمه بالله أرفع .. وكانت طاقته أقدر على جذب الناس إلى تلك المستويات العلى ..
وهكذا .. هناك ست دعائم للسبيل ..
الدعوة إلى الله .. التوجيه إلى الله ..
على بصيرة .. بالحجة العقلية ، والنور الباطن ..
أنا .. أدعو نفسي أولا إلى الله .. وإلى تطبيق أوامر الله ..
ومن اتبعني .. ثم ادعوا غيري .. وادعوا من اتبعني إلى تنفيذ أوامر الله ..
وأن أكون أنا .. ومن اتبعني .. داعين إلى الله دائما .. في إلحاح .. وزحف عام ..
لايجاد وعي إيماني جماهيري عام .. لايجاد دعوة عامة في الناس ..
وسبحان الله .. ونزهه الله تنزيها عظيما .. نكون دعاة تنزيه ..
وماأنا من المشركين .. وأن نكون في القمة من التوحيد ..
والأشعاع الذي يؤخذ من الآية .. أن سبيل الله مفتوح دائما للجميع إذا قامت تلك الأصول الست في أى نفس من النفوس ..
هذه سبيلي ؟
كأن الله يعلن : هذه سبيلي أيها الناس جميعا .. وهذه سبيل رسولى .
١ - تعرفوا على .. (ادعوا إلى الله) اعرفوا أن لكم ربا .. بدلا من أن تولوا ظهوركم .. وتعرضوا عنى .. اقبلوا على ..
٢ - على بصيرة .. وإن كنتم تريدون دليلا على وجودى .. فهناك في كل شيء حولكم دليل على وجودى ..

ولكنكم لا تبصرون ذلك .. ما لم يكن لكم نور في قلوبكم .. يكشف لكم تلك الحقائق .

٣ - أنا .. ابدأ بنفسك أولا .

٤ - ومن اتبعني .. ثم ادع غيرك بعد ذلك .. يكن سهلا أن يستجيب لك .. مادام يراك صادقا فيما تدعو إليه .

٥ - وسبحان الله .. كونوا منزهين لله .. اعلی مستويات التنزيه حتى تستطيعوا أن تشدوا أتباه غيركم .. وترفعوا من مستوى تنزيههم .

٦ - وما أنا من المشركين .. كونوا في أعلى مقامات التوحيد .. حتى تستطيعوا أن تقودوا غيركم إلينا .. وتسيروا أمامهم .. في طريقنا .
وفيها .. وفيها .. وفيها ..

- ١٠٩ -

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا » رد قولهم : (لو شاء ربك لأنزل ملائكة) ونفى له

وقيل : المراد نفى استنباء النساء .

« نوحى إليهم » كما أوحينا إليك .

وقرى : يُوحى .

« من أهل القرى » من سكان المدن .

لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البادية .

قيل : ما نظم أن الله تعالى أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى .

أى : من سكان المدن .

وعن الحسن : لم يبعث رسول من أهل البادية ، ولا من النساء ، ولا من الجن .

« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » أفلم ينتشروا في هذه الأرض .. في بلادها .. فينظروا كيف كان نهاية الذين مضوا من قبلهم ، من المكذبين بالرسل والآيات ، من قوم نوح ، وقوم لوط ، وقوم صالح .. وسائر من عذبه الله تعالى فيحذروا تكذيبك ؟

أو : كيف كان نهاية الذين من قبلهم عموما من المشغوفين بالدنيا ، المتهاككين عليها فيقلعوا ، ويكفوا عن حبها ؟

والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

« ولدار الآخرة » ولدار الحياة الآخرة .

« خير للذين اتقوا » الشرك والمعاصي .

« أفلا تعقلون » فتستمعوا عقولكم ، لتعرفوا خيرية دار الآخرة ، فتتوسلوا إليها

بالاتقاء ؟

أو : قل لم مخاطبا : أفلا تعقلون ؟

فالخطاب على ظاهره .

اشعاعات

فيها نواميس عديدة ..

الناموس الأول .. وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا .. حصر الرسالة في الرجال ..
وضرورة كون الرسول بشرا من الجنس الأدنى .. ليستطيع أن يتفاعل مع جنسه .. ويتفاهم معهم .. ويفهموا عنه .. وفيها نقي ألوهية عيسى — عليه السلام — وإشارة إلى ذلك .. لأنه رجل ككل الرسل .. وليس بإله ..

الناموس الثاني .. نوحى إليهم .. ضرورة الإيحاء إلى الرسل .. وأن الإيحاء إليهم

شرط في كونهم رسلا .. لأن مجرد كونهم رجال لا يفيد شيئا .. فما أكثر الرجال .. ولكن
إيماء الله إليهم .. هو الذي يرفعهم إلى مقام الرسالة ..
كما أن كلمة « رجالا » .. مع تكبيرها .. يشير إلى كون أولئك الرسل .. في أعلى
مقامات الرجولة .. وكألاها ..

أى أن شخصيات الرسل .. هي اكمل وأجمل .. شخصيات بشرية تتصور ..
الناموس الثالث .. من أهل القرى .. من سكان المدن .. لأن عقلية ساكن المدينة
تدور في دائرة أوسع .. وتفكيره يكون أشمل واكمل .. من البعيد عن العمران .. كما أن
الرجل الإجتماعى اقدر على تفهم رغبات الجماهير .. والتعرف إليهم .. والتفاعل معها ..
الناموس الرابع .. كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ .. كيف كان نهاية جميع من
مضوا قبلنا ؟

لا شيء .. لا وجود لهم الآن !! كلهم ذهبوا .. وفنوا !!!
فكيف لانحذر .. أو كيف نفتر ببقائنا المؤقت .. ولا نهتز لفنائنا القادم حتما ؟!
الناموس الخامس .. ولدار الآخرة خير للذين اتقوا .. حتمية خيرية الحياة في الدار
الآخرة بالنسبة لمن اتقى في الحياة الدنيا ..
الناموس السادس .. أفلا تعقلون ؟ إن من يكذب بتلك النواميس .. أو لا يتفكر
فيها .. أو لا يفيد منها .. كان مجنونا .. أو ناقص العقل ..

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنَّا فَتُجَىٰ
مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

« حتى إذا استيسس الرسل » أى لا يفرغ منهم تماميهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء .. فإن
من قبلهم قد أمهلوا حتى يئس الرسل من النصر عليهم في الدنيا ، أو من إيمانهم ، لانهما كهم
في الكفر ، وتماميهم في الطغيان من غير وازع ..

« وظنوا أنهم قد كذبوا » ..

أخرج البخارى، والنسائى، وغيرهما من طريق عروة، أنه سأل عائشة - رضى الله تعالى عنها - عن هذه الآية .

قال : قلت : أ كذبوا أم كذبوا ؟

« قالت عائشة : بل كُذِّبوا (يعنى بالتشديد)

« قلت : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم ، فما هو بالظن

« قالت : أجل لعمري ، لقد استيقنوا بذلك

« فقلت : لعله (وظنوا أنهم قد كُذِّبوا) مخففة ؟

« قالت : معاذ الله تعالى ، لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها .

« قلت : فما هذه الآية ؟

« قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم ، وطال عليهم البلاء ، واستأخر

عنهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم ، جاء نصر الله تعالى ، عند ذلك . »

« جاءهم نصرنا » فجأة .. وقع النصر ..

« فنجى من نشاء » انجاء وهم الرسل والمؤمنون بهم .

أى : فننجى من نشاء ...

وإنما لم يعينوا للإشارة إلى أنهم الذين يسأهلون أن يشاء نجاتهم ، ولا يشاركونهم فيه غيرهم .

« ولا يرد بأسنا » عذابنا .

« عن القوم المجرمين » إذا نزل بهم .

ولا ينفى ما فى الجملة من التهديد والوعيد .

« يروى أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال : يا أبا عبد الله آية قد بلغت منى كل مبلغ (حتى إذا اتى أس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فإن الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا (مثقلة) أو تظن أنهم قد كذبوا (مخففة) ! »
 « فقال سعيد : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل كذبهم ، جاءهم نصرنا ، فقام مسلم إليه فاعتقه .
 « وقال : فرج الله تعالى عنك كما فرجت عنى . »

اشعاعات

هذه الآية ... قطعة من النور ... تتلأأ ... فى اشعاع عجيب !!!

فى ناموس إلهى خالد ...

حتى إذا استيأس الرسل .. حتى إذا يش الرسل بأسا تاما .. من أن يؤمن بهم أحد إلا من قد آمن ... « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ..
 هناك يأمن تام من الرسل ... أن ينضم إلى دعوتهم أحد جديد ...
 لقد بلغت الدعوة أقصى ما يمكن أن تبلغه من قلوب الناس ... ولا يرجى بعد ذلك من جديد ...

هذه مرحلة ..

المرحلة الثانية ... وظنوا أنهم قد كذبوا ... وظن الرسل .. أنهم قد كذبوا نهائيا من الناس ... فلم يعد من الناس من أحد إلا ويكذبهم فيما يزعمون من الدعوة إلى إله واحد لا شريك له ..

هناك إذا ... يأمن تام من الرسل أن ينضم إليهم من أحد ...

وهناك اعتقاد من الرسل .. أن الذين كفروا بهم .. قد جحدوا نهائيا على تكذيبهم ..
 وتكذيب ما يدعون إليه ..

فى ذلك الظلام الشديد ...

في هذا اليأس من الخلق ... والاعتقاد أن الناس جميعا يصرون على تكذيبهم ...
 هناك إصرار على الكفر ... وإصرار على التكذيب ...
 هناك .. جاءهم نصرنا .. بغتة .. فجأة .. يقع النصر .. للرسول .. بعد ذلك كله ..
 هذا هو الناموس الإلهي ... الأول في الآيات ..
 أما الناموس الثاني ... ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ...
 هناك استحالة أن يمنع عذاب الله عن القوم الذين استمروا على الإجرام ...
 ولا يرد ؟ ... هناك تجلّ بالقهر ... باليأس ... بالقوة ... على كل من استمر على
 الاجرام ..
 لماذا ؟ لأن الإنسان الذي اعتاد الإجرام .. واستمر فيه .. ولا يريد أن يرجع عنه ...
 إنسان مظلم تماما ... بعيد جدا عن الله ...
 مثل هذا ... لا بد أن يذوق بأس الله ... ويعاني آلام عذابه ... لعله يفيق ...
 وهذا الناموس من أخطر النواميس السارية في الناس وهم لا يشعرون !!
 ما من مجرم ... مستمر في إجرامه ... إلا وبأس الله له بالمرصاد ... لا بد من
 قهره ... وأخذه ...
 أما في الباطن ... فبأس الله متسلط عليهم دائما ... ويبدو ذلك مما هم فيه من ضيق
 نفسي وعذاب روحي ...

وأما في الظاهر ... فيمهلون قليلا ... ثم يؤخذون بشتى القوارع بعد ذلك ...
 وأما في الآخرة ... فلهم عذاب عظيم ...

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
 وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

« لقد كان في قصصهم عبرة » لقد كان في قصص الأنبياء شيء يعتبر به .

« لأولى الأبواب » لأهل العقول السليمة ، الخالصة من الشوائب .

« ما كان » أي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة ...

« حديثا يفترى » أي يختلق

« ولكن تصديق الذي بين يديه » من الكتب السماوية ..

« وتفصيل » وتبيين

« كل شيء » مما يحتاج إليه في الدين .

إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بوسط

ومن الناس من حل « كل » على الاستغراق من غير تخصيص ، ذاهبا إلى أن في

القرآن هيين كل شيء من أمور الدين والدنيا ، وغير ذلك ، مما شاء الله تعالى ، ولكن

مراتب التبيين متفاوتة ، حسب تفاوت ذوى العلم !

« وهدى » من الضلالة

« ورحمة » ينال بها خير الدارين

« لقوم يؤمنون » يصدقون تصديقا معتادا به

وخصوا بالذكر لأنهم المتفهمون بذلك ...

تلك هي قصة يوسف — عليه السلام — كما أنزلت في كتاب الله تعالى الكريم ..

لم أشأ أن أقدم عليها أقاويل البشر .. تأدبا بقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ،

لا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ . ورسوله ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يا أيها الذين آمنوا ،

لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

لبعض ، أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . »

ونعوذ بالله .. من حبوط العمل .. ونعوذ بالله أن نرفع أصواتنا فوق صوت النبي

صلى الله عليه وسلم ..

فإدام هناك وحى من السماء، نزل يقض علينا القصة .. فلنتقهقر إلى وراء .. ولتسمع ..
ولتصت جميعا إلى وحى السماء ..

ذلكم بأنه يوسف .. نبى كريم من أنبياء الله تعالى ..
فاذا تكلم الله تعالى عن يوسف .. وجب علينا جميعا .. أن نخشع .. ونسمع ..
ونصت ..

فاذا ما فرغنا من كلام الله .. فى شأن يوسف ..
فلنسمع إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فى شأنه عليه السلام ..
« عن أبى هريرة — رضى الله عنه —
« قيل : يا رسول الله ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟
« قال : أَتَقَامُ
« فقالوا : ليس عن هذا نسألكَ
« قال : فيوسفُ ، نبىُّ الله ، ابنُ نبىِّ الله ، ابنِ نبىِّ الله ، ابنِ خليلِ الله
« قالوا : ليسَ عن هذا نسألكَ
« قال : فَعَنْ معادينِ العربِ تسألونَ ؟
« خيارهم فى الجاهليةِ ، خيارهم فى الإسلامِ .
« إذا قَبِهُوا »

[البخارى]

ومعنى الكرم هنا الشرف ..
فكانهم يسألون : من أشرف الناس ؟
وكان الجواب كان : أشرف الناس .. يوسف !!
فانظر تلك العظمة اليوسفية .. وانظر مستواها الأعلى !!
و « عن عبدِ الله بنِ عمرَ — رضى الله عنهما — « عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم قال :
« الكريمُ ، ابنُ الكريمِ ، ابنِ الكريمِ ، ابنِ الكريمِ .
« يوسفُ ، بنُ يعقوبَ ، بنِ إسحاقَ ، بنِ إبراهيمَ » .
[البخارى]

كانه يراد أن يقال : الشريف ، ابن الشريف ، ابن الشريف !!
« عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :
« قيل : يا رسول الله ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟
« قال : أَهْمُ »
« قالوا : ليسَ عن هذا نسألكَ
« قال : فيوسف ، نبي الله . »

[البخاري]

فاأشرف يوسف ...
ثم ما أشرف يوسف !!!

شخصیتِ یوسفؑ

باسمك اللهم ..

أدخل إلى تلك الساحة المقدسة .. ساحه نبيك الكريم .. يوسف .. عليه السلام .
ذلك الجوهر .. المكنون .. الذى لا يعلم حقيقة مكنوناته إلا أنت .. سبحانه .
فن هو هذا « يوسف » .. ذلك الذى تلاكأ .. فى هذه الحياة الدنيا .. ثم انتقل إليك ،

ليتلاً فى الحياة الآخرة ١٩

إنه زهرة .. من أزاهير .. شجرة النور .. الشجرة الابراهيمية ..
فن هو هذا « إبراهيم » .. الذى كان يوسف .. احدى زهراته .. زهرات النور ١٩

إبراهيم ١١٩

إبراهيم الذى وفى ١٩

إبراهيم الذى جاء ربه .. بقلب سليم ..

إبراهيم الذى أسلم لله رب العالمين ..

إبراهيم الذى هذا بعض شأنه .. جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ..

فانتقل الميراث .. منه إلى إسحاق .. ومنه إلى يعقوب .. ومنه إلى يوسف ..

فهو حقاً .. الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم !!

فما هو هذا الميراث .. الذى ورث يوسف عن إبراهيم ١٩

ماذا ورث يوسف عن إبراهيم ١٩

ما هى هذه الموجات .. موجات النور .. التى تموجت من قلب إبراهيم .. إلى قلب

يوسف ؟

أعلاها .. وأغلاها .. وأرقاها .. ماسجله يوسف بنفسه ..

قال يوسف : « وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ، إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ

نُشْرِكَ بِاللَّهِ ، مِنْ شَيْءٍ .. »

ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ١٩
هذا هو الميراث ... في أعلى مستويات الميراث ... في أعلى مقامات النور ...

لأنه مِلَّةُ إبراهيم ...

فأهي مِلَّةُ إبراهيم ١٩

هي الخيفية ... « وَاتَّسَعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً ... »

فأهي هذه الخيفية ١٩

هي الاتجاه ... اتجاه القلب مباشرة إلى الله ...

هي إسقاط الأغيار ... والتوجه المباشر إليه سبحانه ...

ولقد كان إبراهيم إمام هذه الخيفية ... فكان بذلك إمام الناس جميعاً ...

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » ...

قال إبراهيم « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » ١٩

قال له سبحانه : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » !!

هذا هو الميراث ... في أعلا مقاماته ...

وهذا ما سجله يوسف ... بنفسه ...

لقد تموجت موجات النور ... من قلب إبراهيم ، إلى قلب اسحاق ... إلى قلب

يعقوب ... إلى قلب يوسف ...

ذلك هو الميراث ... وإن الأنبياء لا يورثون درهما ولا ديناراً ...

أصول كريمة ١٩

كانت سارة ... زوج إبراهيم ... أجل نساء زمانها ...

ومن سارة هذه ... كان اسحاق ... ومن اسحاق كان يعقوب ... ومن يعقوب

كان يوسف ...

فانتقل جمال سارة الباهر ... إلى حفيدها يوسف ...

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ..
كانت راشيل .. زوجة يعقوب .. الثانية .. أجمل نساء أهلها .. كانت مثالا
فذا من الجمال .. وراشيل هذه .. هي أم يوسف ..
فورث يوسف عن أمه جمالها .. كما ورث عن جدته سارة جمالها ..
فاجتمع ليوسف جمال إلى جمال .. وورث يوسف تلك الصفات الممتازة ..
فولد يوسف طفلا .. ولكن الله جعل فيه من المكنونات عجبا !!
مكنون في قلبه .. أنوار ابراهيم خليل الله .. وأنوار إسحاق نبي الله .. وأنوار
يعقوب نبي الله ..

وماجت تلك الأنوار باذن ربها موجا .. حتى استقرت في قلب يوسف ..
ومكنون في تركيب صورته الظاهرة .. الجمال الابراهيمي .. والجمال الاسحاقى ..
والجمال اليعقوبى ..

واقدر كان إبراهيم جميلا .. وكان إسحاق جميلا .. وكان يعقوب جميلا ..
فورث يوسف عن آبائه .. تلك السلسلة من الجمال الموروث ..
هذا من جهة أصول الرجال ..
وأما من جهة أصول النساء .. فقد ورث عن سارة صفات جمالها .. ثم ورث
عن أمه راشيل صفات جمالها ..

فيوسف بلغ الغاية من كرم الأصول ..
كريم في الباطن .. أمواج النور .. مكنونة في قلبه ..
كريم الظاهر .. صفات الجمال .. ظاهرة في صورته ..
فجاءت شخصيته آية من آيات الله تعالى في خلقه ..
ثم شاء الله تعالى .. أن يولد ذلك الطفل ..
ليظهر في عالم الشهادة .. حقائق معدنه .. وخفايا .. مكنوناته ..
فلنتنظر التجربة .. تجربة يوسف ..

يعقوب . في انتظار .. الميراث ١٩

آنس يعقوب .. نبي الله .. من أبنائه ظلاما ..
ولم يرفيهم أجمعين .. مايؤهلهم .. لأن يختار الله منهم .. من يورثه .. ميراث
النبوة .. ويؤتيه أنوارها ..
والأبياء أوتوا نورا .. يكشف لهم حقائق النفوس ..
وهؤلاء أبنائه عسرا .. وماترى فيهم أهلا للنبوة أحدا !!
وكان يعقوب لذلك قلقا .. وطال قلقه ..
ترى هل تنتقل النبوة من أبنائه .. إلى فرع آخر من آل إسحاق ١٩
وطال انتظاره .. وكبرت سنه .. ولاشئ ..
وكانت راشيل عقيما .. لا تلد .. بينما أختها تلد تباعا ..
وأخيرا ... وبعد سنين طويلة ... وبعد أن ولد ليعقوب من غيرها عسرا ...
أذن الله لراشيل أن تلد .. فولدت يوسف ..
في آخر زمانها ..
فكان ميلاده لأمه سرورا .. ولأبيه الشيخ قرة عين ..

لماذا أحب يعقوب .. يوسف بالذات ١٩

الذين أوتوا الجهل يقولون : ولماذا خص يعقوب .. يوسف .. بحبه .. فأحدث في
أخوته فتنة ١٩
لقد أحب يعقوب ... يوسف ... لأنه اكتشف في ثناياه ... نور الميراث ...
ميراث النبوة ...
اكتشفه بما آتاه الله من نور في قلبه .. يكشف له ماشاء من القلوب ..
لقد رأى يعقوب بعيني قلبه .. أن ذلك الطفل المسمى يوسف .. قد أوتى ما لم يؤت
الله أحدا من أبنائه من قبله ..

أوتى أنوار إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ورآها تتلألأ في قلبه ..
وقلب النبي .. يرى مالا يراه الناس ..
ثم رأى في صورته .. ذلك الجبال الرفيع الذى قسمه الله ليوسف .. واورثه إياه من
سارة وراشيل ..

فكان الطفل آية ..

آية في الباطن ..

وآية في الظاهر ..

فاستمكن حب يوسف .. من فؤاد يعقوب ..

لأنه أصغر إخوته كما يظن الجاهلون ..

كلا .. وإنما لأنه نبي .. لأنه الوارث الذى طال انتظار يعقوب لحفيته ..

فلما جاءه .. سر سرورا .. وأحبه حب النبي للنبي ..

والأنبياء هم الذين يفقهون الأنبياء ..

وذلك هو الحب اللائق بمقام نبي الله يعقوب ..

وذلك هو المستوى الرفيع .. الذى غاب عن الأكثرين فقالوا : ولم أحب يعقوب

يوسف من دون بنيه !؟

يعقوب .. يعلن إلى الطفل نبوته !؟

وبرهان ذلك .. أن يوسف .. وقد كان ابن ثلاث سنين ..

حين قص على أبيه رؤياه : « يَا أَبَتِ لِمَى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »

قصها يوسف .. فى براءة الطفولة .. لا يدرى عنها شيئاً

فإذا كان جواب النبي يعقوب !؟

قال : « يَا بَنَى ، لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنْ

الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وكذلك يَحْتَسِبُكَ رَبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ ، وَيُمِثُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ؛ وعلى آلِ يَعْقُوبَ ، كما أُنْثِمَا على أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »

أرأيت ١١؟ هذا الحوار بين الطفل .. وأبيه .. يؤكد أن يعقوب قد اكتشف النبوة
في يوسف .. وأنه كان يحبه لتلك النبوة ..

طفل يقص على أبيه رؤيا ..

فتشعشت أنوار النبوة من قلب يعقوب ..

ورأى فوراً .. ما لا يراه الناس ،

ورأى أن الرؤيا حق .. وأن يوسف سيكون له شأن يذكر .. شأن عظيم .. وأن شهود

طفل في الثالثة .. مثل تلك الرؤيا الحكيمة .. لا يتأتى إلا من نبي ..

ولذلك سارع يعقوب إلى ابنه الصغير يحذره ..

« يَا بَنِيَّ ، لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، ..

إنه يخاف عليه .. لأنه حامل الميراث .. ميراث النبوة ..

ثم يعلن يعقوب .. إلى الطفل : « وكذلك يحْتَسِبُكَ رَبُّكَ » ..

يختارك ربك لنفسه .. يحملك نبيا ..

والنبوة تجربة يعيشها يعقوب .. فهو يعلم بداياتها ونهاياتها .. وكيف تقع .. وكيف

تكون .. وما هي أحاسيسها وانفعالاتها .. وعطاءاتها ١؟

إن إرادة يوسف .. وهو في الثالثة .. مثل هذه الرؤيا الحكيمة ..

لا تكون إلا لنبي .

إلا أن النبوة تشعشت كشوفاتها .. كشوفات الغيب .. من يعقوب ...

حين قال : « وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ »

من أين ليعقوب هذا الذي سوف يكون ليوسف مستقبلاً ١؟

من عطاء النبوة .. « وَإِنَّهُ لَنَوْعٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ » ..

ليس هذا وحده هو المعجز ... وإنما من المعجزات قوله : « ويتم نعمته عليك » .
 ويتم لك يا أيها الصغير ... النبوة ... لأن النبوة هي النعمة الكبرى ..
 ومعجزة أخرى ليعقوب : « وعلى آل يعقوب » .
 ويتم نعمته على وعلى أمك راشيل .. بأن اختارك نبيا ..
 وفي ذلك اطمئنان كبير ليعقوب .. أن النبوة لم تنقل عن بيته .. وإنما أذن الله أن
 تمسك في أحد أبنائه ..

وأخرى : « كما أتمها على أبوك من قبل إبراهيم وإسحاق .. »
 كما أتم نعمته على جدك إسحاق .. وجعله نبيا ..
 وكما أتمها على جدك إبراهيم وجعله شيخ الأنبياء !!!
 نور .. من نور .. من نور .. من نور .. وذلك شيء يسير .. من نبي الله يعقوب !!
 ثم يقرر يعقوب .. أن الأمر يسرى ويجرى على مقتضى الاستعداد ..
 « إن ربك عليم حكيم » .. يعلم استعدادك يا يوسف للنبوة .. حكيم يضع الأمور
 مواضعها !!

هذا هو البرهان الأقوى .. من كتاب الله تعالى ..
 ما كان يعقوب ليحب يوسف .. لجرد أنه أصغر أبنائه ..
 كلا .. فللأنبياء مقامات على .. فوق تلك الأحاسيس ...
 إنما أحبه لأنه نبي ...
 لأنه طال انتظاره .. ليرث عنه نور النبوة ..
 وها قد انشق وجوده ... فكان حبه حب نبي ... ينتظر النبي ... الذي يتسلم منه
 الشعلة .. شعلة النور الإلهي المقدس !!!

بدء الغربة ١٩

الغربة عن الخلق ... ضريبة ... حتمية ... على كل نبي ...

ذلك أن الله تعالى يريد لهم لنفسه ... فمن الحزم أن يفصلهم عن خلقه ...
وقد كانت الغربة .. في حياة إبراهيم .. متقررة من أول يوم ...
اغترب إبراهيم عن أبيه ... حين عائلته بيطلان أصنامهم ...
فطرده أبوه .. فاغترب إبراهيم عن والده !!!
ثم اغترب عن بني وطنه جميعا .. حين أعلنهم بيطلان أصنامهم .. فأججوا له نارا !!
وهاجر إبراهيم عن الخلق أجمعين .. ليس منهم ولا هم منه ..
وأعلنها الخليل : « إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ... »
وانفصل إبراهيم انفصالا تاما عن الخلق ..
ليذهب إلى ربه ... مسقطا للأغيار اسقاطا تاما ..
وتلك هي الخيفية في أعلى علاليها !!
فكيف كانت الغربة في حياة يوسف ؟
أعجب وأغرب .. وأشق وأدق ؟
اجتمع جميع إخوته عليه !!
عشر من الأشناب .. يكيدون لطفل .. طيب .. كريم .. لا يملك من أمره شيئا !!
وأقواه في الحب .. ليهلك ...
فالتقطه .. ربه .. ليحيا !!
واغترب يوسف عن إخوته .. وعن أمه راشيل .. وعن أبيه .. الذي يفقه حقيقته ..
وعن وطنه ..
وعن حريته .. حين باعوه .. بضاعة .. فصار مملوكا !
وقد يوسف كل شيء ..
قد أباه .. فقد أمه .. فقد إخوته .. فقد وطنه .. فقد حريته .. فقد كل شيء ..
ليتولاه هو ..
هو سبحانه وحده !!

فانظر كيف يخرجهم ربهم .. وكيف يصنعهم .. وكيف يقطع الأسباب .. ليكون هو
وحده .. وليهم ومولاهم ؟

سبحانك .. إنك أنت العليم الحكيم !!

الفتنة الكبرى ؟

وآتاه جمال الصورة ..

فكان أجل أهل زمانه ...

جالا .. دفع سيدات الطبقة الراقية .. أن يراودنه عن نفسه ..

ليس فقط امرأة العزيز ... هي التي راودته .. عن نفسه ...

وإنما كلهن .. يراودنه ..

تريد كل منهن .. أن تستمتع بسهرة .. أو رشفة .. أو لحظات مع هذا الـ « يوسف » .

فتنة .. موج موج البحر .. من حوله !!

انهن لا يرين فيه .. إلا شابا جميلا .. مثيرا ..

شابا تترامى الجميلات .. بين يديه .. وتتمنى قبلات شفتيه !!

ونادى يوسف : « رب ، السجن أحبُّ إليَّ ، مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عنيَّ

كيدهنَّ ، أصبُ إليهنَّ ، وأكن من الجاهلين » !!

إنه يشق الظلمات ... التي بعضها فوق بعض .. شقا ..

يشقها .. ويستغيث .. بربه : رَبِّ !

فإذا كان من ربه ؟

« فاستجاب له ربه .. »

فورا .. وقعت الاستجابة ..

إنه صراخ قلب منير .. يستصرخ ربه .. لينقذه ..

فكان حتما ... أن يستجيب ... سبحانه ...

كيف كانت الاستجابة ؟

« فصرّف عنه كيدهن » ..

فتحقق لديهن .. أن يوسف لا ينال .. فيأسن منه ..
ثم حال بينه وبين الخلق أجمعين .. فكان السجن ..
وتلك غربة أخرى .. يغتر بها يوسف ...

ويوسف في اجتيازه .. لتلك الفتنة .. ففنة الجنس ..
وهو يملك أدواتها .. ودواعيها .. وأسبابها ..

يعتبر أعظم إنسان في عصره .. بل في العصور جميعا ..
إلا أن يكون نبي أعظم منه صبورا ... وأفضل مقاما ...

جمال .. شباب .. نعيم .. ظروف مفتحة الأبواب ..

إناث كلهن نعمة .. واغراء .. وجمال .. ودلال ..

يرادونه بكل مافي استطاعة الأناث .. أن يراودن به الرجال ...

وهو يستعصم .. ويعلو .. ويأبى ...

وكلا استعصم .. وأبى ... ازداد نورا ... وازداد عند ربه علوا عظيما ...

وليست عظمة يوسف .. أنه استعصم من امرأة العزيز وحدها ..

وإنما أنه استعصم من النساء .. اللاتي عرضن أنفسهن عليه عرضا ..

وانظر إلى شاب ... تترامى عليه ... نساء القصور ... وبنات النعيم ... وهو يفر

منهن فرارا ...

فكيف كانت تلك الشخصية .. وكيف كان سموها .. وكيف كان لألأوها ؟ ..

آلام الاتهام الباطل !

وأدخلوه السجن .. متهما في امرأة العزيز .. وغيرها من النساء .

يوسف .. النور الكريم .. يتهم بالباطل ..

بل ويعاقب بالسجن .. على أنه مجرم أثيم !!

وذلك شيء ليس يسيرا ..

وكما كانت النفس طاهرة .. كلما كان احساسها بآلام الإتهام الباطل أكبر ..
فلو أنك أدخلت مجرماً إلى السجن .. لم يتألم .. مثل ما يتألم .. رجل برىء .. أدخل
السجن باطلا وزورا !!

فكيف .. ويوسف .. وراء البراءة .. ووراء الظنون ؟!
وتخرج يوسف .. آلامها .. وعلم أن الحياة تحوى أعاجيب !!
وأن الإجرام قد يصل بالجرمين .. حدا .. يهتمون فيه البراءة .. ويسجنون فيه الطاهرين !!
ونجح يوسف في ذلك الامتحان .. وازدادت شخصيته صفاء على صفاء ..
وكان أعجب ماسجله من نجاح أنه حول السجن ازهيب المظلم .. إلى جنة .. تمتلئ
بألوار التوحيد !!

يوسف .. يتلألا ..

في مقام الشكر .. وهو في بلاء السجن !!

عجائب هؤلاء الأنبياء .. لا تقف !!

فقد يطالب المؤمن أن يكون على البلاء صابرا .. ويحمد ذلك منه ..

ولكن الأنبياء دائما فوق ذلك المقام ..

إنهم يتلألون في مقامات الشكر .. وهم في آلام البلايا والرزايا !!

ومقام الشكر أعلى .. من مقام الصبر ..

لأن كل شاكر صابر ..

وليس كل صابر شاكر ..

والذين يصعدون إلى مقامات الشكر .. يحوزون .. في صعودهم .. مقامات الصبر

جميعا ..

هنالك .. في أعلى مقامات الشكر .. تجد الأنبياء .. يتسابقون !!

في السجن .. رأى الفتيان .. مارأيا ..

وقصاً عليه ماقصاً ..

فآخر يوسف عنهما تعبير مارأيا ..

ودخل بهما إلى الدعوة !

فكان مما قال لها : « وَاتَّبَعَتْ مَلَآءَآءِى ، إِبرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللّهِ مِنْ شَيْءٍ ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا ، وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . » !!

انظر .. السجن يتحول إلى جنة .. جنة توحيد !!

كان يوسف في أتم الحرية .. ينتقل من الأرض حيث يشاء .. داعياً إلى ربه !!
إلا أن هذا شيء .. وما نحن بسبيله شيء آخر ..

أين مقام الشكر الذى يتلأأ فيه يوسف وهو في السجن !؟

مكونون في قوله : « ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا ، وَعَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

الناسِ لَا يَشْكُرُونَ ، » !!

إن يوسف يرى .. ويوقن .. أن الله أعطاه وآبأه .. أعظم نعمة .. وتفضل عليه

أعظم الفضل ..

أن آتاه وآبأه .. الحنيفية .. الاتجاه المباشر .. إلى إله واحد .. لاشريك له ..

لأنه بسبح في أعلى مقامات الشكر .. « ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا » .

ثم يقرر أن أعظم الفضل ، أن يؤتى الله أحد الناس تلك النعمة « وعلى الناس » ..

ثم يطلق ناموساً خالداً « وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » .

وهكذا .. ترى يوسف .. شاكراً .. في أعلى مقامات الشكر ..

وهو في السجن .. في ظلمات السجون !!

وتلك مقاماتهم العلى ..

يكونون في البلايا .. شاكرين ..

بينما أقسى طاقات عباد الله الصالحين أن يكونوا في البلايا صابرين !!

رأى الأسباب .. فكان العقاب ؟!

وأخرى .. من شئونهم .. أعلى .. وأعلى .. وأرقى ..
حين أبصرت عين قلبه .. ظلام الأسباب .. ابصارا خاطفا ..
فعاقبه من أجلها عقابا عظيما !!
وكذلك يريهم .. ويؤدبهم .. ليستخلصهم لنفسه ..
فما الأقصوة ؟!

« وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما ، اذ كرني عند ربك ، فأنساه الشيطان ، ذكرَ
ربه ، فلبث في السجن بضع سنين . » !!

هل هذه تستوجب حكما ، بالبقاء في السجن سبع سنين ؟!
نعم .. نعم .. لو كانت من غير يوسف .. ماعوقب عليها ..
ولكن .. منه هو .. المؤهل لمقام النبوة ..
المستصفي لله وحده ..

منه هو تستوجب المؤاخذة !!

رجل سجين .. رأى سجيناً زميلاً له في السجن .. يفرج عنه .. ويعود إلى القصر
الملكي ..

فتحرك لسانه بكلمة طبيعية « اذ كرني عند ربك » ..
اشرح للملك أني مظلوم .. لينظر في أمري !!
شيء طبيعي .. مطلوب شرعا .. للدفاع عن النفس !!
ذلك مستوى العموم .. ولكن مستوهم .. أولئك الأنبياء .. وراء ذلك ..
مستوهم .. لأسباب ..

إسلام كل .. له وحده .. سبحانه ..

فإن أساموا له .. تولاهم هو .. وكفاهم ما أهمهم !!

ولقد أخذ يوسف في الأسباب .. وطلب من الناجي أن يذكره عند الملك ..
فهل حدث !!؟

كلا.. نسي المفرج عنه .. ولم يذكر مطلب يوسف .. إلا بعد بضع سنين !
فانظر .. كم يتحملون .. ويحملون .. أولئك الأنبياء ..
يحملون ما إن وضع على الجبال لذابت !!

مكنونات .. الشخصية .. تتشعشع !!؟

سألوه تعبير رؤيا الملك .. فعبّرها لهم .. كأنها لاشيء .. بالنسبة إلى بحار علمه !!
وانتقل منها .. يضع لهم مخططا اقتصاديا معجزا ..
لو اتبعوه .. لنجت البلاد كلها من شر مجاعة عامة تهلكهم !
« قال : تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم ، فذروه في سنبله ، إلا قليلا
مما تأكلون » .

انه ينتقل من التعبير .. إلى السنين المستقبلية ..
ويبين لهم ما يكون فيها .. وما عليهم أن يفعلوه ..
عليهم أن يتركوا المحاصيل في سنابلها ..
لتقاوم التسوس والفساد سنين طويلة ..
مخطط عجيب .. يموج على لسانه موجا .. من بحار النبوة .. التي في قلبه !!
إنهم ينابيع لأنوار .. فوق علم العلماء ..
إن الله يكشف لهم من غيبه .. ويمنحهم من عطائه منعا كبرى !!

أمواج العبقرية اليوسفية تتموج !!؟

ثم قال يوسف : « ثم يأتي من بعد ذلك ، سبع شدا ، يأكلن ما قدّمتم لهن ، إلا
قليلا مما تحصنون »

هل يستطيع ذلك إلا لنبي؟!

اللهم لا .. ولكن يوسف يتموج بالضيوب .. كأنها شاشة سينما .. تجري أمام عينيه!!
حدد سنين المجاعة بسبع .. وحدد أنهم سوف يستهلك كل ما ادخرته البلاد من
الحاصل ..

وحدد أنه سوف لا يبقى من شيء « إلا قليلا مما تحصنون » مما تخفون ليكون بذورا
للمحصول الجديد !!

تخطيط على .. وأسلوب سوف يكون .. وتحديد للسنين .. واللكيات الباقية !!
وهذا هو بحر النبوة .. حين يتموج بالعلوم موجا ..

فلا يخفى على الأنبياء من شيء مما يخفى على العباد !!
وإنما ذكرنا ذلك الجانب من شخصية يوسف .. ليعلم الذين لا يعلمون ..
الذين لا يؤمنون بالنبوات .. أن الأمر حق ..
ولكنهم يجهلون ..

يجهلون أن وراء ظلام عقولهم .. نورا .. يؤتاه الله من شاء من عباده ..
وأن بحار أنوار النبوات .. لا تنفد .. لأنها تستمد من نور الله الذي لا ينفد !!
ثم انظر إلى عبقرية يوسف .. تتموج موجا ..

فيقول : « ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ ، فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون » !!
هذا من أعجب العجب !!

حدده بالعام الخامس عشر !!

سبع سمان .. وسبع عجاف .. ثم عام كله خير وامطار وفيضان من النيل ..
« يغاث الناس » فيه ينزل الغيث .. فيفيض نهر النيل بفيضان عال .. يعوض الناس

الجدب الطويل !!

وتزدهر المحاصيل .. إلى درجة تفيض معها الثمار ..

« وفيه يعصرون » يعصرون الفواكه ، كالعنب ، والزيتون ، والسّمسم وغيرها ..
وفيه تكثر الفواكه والخصر المحفوظة ، وتفيض عن الحاجة !!
إن يوسف يقرأ من لوح الغيب .. إنها النبوة ..
يا أيها الذين يحهلون مامى النبوة ويكذبون !!

يُدعى إلى الإفراج فيأبى ١١٤

تالله .. وبالله .. ووالله .. لو أن هؤلاء الذين ينكرون النبوات .. علموا قطرة من
بحار أنوارهم .. لجاءوهم .. خشعاً .. ركعاً .. يتذللون !!
ولكنهم يحهلون !!
يحهلون أقدارهم .. فذهبوا يكذبون !!
أصدر الملك أمراً .. بالإفراج عنه فوراً .. « وقال الملك ائتوني به .. »
أمر ملكى بالإفراج عن يوسف فوراً ..
فهل استجاب يوسف .. واهتبلها فرصة .. للخروج فوراً .. من السجن !!
كلا .. وإنما قال للرسول : « ارجعْ إلى رَبِّكَ ، فاسأله ما بال التسوية اللاتي قطعن
أيديهن » .. ١٩

معدن عجيب ١١

ليس المهم عنده أن يخرج .. وإنما المهم أن تظهر براءته .. للجميع !!
ولو أن أحدا مكانه .. لهرع .. واستبق الباب .. إلى الحرية ..
وسجلها له .. سيد الأنبياء .. محمد .. صلى الله عليه وسلم .. حين قال :
« وَكَوْنُيْتُ فِي السَّجْنِ طَوِيلَ مَالِثٍ يُوسُفَ لَأُجِبْتَ الدَّاعِيَ . » [البخارى]
وحين يشهد محمد .. صلى الله عليه وسلم .. ليوسف .. بالعظمة .. في هذا المقام .. فانما
هى الشهادة !!

لأن محمداً .. صلى الله عليه وسلم .. أعلى الأنبياء مقاما .. وأكبرهم نورا ..

وما ينبئك مثل خير !!

شخصية عجيبة .. هذا الذى اسمه يوسف !!

فى أعلى ... علائها .. ويهم نفسه !!

وأعجب العجب .. وبعد أن شهدت امرأة العزيز أنها هى التى راودته عن نفسه ..

وبعد أن شهد النسوة .. أنه ما علمن عليه من سوء ...

وبعد أن علم الملك .. وعلم الجميع .. أنه برىء من التهمة .. براءة تامة ..

بعد أن تحقق له كل ذلك ..

بعد أن شهد الجميع ببراءته .. فكان فى أعلى علائ النزاهة ...

وأعلى قم البراءة ..

من ذلك المقام .. تنزل يوسف من عليائه ..

وذهب يهتم نفسه .. تواضعا فى جناب الله تعالى ..

فأعلن : « وما أبرئى نفسى ، إن النفس لأمارّة بالشوء ، إلا مارحِم رَبي .. » !!

وتلك هى نفوسهم .. وذلك أعوذج من نماذج نفوس الأنبياء ..

لأن أحدا مكانه .. لنذهب يتيه .. على الناس .. أن علموا براءته .. ونزاهته ..

وتحققوا حقيقة معدنه ..

ولكنه على الفور شمع اشعاع الأنبياء ..

فأعلن أن نفسه غير بريئة ..

انكسارا لله تعالى .. وتواضعا فى جنبه ..

وتسجيلا للفضل له سبحانه وحده ..

فنفسه أعلى النفوس .. ولكنه يرد الفضل إلى ربه ..

« إلا مارحِم رَبي » ... إلا ما تفضل الله تعالى عليه من النفوس .. فزكاها .. وآتاها

نورا .. يحجزها عن سوء !!

كما فعل به سبحانه .. فأراه برهانه .. فجعل له نورا .. حجزه عن السوء ..
جانب خطير جدا من شخصية يوسف ..
جانب نفساني .. يجدر بعلماء النفس .. أن يتدارسوه .. ويفقهوه .. ويعرفوا من
بجائه الممتدة ..
لو كانوا فاعلين !!!

الملك .. يكتشف .. شخصية يوسف !؟

لقد كان الملك .. ذلك الفرعون .. على عهد يوسف ...
كان رجلا عظيما ... أن اكتشف ذلك ... الجوهر الثمين .. جوهر يوسف ...
وصاح الملك من فوره أمرا : « .. اتقوني به ، أستخلصه لنفسي .. »
وجاء يوسف عزيزا .. كريما .. بريئا .. عظيما .. تطمح إليه الأبصار ..
وكذلك أولئك العظماء .. الأنبياء !!
حركاتهم عظيمة .. وسكناتهم عظيمة .. وأحوالهم عظيمة !!
« فَلَمَّا كَلَّمَهُ .. ؟ »
فلما كلم يوسف الملك .. وكلمه الملك ..
كان حديثا طويلا .. اكتشف اثناءه الملك .. شخصية يوسف ..
ولحديث الأنبياء رنين .. يترقق من مقاماتهم العلى ..
فيتسلسل إلى القلوب كما تسرى ذرات النور .. في خلايا الكائنات ..
لقد آس الملك .. منه .. نورا .. في صورة بشر .. وبشرا في صورة نور !!
فرعب هنالك شيطان الفرعون .. وأشرقت حقيقة يوسف .. في قلب الملك !!
فكانت لحظة اشراق .. اكتشف فيها الملك .. يوسف ..
فصاح به لقوره : « .. إنك ، اليوم ، لدينا ، مَكِينٌ ، أمينٌ » .
اليوم !! اللحظة .. من هذه اللحظة .. من الآن ..

مكن ١١٩ سوف تمكن لك من الحكم يا يوسف .. فأنت رجل فوق الرجال ..
 أمين ١١٩ .. أمين على أمانة الحكم .. بلغت أمانتك حدا ... وراء الأمانات !!
 فهل اكتشف الملك .. شخصية يوسف .. كلها ١١٩
 كلا .. ما اكتشف منه إلا خلافا معدودة .. النزاهة .. الأمانة .. الشرف ..
 واسكن بحار أنوار يوسف .. مازالت مكنونة .. أعين الملك في غطاء عن عجائبها !!
 لقد اكتشف الملك منه ذرة .. فلما انفجرت تشعشت طاقاتها .. فبهرت الملك ..
 وأخذت عليه عقله !!

فكيف إذا كشف الغطاء .. عن شخصية يوسف .. بمكنوناتها ..
 إذا ما استطاع الملك أن يقوم لها .. وما استطاع لها إبصارا !!
 وتلك رحمة من ربك .. يكشف للناس .. من أنوار الأنبياء بقدر ما يحمّلون ..
 لا بمقدار ما يُكِنُّون !!
 لقد بهرت أنوار تلك الذرة من مكنونات قلبه .. الملك .. فألقى إليه بملك مصر ..
 طوعا ..

كما بهرت محاسن صورته .. امرأة العزيز .. فألقت بنفسها إليه طوعا ..
 وكما بهرت تلك المحاسن الظاهرة .. نسوة العاصمة .. فالتقين بأنفسهن بين يديه ..
 مستسلمات !!

فيا لشخصية يوسف .. كم فيها من عجائب !!

على خزان الأرض ١٢

ونادى يوسف : « .. اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » ..
 الشخصية هنا .. تستعلن وجودها ..

لقد كان حديثا .. بين الاثنين .. بين الملك ويوسف ..
 واعلن الملك استعداداه أن يرفع يوسف إلى أعلى المناصب ..

فطلب يوسف من الملك ، أن يلقى إليه بمقدرات البلاد كلها ..
وهذا هو معنى « خزائن الأرض » ..
فليس المعنى أن يكون وزيراً للخزانة ، أو التموين ..
كلا .. وإنما كل الخزائن .. كل مقدرات البلاد .. كل امكانيات البلاد ..
ليخطط يوسف تخطيطاً اقتصادياً عاماً شاملاً .. لسياسة البلاد ..
يريد يوسف أن يكون الرجل الأول .. صاحب السلطة المطلقة .. لينفذ سياسته التي
يراها خيراً للجميع ..

وقد كان .. وصدر المرسوم الملكي .. يوسف بن يعقوب .. رئيساً للوزراء ..
وبقى الملك مجرد رمز .. يملك ولا يحكم !!
وكان تمكيناً أى تمكين ..
« وكذلك مكنا ليوسف ، في الأرض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من
نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . »

فانظر .. من سجين .. منهم .. لاحول له ولا قوة ..
إلى الرجل الأول في المملكة .. صاحب السلطة العليا في جميع البلاد !!
من رجل يعيش في زخانة ... أشبار في أشبار معدودة ... لا يستطيع الحركة إلا
بإذن ..

إلى مطلق الحرية .. مطلق الأمر ..
« يتبوأ منها حيث يشاء » !!

يوسف .. في تجربة الحكم ١٥

ونمت النعمة .. ورفع الله يوسف النبي .. فصار يوسف الملك ..
 واجتمع للشخصية اليوسفية .. كمال النبوة .. وجلال السلطة ..
وتلاؤه منه .. جمال النبوة .. وجلال الملك ..

فكان النبي الملك .. والملك النبي ..

وتلك أخطر مرحلة من مراحل تلك الشخصية ..

لأن يوسف النبي .. قد وضع في التجربة .. تجربة الحكم ..

فاذا ما تفهقنا إلى وراء .. لنستطلع ما جعله الله تعالى .. من نواميس .. لاعداد

يوسف .. اعدادا عجيبة .. لذلك الدور .. دور الحكم والملك والرياسة العليا ..

نرى آيات وآيات .. كما قال سبحانه : « لقد كان في يوسف وإخوته آيات »

للسائلين ..

« والآيات المشار إليها هنا .. هي النواميس الإلهية .. التي تسرى في خفاء ..

« إن رَأَى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ .. »

والمراد باللفظ هنا .. سريان النواميس في الكائنات .. وهم لا يشعرون ..

إنك إذا نظرت إلى شجرة نامية ... تنتشر في أغصانها الأشواك ... والأوراق

الخضراء ... قلت: ماذا يراد من تلك الشجرة الشائكة ؟

فاذا ما انبثقت من أشواكها .. وردة حمراء .. أو بيضاء .. أو صفراء .. ذات جمال

وازدهار ورائحة زكية ..

أدركت أن المراد هو الزهرة .. هو الثمرة الجميلة .. وليس المراد تلك الأشواك

الشائكة من الأعواد ..

كذلك النواميس الإلهية .. في الكائنات .. وفي البشر بصفة خاصة ..

إذا ما أراد الله تعالى أن يعد إنسانا ممتازا .. لأداء دور ممتاز في التاريخ ..

أنبته نباتا حسنا .. ثم ابتلاه بأنواع من الاختبارات .. الشاقة ... الثقيلة ..

فاذا ما اجتازها بنجاح .. كان أهلا لحل الرسالة التي اختاره الله تعالى لأدائها ..

وتجد ذلك التاموس .. ساريا .. جاريا .. في شخصية يوسف .. من البداية ..

إلى النهاية ..

عند الاختيار .. ترك الله أبناء يعقوب .. الأحد عشر جميعا .. واختار يوسف

من بينهم ..

لماذا؟! لأن الطفل يوسف .. كان ممتازا .. والامداد على قدر الاستعداد ..

أو : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » !!

فلما تم اختيار الكائن .. اصطفاء الطفل .. الممتاز ..

أو لما تم اجتباء الطفل .. « وكذلك يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ » ..

بدأت النواميس الإلهية .. عملها على الفور ..

وبدأ ادخاله تجارب الاختبار .. تجربة إثر تجربة ..

فإذا ما نجح في تجربة .. أهله ذلك النجاح ، إلى دخول امتحان تجربة أشق من

سابقها .. وهكذا ..

تماما كما يؤدى الطالب امتحان القبول بنجاح .. فيؤهله ذلك لدخول المرحلة الإعدادية ..

فإذا ما أدى امتحان الإعدادية بنجاح .. أهله ذلك لدخول المرحلة الثانوية ..

فإذا ما أداها بنجاح أهله ذلك لدخول الجامعة ..

فإذا ما أدى امتحان الجامعة بنجاح أهله ذلك لدخول الدراسات العليا ..

فإذا ما أداها بامتياز أهله ذلك ليحصل على الدكتوراة .. أو الأستاذية ..

هنالك يستحق أن يكون أستاذا .. أن يكون إماما لغيره !!

نفس الناموس .. يجعله الله تعالى ساريا .. جاريا .. فى الأنبياء .. وفى الأولياء ..

وفى الأصفياء ..

يدخلهم امتحانا إثر امتحان .. فإذا نجح الفرد منهم فى أداء الامتحان .. أدخله مرحلة

أرقى .. فإذا نجح فى أداؤها .. رفعه إلى مرحلة أعلى .. وهكذا ..

حتى يصبح النبي .. أو الولي .. أو الصفي .. أهلا لأن يكون أستاذا لغيره ... أن

يكون للناس إماما ..

وتجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربهُ بكلماتٍ ، فأتمهنَّ ، قال : إني جاعلُك للناسِ إماماً .. »

إني جاعلُك للناسِ أستاذا .. إني مانحك شهادة الأستاذية .. لتقود الناس إلى ربهم .. ومعنى « أتمهن » أى نجح نجاحا تاما .. وفاز فى كل مرحلة فوزا عظيما .. أهله لأن يدخل المرحلة الأرقى .. وهكذا ..

نعود ونقول : فلما تم اختيار الطفل .. أدخل فورا إلى التجارب .. فى سن الثالثة .. أدخل تجربة عنيفة جدا ..

انتشر به رجال كبارهم إخوته .. وألقوه فى الجب !!

ونجح يوسف فى التجربة .. وكان علامة نجاحه الباهر .. أن نودى « لتنبئَنَّهُمْ بِأمرٍم هذا وهم لا يشعرون » .

ثم أدخل تجربة أشق .. تجربة أرقى ..

بيع بدارهم معدودة .. وتعرض للمهانة ..

فنجح فى تلك التجربة .. وكان علامة نجاحه أن مكن الله له من قلب العزيز .. وقلب

امرأة العزيز ..

« وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ .. »

فلما بلغ أقصى قوة الشباب .. والنضج .. والجمال ..

أدخل تجربة من أعنف التجارب ..

وشنت سيدته .. امرأة العزيز عليه .. غرامياتها .. ومراوداتها ..

وهو يستعصم ويعرض .. وكما عرض عنها ... ازدادت إقبالا عليه ... وحبا له ...

وهياما بجماله ..

ونجح يوسف فى التجربة ..

فأدخل تجربة أشق ... فأحيط بعدد عظيم من الجميلات ... بنسوة العاصمة ... بنساء

الصالونات ...

وبعد أن كان يمتحن بامرأة واحدة .. هي امرأة العزيز وحدها ...
هاهو يمتحن بجميع جيلات العاصمة ..
فتنة تموج عليه كموج البحار ..
ونجح يوسف في ذلك الاختبار كذلك ..
فلما نجح .. أدخله اختبارا أشق .. وأثقل .. أدخله السجن ..
متهما بتهمة باطله كرهية .. ولفقوا له قضية باطله أنه أراد الاعتداء على أمة العزيز ..
وشرع في اغتصاب عدد من الجميلات الحسنات !!
ونجح يوسف نجاحا باهرا في تلك التجربة ..
فلما جاز تلك المراحل كلها .. وسجل في امتحانها امتيازا فوق امتياز ..
منحه الله لقب الأستاذية .. إني جاعلك للناس إماما ... أي « وكذلك نجزي المحسنين »
واستحق يوسف عن جدارة ... وامتياز ... « وكذلك مكنا ليوسف ، في الأرض
يقبوا منها ، حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . »
أي .. وسلكننا يوسف المسالك .. التي تؤهله .. لأن يكون ملكا عظيما .. وحاكما
عادلا .. ورئيسا رحيفا ...
فلما اكتمل .. ونجح .. آتيناه أجره .. آتيناه الملك !!!
فليس الأمر .. مجرد عطاء حيثما اتفق ...
كلا .. وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..
إنما هو العدل في العطاء .. والامداد على قدر الاستعداد ...
ولقد دخلت الشخصية اليوسفية ، اختبارات إثر اختبارات ...
فنجحت .. وارتفعت .. فأثابها الله جزاء إحسانها .. « ولا نضيع أجر المحسنين » !!
وتلك الاختبارات تعود على شخصية يوسف .. بفائدتين ..
فأثابة لشخصه .. تزيد شخصيته كالا وعلوا ..

وفائدة للناس ... حتى إذا ما حكم .. أحس بمتاعبهم وآلامهم .. وعمل على تخفيفها
وإزالتها ... فكان رحمة للناس جميعاً ..

أذاقه مرارة الآلام .. ليرحم الناس إذا حكم ؟

أذاقه مرارة الظلم ... حين صممه إخوته ...
ومرارة الحرمان حين حرموه من تربيته ...
ومرارة الغربة حين بيع في مصر
ومرارة الرق حين صار مملوكاً للعزير ...
ومرارة الاتهام الباطل حين اتهموه في امرأة العزيز ، ونسوة المدينة ...
ومرارة التعذيب بالباطل ، حين أدخلوه السجن ..
ومرارة السجون .. ومر به على تعذيبها وآلامها ..
ومرارة الإهمال ... حين ألقى في ظلمات السجون .. لا يدري به من أحد ..
حتى إذا مارفعه .. إلى مقام السيادة والملك ...
أحس آلام هؤلاء جميعاً .. وسعى سعيًا حثيثًا في إزالة آلامهم ..
وتلك هي التربية الإلهية لهؤلاء العظماء الحكماء الأنبياء ...

النبي . . . في الملك ؟

أكثر الناس لا يلتفتون ... إلى خطورة تجربة يوسف ...
ويعبرون على تلك المرحلة مرا خفيفاً ...
بينما هي أخطر مراحل شخصية يوسف ..
وإنما تتأق خطورتها .. من أنها تجربة فذة في تاريخ البشرية ..
ولقد آثرنا تسميتها بالملك .. دون رئاسة الوزراء .. لأن يوسف كان رئيساً للوزراء ..
يملك جميع السلطات .. وكان الملك مجرد رمز للعرش ...
فكان هو في الحقيقة الملك المطاع الأمر الناهي ...

وأثرنا ذلك المذهب .. لأنه مكنون في قول يوسف « رب قد آتيتني من الملك .. »
وقوله سبحانه: «قد آتينا آل إبراهيم، الكتاب، والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما»
وكان ملك يوسف .. مما آتى الله تعالى آل إبراهيم من الملك العظيم .
وجاءت تجربة يوسف .. النبي الملك .. فذة .. لا يعدها إلا تجربة داوود وسليمان .. من بعد .
فقد كان داوود نبيا ملكا ..

وكان سليمان نبيا ملكا ..
والخطورة في تجربة يوسف .. أنها برهان على امكانية تطبيق المثاليات في واقع المجتمعات .
فن الناس من يظن أن سمو الأنبياء إنما هو من باب المثال .. وأن تطبيق ما يدعون
إليه من باب الحال !!

وينظرون إليهم على أنهم نماذج مثالية .. يقترب منها .. ولا يستطيع تطبيقها !!
لجاء يوسف النبي .. ورفع إلى مقام النبي الملك ..
ليكون آية للناس .. على أنه إذا وجد الإنسان المؤمن .. قام الحكم الصالح .
وإذا صلح قلب الحاكم ، صلح حكم الناس ..
ولقد كان يوسف قلبا .. منيرا ..

قلب بي . ابن نبي ، ابن نبي ، ابن نبي ..
فهو في الذروة من النور ، وفي القمة من السمو .. وفي أعلى درجات القرب من رب
العالمين .

فلما أوتى الملك .. تلالأت منه عجائب النبوة ..
ومكنته السلطات التي بيده من إقضاء أمر الله تعالى في الناس وفي البلاد ..
وما ظنك بنبي عظيم .. أوتى نور النبوة ..
وقد صار ملكا .. يحكم .. كيف يكون ؟!
لقد استقبل يوسف .. النبي الملك .. فساداً عريضا .. في البلاد المصرية ..
استقبل طبقة حاكمة .. فاسدة .. سلوكا .. وأخلاقا .. ودينا ..

فاسدة في نفسها .. وفي بيوتاتها .. ويكفيك دليلا على فساد نسايمهم .. أنهم كن يراودن
يوسف عن نفسه .. انحلال عام تام في كل شيء ..
دولة منحلة .. كانت تعاني الانهيارات في كل شيء ..
كان مجتمعا منحرفا .. مظلما ..
العقائد فاسدة : « ... إني تركت ملة قوم ، لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة ،
هم كافرون . »

هذا هو تصوير يوسف .. الصادق الأمين لعقائد المجتمع المصري آنذاك ..
قوم .. شعب .. لا يؤمن بالله .. وشعب يكفر بالآخرة !!
ظلمات بعضها فوق بعض ..
عقائد فرعونية فاسدة .. من أوهام الفراعنة ، وأصنامها ، وعبادتهم الباطلة ..
ومجتمع ظالم .. ويكفي دليلا على ذلك أن اشتركت الطبقة الحاكمة في تلفيق التهمة
المنكرة ليوسف ..

« ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » !!
هكذا .. بمجرد أن بدا لهم ذلك .. قرروا أن يسجن يوسف ..
وإلى متى ؟! حتى حين ؟!
مانهاية ذلك الحين ؟!

يرجع إلى مزاجهم الشخصي .. لا تحديد لذلك السجن ..
شخص يرى يسجن بدون تحديد !!
إجرام .. واستهتار .. وإهدار لحريات الناس .. وكراماتهم .. وحقوقهم كآدميين
بالمبالاة .. كأن لم يحدث شيء !!
وحين يبلغ الحكم إلى هذا المدى من الاستهتار بالآدميين .. فهو أسوأ
أنواع الحكم ..
ثم هو مجتمع في انهيار تام .. خلقيا ..

نساء مستهترات عابثات .. باحثات عن المتعة والسهرات !!
ويكفيك دليلا على ذلك ما كان من الأعيب امرأة العزيز مع فتاها .. والأعيب
هاتيك النسوة مع يوسف !!
ووزراء فاسدون .. كأنهم الحجارة المرصوفة .. لا يقيمون عدلا .. ولا يحقون حقا ..
ويكفي أن الملقب بالعزيز .. كان وزيرا للداخلية .. ورأى ما رأى من امرأته ..
فكان كل ما صدر عن المذكور « يوسف أعرض عن هذا » ..
يوسف .. اكتم هذا ..

هذا هو كل ما كان من وزير الداخلية آنذاك !!
ومجتمع يمج بالفساد الجنسي عجا ..
يصور ذلك قولهن : « وقال نسوة في المدينة ، امرأة العزيز ، تراود فتاها ، عن
نفسه ، قد شغفها حبا .. »
هذا هو ما يشغل بال المذكورات !!
أقاصيص الحب .. وكان حزنهن الأكبر .. أن امرأة الوزير .. ظفرت بهذا الجميل ..
من دونهن !!

وباليتين كن مكانها .. لعرفن كيف يستهوينه يجالهن !!
فلما وجدن الفرصة اليه .. بدا ذلك منهن وانحما .. وأخذن في مراودته !!
ويصور لك ذلك الاستهتار الجنسي .. والانحلال الخلقي ..
حين نسمع امرأة .. كأمراة العزيز .. تعلن في حفلة عامة .. على جميع الحاضرات ...
والحاضرين من السادة والكبراء ..
تعلن : « ولقد راودته عن نفسه ، فاستعصم ، وإن لم يفعل ما أمره ، ليسجنن
وليكونا من الصاغرين » !!
امرأة وزير .. وزير الداخلية .. تعلن في حفلة عامة ..
« ولقد راودته عن نفسه » ..

تعترف بذلك اعترافا .. على الملأ .. في حفلة ساهرة عامة .. في العاصمة .. فيها كبار رجال الدولة .. ونساء الطبقة الراقية كلها ..

وأوقع من ذلك .. وأدل على استهتار نساء ذلك المجتمع وانحلالهن ..
أن تقف وتعلن وتهدد : « ولئن لم يفعل . ما أمره ، ليسجنن !!
ولئن لم يفعل !! »

كأنها تعلن : ولئن لم يأتني يوسف .. ويمتنعني كما أشاء .. ليسجنن ..
لأمرن زوجي .. وزير الداخلية .. فيدخله السجن بجرة قلم !!
مجتمع منحل .. فاسد ..

ومظالم هنا وهناك ..
كان ذلك هو المجتمع المصري .. الذي أصدر الملك أمره .. أن يكون يوسف رئيسا لوزرائه !!

مهمة ثقيلة جدا ..
وماذا يفعل نبي الله يوسف .. ليزحزح ذلك الفساد العريض .. الساري في كل خلية من خلايا البلاد ؟ !

فلا عقيدة .. ولا أخلاق .. ولا عدالة اجتماعية .. ولا نظم ثابتة مستقرة ..
وهذا يفسر لك لماذا حرص الملك أشد الحرص على إسناد رئاسة الوزارة إلى يوسف ..
انه يريد رجالا .. انه كان يبحث عن رجل أمين ..
فوجد ضالته في يوسف .. فألقاها إليه .. ليحمل عنه تلك الأعباء الثقيل ..
وليس أشق في الوجود .. من حكم مجتمع قد انتشر فيه الفساد !!

يوسف .. في مقام القيادة ؟ !

ألقى الملك بأعباء القيادة والسلطة إلى الرجل المسكين الأمين ..
وتلقاها .. الرجل .. الحفيظ العليم ..

ونهض بها على أعلى ما يتصور من النهوض بأمانة الحكم .. ونزاهة السياسة ..
ووضع يوسف في التجربة .. أوسع تجربة ..
ودخل امتحان السياسة .. أعلى سياسة .. فهو الرجل الأول في البلاد المصرية ..
والرجل الأول في منطقة الشرق الأوسط .. لما كان لمصر من سيادة وقيادة واشعاع
فيما جاورها .. كما هو دورها التاريخي دائما ..
فإذا تأملنا قوله تعالى : « ولما بلغ أشده ، آتيناه حكما ، وعندنا ، وكذلك نجزي
المحسنين » ..

أدركنا أن يوسف أوتي الحكم شابا قويا ..
وقد ثبت تاريخيا أنه كان في سن الثلاثين ..
« جاء في الكتاب المقدس :
« وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدّام فرعون ملك مصر . فخرج يوسف من
لبن فرعون واجتاز في كل أرض مصر . »

« آتيناه حُكما » .. آتيناه سلطة عظيمة .. جعلناه رجل مصر الأول ..
« وعلمنا » عبقرية السياسة .. وعبقرية العلم بعموميات السياسة .. وخفيات الأمور ..
فيوسف إذاً كان عبقريا .. أعلى أنواع العباقرة ..
تجد ذلك مكنونا في قوله تعالى : « علمنا » .. علما عظيما ، وراء علوم البشر ..
آفاق عليا من النور .. والعلوم الدنية .. والمعارف القدسية ..
أعلى انواع العبقرية ..
كان سياسيا عبقريا ..
وحاكما عبقريا ..
وصدّيقا .. ونبيا .. عبقريا !!

فكانت شخصيته .. شخصية خارقة .. ذات آيات بينات ..
فن جهة الهيئة .. كان رجلا جميلا .. وقصة جماله الخارق .. معلومة ..

فهو قوة فى البدن .. وقوة فى الشباب .. وقوة فى الشخصية ..
من رآه هابه .. وأعظمه .. واثار احترامه الشديد ..
فكل مقومات العظمة الشخصية كانت تتلألأ فى وجهه الكريم ..
فهو انسان كريم .. عظيم .. مهيب .. أخذ .. مؤثر فى الغير .. يثير احترام الجماهير ..
الخاصة والعامة ..

وإذا علم أن الأنواع التى كانت تحكم مصر من قبله كانوا شخصيات منحلة ..
علمنا إلى أى مدى .. كانت مشاعر الشعب المصرى .. نحو يوسف .. الذى جاء من
بعد هؤلاء .. وإعما يتلألأ البدر إذا اشتد الظلام ..
اجتمع لشخصية يوسف كل ما يمكن أن يجتمع لشخصية بشر من الكمال والجمال
والجلال ..

فهو مؤهل لأن يكون ملكا .. قبل أن يرفع إلى الملك !!
هذا عن الظاهر ..

أما عن الباطن .. عن قلب يوسف .. فحدث ولا حرج !!
قلب نبى كريم .. تتزوج فيه الأنوار الإلهية موجا !!
وإذا اكتمل لانسان كمال الظاهر .. وكمال الباطن .. فهو النبى ..
وذاك كان يوسف !!

وإذا علم أن الثابت تاريخيا أن يوسف مات عن مائة وعشر سنين ..
جاء فى الكتاب المقدس :

« وسكن يوسف فى مصر هو وبيت أبيه . وعاش يوسف مئة وعشر سنين ..
» ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين .. فخنطوه ووضع فى تابوت فى مصر ..
وأن يوسف كان محبوبا من الشعب .. ومن الملك ..
كان معنى هذا أن يوسف مكث فى منصب رئيس الوزراء نحو من ثمانين عاما !!
إلا أن يكون اعتزل الحكم أثناء حياته ..

وأكبر الظن أن هذا لم يحدث ..
فأين يجد المصريون مثل يوسف !!؟
ثمانون عاما من النور ..
فهى أسعد فترات الحكم فى تاريخ مصر على الإطلاق .
فلم يحدث أن حكم مصر نبى إلا يوسف !!
ما أعظم هذا .. وما أسعد أهل مصر بهذا !!
لقد كانت فرصة العمر .. وهدية السماء إلى أهل مصر ..
وحين يحكم الأنبياء .. فقل ما شئت من الرحمة الميثومة .. والنعمة السابغة .. والعدل التام ..
والنور المنطلق ..

لقد كانت تجربة وحيدة فريدة أن يحكم مصر نبى كريم !!

تخطيط سياسى اقتصادى عظيم !!

واستمكن يوسف من «خزائن الأرض» ..
من مقدرات .. وسلطات .. جميع البلاد .
وخطط تخطيطا محكما لمستقبل المجاعة القادمة ..
ونفذ أرقى أساليب حفظ المحاصيل ..
فأمر أن يخزن الفائض عن الاستهلاك السنوى ..
من القمح والشعير والفول والذرة والسمسم والفول السودانى وغيره من محاصيل مصر ..
فى سنابله ..

أى يترك فى أعواده كما هى ..

وأمر فاستولت الدولة على فائض الاستهلاك من جميع هذه المحاصيل ..
وكانت السنوات السبع الأولى وفيرة الخيرات ، وفيرة المحاصيل ..
وكان على كل زارع مصرى .. أن يورد إلى الدولة فائض استهلاكه ..

ومن الحتم أن يوسف أصدر أوامره، أن تورد كميات محددة عن كل فدان زرع حبوبا.
 قدرها تقديرا عادلا يتناسب وعدل النبوة ورحمة المرسلين .
 وكانت الدولة تستقبل في مخازنها تلك الكميات الوفرة من المحاصيل المتروكة في أعوادها
 وتجمع في مخازن .. أو خزائن الدولة ، فائض سبع سنين سمان ..
 فكانت الخزائن تموج بملايين الأطنان من القمح والشعير والذرة والسمسم والفول
 وغيرها ..

المجاعة ١٩

وجاءت السبع المجاف .. فانخفض النيل انخفاضا خطيرا .
 وجفت الأرض .. وهلك الزرع .. وكانت مجاعة رهيبية .
 استمرت سبع سنين متواليات !!
 وامتد الجفاف والقحط إلى المنطقة .. حتى شمل الأردن وغيرها ..
 وهذا يفسر لك : لماذا قدم إخوته إلى مصر يلتمسون شيئا من الحبوب ؟
 وتلألأت عبقرية يوسف ..
 فخطط تخطيطا عظيما .. لاستقبال تلك المجاعة ..
 وكان عليه أن يقوم بمحاجات الملايين الجائعة .. طوال سبع سنين .
 ليس هذا فقط .. وملايين غير المصريين .. من سكان الأردن وفلسطين وغيرها ..
 إن المنطقة كلها قد أقحطت .. وتوشك أن تهلك .
 وتلألأت النبوة .. في يوسف ..
 فأعطى الناس بالتساوى .. بمقادير معينة .. معلومة ..
 حتى انقضت تلك السنوات ولم تشعر الملايين بالآلام المجاعة الرهيبة !!!

عام الخير ١٩

« ثُمَّ بَآئٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ ، فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يَعْصِرُونَ »

وانقضت السنون السبع المجاف .. وذهب الجفاف .

وأقبل فيضان النيل عاليا علوا فوق العادة .

فغمر الأراضي .. واهتزت بكل زوج بهيج !!

وأعطت الأرض ... التي كانت معطلة سبع سنين ... لا تزرع ولو تروى .. محصولا

وفيرا جدا .

لأن الأرض الزراعية إذا تركت عاما بعد عام بلا زراعة ثم زرعت .. كان المحصول

وفيرا ..

فكيف وأكثر الأرض مضى عليها سبع سنين لا تزرع ولا ينزل عليها ماء ؟

لقد كان عاما مباركا .. ضوغت فيه المحاصيل ...

وزاد من خيرها .. أن الامطار هطلت بغزارة على أرض مصر .. وما جاورها ..

فاجتمع خير النيل .. إلى خير السماء ..

ويصور لك وفرة محاصيل ذلك العام .. قوله تعالى « وفيه يعصرون » ..

أى أن الثمار التي تعصر .. كالسمسم .. والكتان .. والعنب .. والبرتقال ..

فاضت عن الاستهلاك السنوى .. مما اضطر الناس إلى عصرها .. واختزانها عصيرا !!

زَرَفُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ !

وما انقضت تلك الاعوام .. الخمسة عشر ...

سبعا في خصب ..

وسبعا في جذب ..

وعاما في رخاء ..

حتى كانت عبقرية يوسف .. في الحكم .. والسياسة .. والاقتصاد ..

قد شاعت وذاعت .. وجاوزت حدود مصر .. إلى جميع أنحاء العالم ..

وأصبح يوسف .. أعظم شخصية سياسية .. في أنحاء العالم ..

يتحدث عن عجائبيها .. وبراعتها .. وعبقريتها .. العالم كله !!
« نرفع درجات من نشاء » .. لقد رفع الله له ذكره .. فهو أشهر رجل على ...
ورفعه درجات .. بما آتاه من علوم النبوة .. فهو نبي عظيم ...
ورفعه درجات في علوم الاقتصاد السياسى .. فهو أبرع وأقدر رجل في العالم .. في
مجال السياسة والاقتصاد .. وحل مشكلات الشعوب ..
ورفعه درجات حين نجح في احقاق الحق .. واشاعة العدل في شعب كان قد فسده
كل شئ ..

ورفعه درجات .. حين أقام الأخلاق .. في شعب كان قد ذهبت أخلاقه ..
ورفعه درجات .. حين ساس شعب مصر .. بل منطقة الشرق الاوسط كلها .. قرابة
ثمانين عاما .. سياسة العدل .. والرحمة .. والقيم العليا ..
ورفعه درجات .. حين لم تطفه السلطة المطلقة .. وإنما كان ملصكا مطاعا .. بينما هو
لربه عبدا مطيعا .. « إنه من عبادنا الخلقين » !
ورفعه درجات .. حين أتاح للمصريين أجل فرصة .. في تاريخهم .. فنعموا بأعدل حكم
شهدوه .. أو يشهدوه .. إلى يوم القيامة ..
حكم الأنبياء .. وما أدراك ما الأنبياء !!
ورفعه .. درجات .. ودرجات .. ودرجات ..
لا يعلمها إلا هو .. كما قال : « فوق كل ذي علم عليم » !!!

« تم »

ماذا في هذا الكتاب !!

فيه... حياة النبي الكريم... الذي قال فيه... رسول
الله... صلى الله عليه وسلم...

» إن الكريم ...

» ابن الكريم ...

» ابن الكريم ...

» ابن الكريم ...

» يوسف ... نبي الله ...

» ابن يعقوب ... نبي الله ...

» ابن إسحاق ... نبي الله ...

» ابن إبراهيم ... خليل الله. !!!